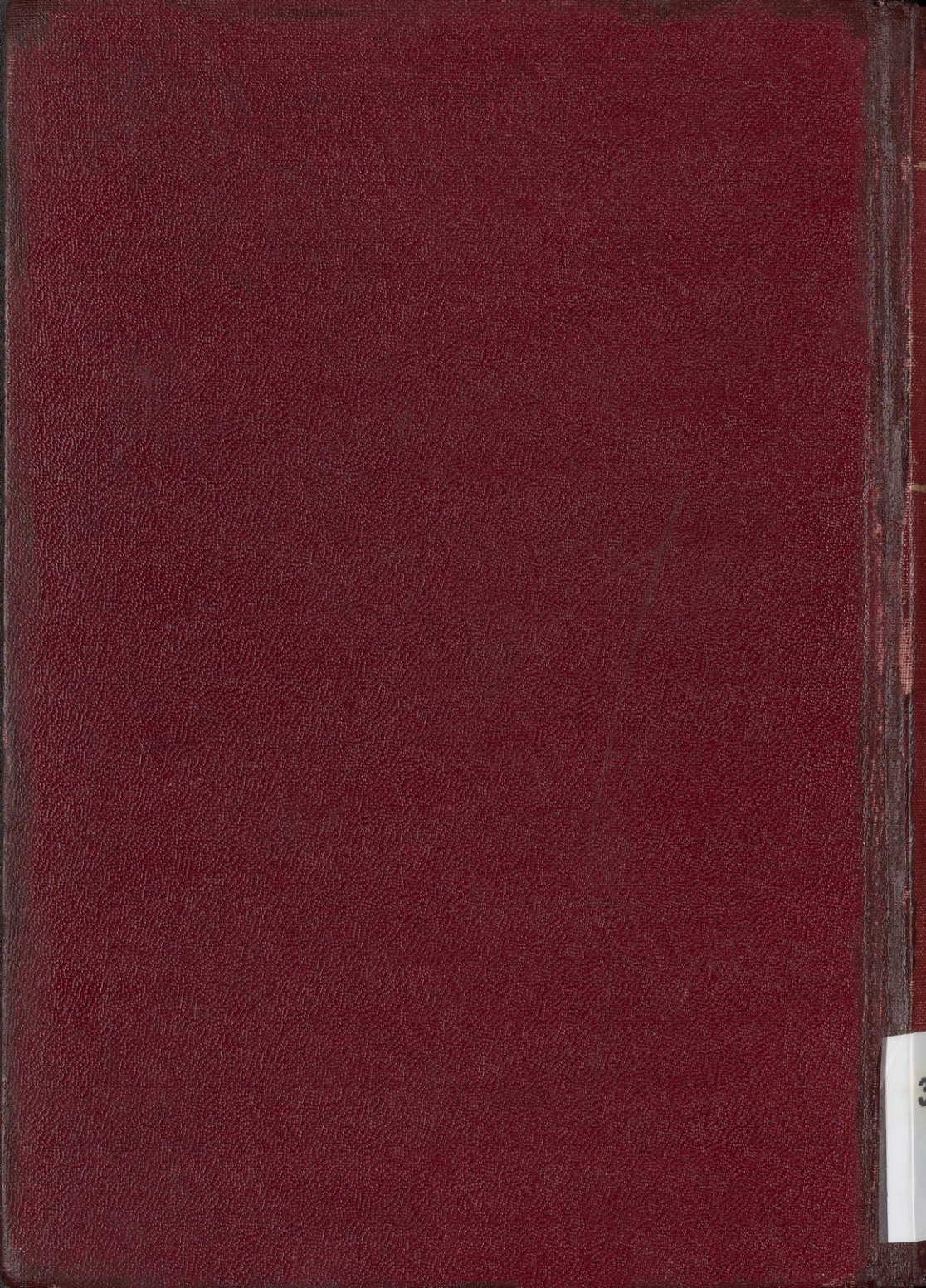




3

A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A.U.B. LIBRARY

الى مكتبة ابي عبد الله
تقديم ابي برون

من المجلد
العدد
العدد

النقطة

مستعبد الشعوب

بقلم

يوسف إبراهيم يزنك

48185

الجزء الاول . الطبعة الاولى . سنة ١٩٣٤

مطبعة الفن الحديث — بيروت

تقدمة الكتاب

الى الرئيس الجليل

مصطفى الخامس

خليفة سعد في النضال ، ورئيس الوفد المصري ، الامين

سبرى الرئيس الجليل

لسعد ، رحم الله سعداً ، فضل على تربيتي السياسية في نضاله ،
فاذا توجتُ كتابي هذا باسم خليفة سعد : باسم المجاهد ، المؤمن ،
الصابر ، العفيف اليد والخلق والقلب ، مصطفى الخامس ،
فاني افي ديناً مستحقاً ، وأخطو خطوة جديدة بدأ قبلي باخواتها
احرار المفكرين العرب ، في توحيد سبل التضامن لرد غوائل
الاستعمار عن هذا الشرق العزيز

ليس من بلد عربي ، او شرقي كما يقول بعض اخواتنا في وادي
النيل ، يبعيد عما في هذه الصفحات من عرض لعوامل التبسط
الاجنبي في ربوعنا المحبوبة ، بل انها جميعها ، واحدة في الهدف الذي

يرمي اليه سهم المستعمر . واذا قيل : « الاستعمار في مصر » فعني القول او نتيجه : « الاستعمار في سوريا ، والعراق ، وفي شقيقتاهما » .
فاية يد جبيت قوة الكفاح ، وعناصرها ، اكثر من يدكم الكريمة ،
في توحيد جبهة الدفاع ، قبالة توحيد الاقوياء جبهتهم لارهاق
هذه البلدان ؟

لقد لبس الاستعمار في الشرق اثواباً كثيرة الالوان ، وجاءنا
الآن يرتدي زياً جديداً اسود ، هو لون النفط ، واللون الاسود
شعار للحزن والاسى ، فهل يحق لنا في عهد عقيدتك الناصعة البياض ،
ياسيدي الرئيس الجليل ، ان نتفائل خيراً بدنو الاستعمار من . . .
الموت ؟

.....

تكرم ، ياسيدي الرئيس الجليل ، بقبول هذا الكتاب عربون
الوفاء الصادق ، من كاتب أحب الوفد ، ورئيس الوفد ، وبرهن عن
هذا الحب في اخرج المواقف ، يميننا منه بانكم عنوان الايمان في
النضال لتحرير « امصار » العرب

بيروت في ٥ ايلول ١٩٣٤

المخلص

يوسف ابراهيم يزبك

منشي جريدة « السيار »

رقم النسخة

دير مار انطونيوس (الحدث ، لبنان) — نيسان ونوار

بيروت — حزيران وتموز ١٩٣٤

حفرة الفاخذ اليه ينفذ به المهرم
 لقد كان مجهولاً تأثير سياسة القبط في مصر القوي
 وخطورة لا نزل كانت سرية يقوم بها الناس بهدوء
 لتفقيه مطالبهم : اما الله فلا يخفى رعبه في الهام
 تنبع الحوادث القلبية وهي جزء حيوي من مصر العربية
 وقد بدأ الكتاب في الغرب بفتح الماء التي بين يديها
 فتدو القبط فلا يسهل بالهنا كتابه لحوالكات
 تحتاج الى بقة القطة الالة العربية وانظرنا الحجة وحر
 الوجه من زعمه اذ لم يبعه لكانه اركنه اسرار غنه
 اسياسة ويطرأ أجملا الاستعمارية بهذه القوة والاهلية
 سببا الى الاستعدادات التاريخية التي تقلنا عهدنا
 الحفا في خفا الحرب التي اكبر عبرة لنا في الاثار على
 اقرال الساسة والفرط في تصغيرها ، فأكبر جهودكم
 في كيف هذا الكتاب الجديد استأخذت الالة العربية
 حامية زهر العلم والاستطلاع جامعة وقتكم املوه
 جسد ٦ ايلول ١٩٢٠ ١٠٠٠

« استعدوا لحرب النفط ! »

— لورد فيشر وزير الملاحمة البريطانية —

« ... وعند ما وضعت الحرب اوزارها ، وطرح على
بساط البحث اقتسام الاراضي النفطية في العالم ،
إنَّ بواسطة الاتداب او بواسطة غيرها ، جرت
بين الحلفاء اتفاقات ليحفظوا لفرنسا حصتها منها ،
وكان اتفاق سان ريمو اول عهد اعترف لنا فيه
بمحصة من نفط العراق . » (١)

— بيار اتيان فهران وزير تجارة فرنسا —

(١) — الجريدة الرسمية للجمهورية الافرنسية (مناقشات مجلس
النواب) : محضر جلسة الثلاثاء في ٨ تموز (يوليو) سنة ١٩٣٠
ص ٢٩٦٩

باسم الله والحق والسلام ...

واذا مس الانسان ضر دعاربه منيباً
اليه ... — صدق الله العظيم —

— ١ —

« لسنا نعمل للسلم في بلادنا فحسب ، بل في اوروبا »

(ادوار غراي وزير خارجية انكلتره في جلسة

مجلس العموم مساء ٣ آب اغسطس ١٩١٤)

« اضطررنا الى امتشاق الحسام لدافع بعون الله عن استقلالنا الذاتي
ونحافظ على سلامة اراضيها »

(بيان الحكومة الالمانية في ٤ آب ١٩١٤)

« ... وليست لنا اية نية طامعة ولا نرغب في فتح ما ، ولا في السيطرة
على احد ، ولا نطلب اي تعويض مادي علي التضحيات التي سنقدمها
مختارين ... مانحن الا من ابطال حقوق الانسانية ، نبذل في سبيلها
اموالنا ودماءنا وارواحنا بكل فخار ، وعلى الله اتكالتنا ليساعدنا
في تأييد مبادئ الحق والعدل والمساواة بين الجميع ! »

(من بيان الرئيس ويلسن الى مجلس الامة)

(الكونغريس) الاميركي في ٢ نيسان (ابريل)

٩١٧ عن اسباب دخول الولايات المتحدة الحرب)

و... النفط

« الويل للشعب المحارب الذي لا يملك نفطاً »
(امير البحر الانكليزي لورد فيشر)

« لو لم يكن النفط في حوزة الحلفاء لما استطاعوا الانتصار ... »
« وحاجتنا الى النفط بمختلف مواده كانت من اشد العوامل في
خسارتنا الحرب »

(مذكرات المشير الالماني اريخ لودندورف)

« ولقد كان النفط في الحرب كدماء لها »
« وما كان الانتصار الذي نلناه لیتم لولا دم آخر هو دم الارض الذي
نسقيه بالنفط »

(من خطبة لهري بيرانجه ممثل الحكومة
الافرنسية في مؤتمر النفط بين الحلفاء في
روما في ١١ (١٠ أكتوبر) ١٩١٨)

« اجل ، لقد كانت مواد النفط متساوية في اهميتها الحيوية في سنوات
النضال ، وسيأتي يوم يقال فيه : ان الحلفاء طفوا الى النصر على

عباب من النفط »

(من خطبة للورد كورزون رئيس مؤتمر النفط
المنعقد في لندره بين الحلفاء في ٢١ ت ٢
نوفمبر سنة ١٩١٨)

« ... وبينما كانت حكومة الرئيس ويلسن تبشر في ايام عقد معاهدة
الصلح بمحبة القريب ، كانت امم غيرنا ، ولا سيما الامة الانكليزية ،
تستولي على ثروات النفط العالمية ، وتلك الثروات هي مفتاح السيطرة
الاقتصادية على الدنيا بأسرها »

(من خطبة لهاردنغ في حملته الانتخابية لرئاسة
الولايات المتحدة سنة ١٩٢٠)

« ليس للولايات المتحدة نية للتدخل في العلاقات السياسية بين اية
دولة ومستعمراتها او البلاد الواقعة تحت حمايتها وانتدابها ، ولكنها
عندما ترى ان الدولة المنتدبة تسعى بتأثير تلك العلاقات السياسية
الى ايجاد مناطق نفوذ اقتصادي بحث (في البلدان المشمولة بانتدابها)
لتحتفظ لنفسها وحدها بحق استغلال ما تحت اراضي تلك المناطق
من ينابيع طبيعية (نفطية) ، ولتوطيد عري الاتحاد بشقي السبل
بين الدولة المسيطرة والشعب الضعيف ، فان من واجبنا ساعثنا

أن نرفع صوتنا ونحتج على ذلك العمل الذي نراه ظالماً ومهيناً
ومخالفاً للصواب ... »

(من خطبة لوالتر تايفل رئيس
شركة ستندر اويل في مؤتمر جامعة
النفط الاميركية في نيويورك سنة ١٩٢٠)
« ... وبواسطة الملايين التي يملكها ، تمكن ديتردينغ — نابليون
النفط في العالم — من تأمين مساعدة كبار رجال الحكم له في
فرنسا وانكلترا ، كالستر رامسي مكدونلد ودوائر الانتلجانس
سرفيس ، وكالمسيو فرنسوا مارسال ، رئيس الوزارة الافرنسية
الاسبق ، الذي قضى زمناً طويلاً في خدمته . وقد اكد بعض
النواب من فوق هذا المنبر في جلسة سابقة ان ديتردينغ رشا بعض
السفراء ، واستمال كبار الموظفين ، واشترى صحفاً انكليزية
وافرنسية ، منها جرائد « الماتن » و « الامي دي بوبل و « الليبرت »
التي امتازت باتمائها اليه بشكل مخجل ... »

(من خطبة للنائب جاك دوريو في مجلس
النواب الافرنسي في ٢٠ اذار (مارس) ١٩٣١
(الجريدة الرسمية : مناقشات النواب :
ص ٢١٠٤ عدد ٤٩)

« ليس للنفط ... رائحة ! »

موريس بوكانوفسكي وزير التجارة
الافرنسية سنة ١٩٢٨)

مؤلف عربي

قل : اعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، فليس الشر البارز للعيان بثوبه الاسود هو هذا المستطير الذي يعوذ منه ، ولكنه الشر الخبيث البادي بثوب الملائكة الابيض ، ساتراً تحته الموت الزؤام ، والحامل بيده غصن الزيتون حاجباً وراءه السم الزعاف . قل اعوذ برب الفلق ، ايها القارئ العزيز ، فاننا محدثوك عن دم الارض ، عن النفط الذي وضعنا في مستهل هذا الكتاب بعض فقرات من اقوال تاريخية تدل على ماله من اهمية مباشرة في حياة الامم في حالتي السلم والحرب ، ومن تأثير شديد في استعباد الشعوب او تحريرها ، فنرجو أن ترافقتنا في ماسبسطه لك من حوادث وشروح لا تقل اهمية عن تلك الاقوال ، لأن للنفط سياسة مازال مجهولة من الرأي العام العالمي ، ولا سيما في الاقطار الشرقية ، ولان العالم «المتمدن» صار بحاجة اليه بقدر حاجة الفقير الى الخبز والماء ، فخضعت البشرية جمعاء لمشية افراد معدودين من اصحابه يلعبون بها ويقلبون بلدانها ، ويعبثون بأوضاعها وامانها كما يلعب الاطفال بالكرة ، ويقلب القراء صفحات هذا الكتاب ، فمن الواجب علينا اذن أن نتفهم بعض سياسته التي تسيرنا لعلنا نعتبر بالتناقض بين الاقوال والاعمال ونستفيد من هذه العبرة في سعيينا الى الاهداف التي نرمي اليها

ان هذا الكتاب هو الاول من نوعه في اغلقة العربية ، والاول من نوعه ، بمراميه ، في جميع اللغات ، فقد وضع كثيرون من كتاب الفرنجة كتباً عن النفط واهميته وسياسته ، وعن محتكريه وجرائمهم واحساناتهم ، ولكنهم لم يذكروا عن تأثيره في البلدان العربية الا النزر اليسير ، وفي ما ذكروه كثير من الاخطاء تتم عن قلة تمحيص ، او عن جهل وسوء قصد ، وكان اكثرهم يذهب في كتابته عن هذه الاقطار الى خدمة دولة معينة ومصلحة محدودة ، وكانوا ، جميعهم ، يمرون بمصائبها من سياسة النفط ونكباتها بها مر... الكرام !

النفط او « البترول » هو اليوم الهدف الاول الذي ترمي كل دولة من دول اوروبا واميركا الى تأمين حاجاتها منه ، لأن السيارة لا تسير بلا نفط ، والطائرة لا تطير بلا نفط ، واكثر الآلات لا يتحرك بلا نفط ، فما يكون مصير فرنسا وبريطانيا وجمهوريات السوفيات والولايات المتحدة واليابان وغيرها من الدول الكبيرة اذا حرمت من هذه المادة الحيوية ؟

يقول النائب الافرنسي سبيناس : « ان النفط كان ، وما يزال ، وسيظل الاس الحقيقي لدعامة الشعوب الكبيرة سواء أفي حالة الحرب

أم حالة السلم» (١) وقد استشهد بهذا القول الخطير الوزير بيار فورجو (٢) وزاد عليه يخاطب النواب يوم بحثوا في اتفاق نفط الموصل فقال: «على م تنشئون الجيش وترصدون ألوف الملايين لتعزيمه؟ بل على م تشق حكوماتنا الانفاق تحت الارض وتبني الحصون في الصين لتأمين حدودنا الشمالية والشرقية؟ بل على م فتابع سياستنا الامبراطورية في اوروبا وما وراء البحار اذا كنا لانملك النفط؟» (٣)

وهذا الكلام يتعلق باهمية النفط في الحاضر والمستقبل ، وأما اهميته الماضية وما كان لها من تأثير فعال في مصير المجزرة البشرية الاخيرة فحسبنا ان نستعيد اقوال بعض ابطالها فيه ، لنعرف الدور

(١) و (٣) الجريدة الرسمية للجمهورية الافرنسية (مناقشات مجلس النواب) : محضر جلسة ٢٤ اذار (مارس) ١٩٣١ ص ٢١٣٠
 (٢) وزير افرنسي سابق تولى مراراً وزارات المعارف والتجارة فالاشغال العامة وقد اطلع على بعض اسرار السياسة النفطية واهميتها في حياض الدول ، وصار يعد مع الوزير فلاندان والشيخ بيرانجه من الاخصائيين بين رجال فرنسا الرسميين في سياسة النفط . وله خطب هامة في نقد الاتفاق الذي اجرته حكومة باريس مع شركة النفط الافرنسية لاستثمار حصتها من زيوت الموصل

العظيم الذي قامت به المواد اللاهبة في الحرب ، فقد قال القائد الألماني اريخ لودندورف في تصريح له بعيد الهدنة : « لو لم يكن النفط في حوزة الحلفاء لما استطاعوا الانتصار علينا »

وأيد هذا الرأي الوزير الانكليزي كورزون في الخطبة التي ألقاها في ٢١ ت ٢ (نوفمبر) ١٩١٨ بعد انتهاء مؤتمر النفط بين الحلفاء في لندرة فقال : « لقد كانت مواد النفط متساوية في أهميتها الحيوية في سنوات النضال ، وسيأتي يوم يقال فيه ان الحلفاء طفوا الى النصر على عباب من النفط » (١)

وفي سنة ١٩١٧ تأزم موقف الحلفاء في أكثر ساحات القتال ، وباتوا والخطر يهددهم من جوانب كثيرة ، وقد كان لسياسة النفط أكبر اثر في موقفهم ذاك الحرج ، فتوالت برقيات الاستنجد منهم على حكومة واشنطن ، واوفدت حكومة كليمانسو السيد اندره تارديو مفوضاً سامياً الى الولايات المتحدة ومهمته الفريدة تأمين شحن الزيوت منها الى ساحات القتال في فرنسا ، فسافر السيد تارديو في شهر نوار (مايو) من تلك السنة وعرف بعض اسرار الاحتكار الذي طوق المواد اللاهبة ، فكان بينه وبين حكومته في باريس مراسلات مايزال أكثرها سريراً ، ولكن المعروف عنها هو ان

البرقيات انهالت على اترها من فرنسا على الحكومة الاميركية تستصرخها
لتحمل المحتكر الاعظم رو كفلر — وهو من ملوك النفط في
العالم — على ان يمد الحلفاء بالسائل الاسود والا ساء المصير . وقد
اهمل رو كفلر ، او اهملت شركاته ، تلبية الحلفاء لاسباب ما يزال
بعضها مبهماً ، فكانت البواخر الاميركية تحمل اطنان المواد الالهية
الى الصين في حين ان مستودعات الحلفاء في فرنسا كانت على وشك
النضوب ، واضطر الوزير الافرنسي كليمانسو لان يبعث في اواخر
تلك السنة (١٥ ك ١ — ديسمبر) ببرقية « تاريخية » الى الرئيس
ويلسن ، شخصياً ، يناشد فيها عطف الرأي العام الاميركي وحكومته
لامداد فرنسا بالنفط ويقول في ختامها : « اذا كان الحلفاء لا يريدون
خسران هذه الحرب فعليهم ان يمونوا فرنسا بالنفط لأن حاجتنا الى
مواده الحيوية تساوي حاجتنا الى الدماء في المعارك القريبة المقبلة » (١)
فتدخل الرئيس ويلسن بنفسه في اقناع شركات الاحتكار بوجوب

(١) — كثيرون من كتاب النفط بدلوا هذه الفقرة من برقية
كليمانسو بالفقرة الآتية : « لقد اصبحت نقطة النفط عندنا بمثابة
نقطة من دم هندي » والمعنى المقصود من الفقرتين يسكاد يكون
مقارباً ، ولكن حق التاريخ يقضي بان يستشهدوا بها كما هي مسجلة
في محضر جلسة لجنة الجيش في مجلس الشيوخ (١١ ك ٢ سنة ١٩١٨)

تلبية الطلب ، وتمكن المفوض الافرنسي تارديو من تأمين الحلفاء الى بعض مطلوبهم وابرق الى الرئيس كليمانسو في ٦ ك ٢ (يناير) سنة ١٩١٨ بذلك خاتماً برقيته بالعبرة الاتية : « اني ابذل جهدي للحصول على المطلوب ولكنه سيكون شاقاً » (١)

وما دام النفط على هذه الاهمية الحيوية ، التي اشرنا الى بعضها ، في مصير الشعوب الكبيرة والدول العظيمة في السلم والحرب ، فمن الواجب على الرأي العام العربي ان يعرف كما قلنا شيئاً من سياسته الخطيرة ، لاسيما وان اقطارنا قد ظلمها الله او رحمها — من يدري؟! — فجعل تحت تربة عراقها محيطاً من النفط يقدره علماء الاختصاص بانه يكفي وحده حاجات العالم باسره مدة لا تقل عن خمس عشرة سنة ، وأجراه تحت بلدان عربية غير العراق انهاراً لم تعرف قيمتها كلها حتى الان ، وربطنا في الماضي ويربطنا اليوم وغداً بسياسة تجاره ومحتكريه ربطاً محكماً ، حتى بتنا ونحن لا نملك من امرنا حقاً ، وصار الفرد منهم ، وهو الاعجمي ، يملئ على الدول الحاكمة في رقابنا او امره في الحياة التي يريدنا عليها ، ونحن واملا كنا وبلادنا ، وموظفو تلك الدول وجيوشها ، عبيد اوقاء لتلك السياسة !

قد يجهل الكثيرون ان فكرة الانتدابات التي بشر بها اللاهوت

المسيحي وودرو ويلسن في مؤتمر الصلح ، وطبخ انظمتها ووزع ألوانها في الصحن المثثة الانواع القائد البويري الانكليزي جان سموطس حاكم افريقيا الجنوبية ، لم تحقق عملياً وتبدأ بارتداء شكلها « القانوني » الدولي الا في مؤتمر سان ريمو ، وان ذلك المؤتمر المبارك لم يعقد الا لاجل النفط ، وفيه وضعت اسس سياسته العامة وشروطها لاقتسام آبار العالم ، وفي البلاد المسلوخة عن السلطنة العثمانية : اي ان الانتداب على بلادنا مشى وسياسة النفط رجلا فرجلا في الظاهر ، وان هو تبعها وكان نتيجة لازمة لها في الواقع

ليقرأ بنو قومي هذا الكتاب بتؤدة وبامعان نظر ، فتمد وضعته بعد جهد عزيز ، وبذلت مائيس بطاقة عربي مثلي بذله لاجراجه على مايرونه ، فجاء وليس فيه من عيب الا ان مؤلفه عربي ، ومكتوب بلغة عربية !!! (١)

(١) نشر المؤلف بعض مقالات عن محتويات هذا الكتاب في جريدة « صوت الاحرار » الغراء واعلن عن عزمه على وضع كتاب عن اسرار سياسة النفط ، فكذب اليه احد زعماء العرب في بغداد معرباً عن اعجابه وتقديره وختم كتابه بقوله للمؤلف : « وارجح بل اعتقد انه لن يكون في الكتاب من عيب الا ان مؤلفه عربي ، ومكتوب بلغة عربية ! » ولا يخفى ما في قول الزعيم الكريم من استفزاز وسخط على ما وصل اليه العرب من زلف لفرنجية ، واخذهم باقوالهم وان كانت كاذبة وسخيفة ...

بعض ارقام

ماهي اهمية النفط ؟

سؤال يحق لكل قارى أن يلقيه ، وعلينا ان نجيب عليه :

١ -- في العالم الان اكثر من اربعين مليون سيارة (١) لنقل الناس وللشحن ، يحررها البنزين ، اما الاساطيل الجوية والبحرية فتستحيل معرفة عددها لان الدول لا تنشر احصاء صحيحاً عن قواتها الحربية ، وهذه الاساطيل لا تتحرك الا بقوة البنزين والمازوت وروح الغاز المستخرجة من النفط . وكذلك يصعب على اي انسان احصاء الآلات التي تتحرك به

٢ -- مجموع ما تستخرجه الشركات من الارض يزيد على مئة وثمانين مليون طن سنوياً

٣ -- مجموع رؤوس الاموال التي تدير هذه الصناعة يبلغ اكثر من خمسمية مليار فرنك (٢)

(١) عن آخر احصاء نشر سنة ١٩٣٤

(٢) في العالم ثلاث جبهات نفطية تسيطر عليه : الاولى اميركية بزعامه رو كفلر ، والثانية انكليزية بزعامه ديتريينغ ، وفي كل منهما اموال اجنبية ، والثالثة روسية تخص الشعب لا الافراد وتديرها حكومة السوفيات

٤ — يسيطر على هذه الثروة في الدنيا كلها شخصان احدهما اميركي يدعى جوهن رو كفلر والثاني هولاندي متأنكلز سياسة يدعى هنري ديتردينغ

٥ — في سنة ١٨٥٣ حفر في ولاية بنسلفانيا الاميركية اول بئر في العالم لاستخراج النفط ، ولم تكن صناعة « الموتور » قد اخترعت بعد فلم يكن اذن سيارة ولا طيارة ، ولم تكن البواخر تجري بواسطة المازوت

٦ — في سنة ١٩٣٣ بلغ الاحصاء الرسمي لصناعة السيارات العالمية ستة وثلاثين مليون سيارة ، تملك منها الولايات المتحدة وحدها سبعة وعشرين مليوناً ، اي اكثر من الثلثين ، ولم تكن هذه الصناعة في سنة ١٩٣٢ سوى رقم ضئيل جداً بالنسبة الى الرقم الحالي ، فقد صنع العالم باسره في العام الاسبق مليوني سيارة فقط ، ووثب من سنة الى سنة الى اضاعافها ست عشرة مرة

٧ — كانت اقصى مسافة سجلتها سرعة السيارة في سنة ١٨٨٨ ستة عشر كيلو متراً ، فسجلت في السنة الماضية اربعماية وسبعة وثلاثين كيلو متراً ...

٨ — كانت فرنسا تملك يوم اعلنت الحرب العامة مئة واثنين وثلاثين طيارة ، ومئة وعشر سيارات شاحنة (كيونات) — وانتهت

المجزرة البشرية وفرنسا تملك اثني عشر ألف طيارة وسبعين ألف
كميون

٩ — اوقد العالم في سنة ١٩١٣ ستة وخمسين مليون برميل من
البنزين وبلغ الاستهلاك السنوي في آخر ايام الحرب ستماية وسبعة
وثمانين مليون برميل

١٠ — وكان المتحاربون يستهلكون في ايام المواقع الحربية
الشديدة اثني عشر ألف طن من البنزين في اليوم الواحد
اليك باحصاء ثان ، ومن نوع آخر :

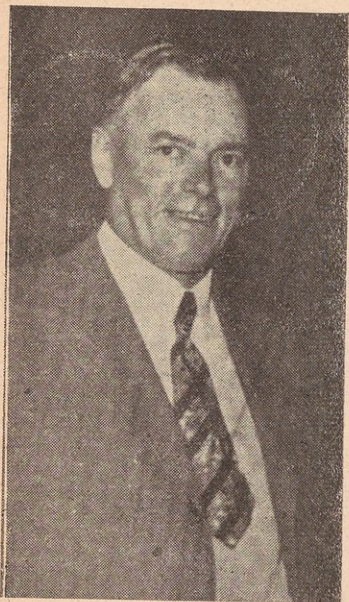
١ — دخل هنري ديتردينغ سنة ١٨٨٠ موظفاً صغيراً في مصرف
« توتشي بنك » في امستردام يقبض ثلاثين فرنكا مرتباً شهرياً .
واصبح اليوم — ديتردينغ « نابليون النفط في العالم » — يملك ثلاثماية
واربعين مليون فرنك لنفسه ويرأس شركات ومؤسسات يبلغ رأسها
مئة مليار فرنك

من ثلاثين فرنكا مرتباً شهرياً الى السيطرة على مئة مليار !...
٢ — في سنة ١٩١٣ دفعت شركة « رويال دوتش » وهي من
اعظم شركات احتكار النفط في العالم ، سبعة وعشرين مليون فلورين
لحاملي اسهمها حصة ارباحهم ، وفي سنة ١٩١٩ دفعت لهم ستة وتسعين
مليوناً !...

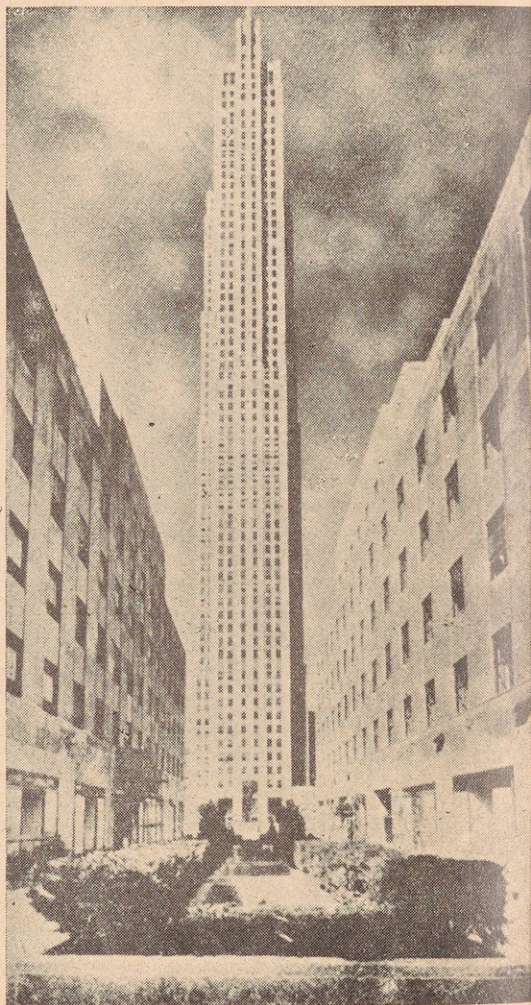
٣ — كان رأسمال رو كفلر سنة ١٨٦٥ خمسة آلاف دولار استقرضها من والده بفائدة ١١ في المئة ، وبلغ رأسمال شركته بموجب آخر احصاء مليارين وثلاثمائة وستة واربعين مليون دولار . وقد اعترفت شركة ستندر اويل — مؤسسة رو كفلر — وذلك سنة ١٩٢٠ بانها تربح سنوياً ربحاً يوازي رأسمالها . وقد كان رأسمالها يومئذ ملياراً واحداً من الدولارات ، فكم يبلغ الان ؟!...

هل قرأت هذه الارقام ايها العربي الفقير ؟ انها موجز اهمية النفط ! و «قصص» ملوك النفط، ومطوحاتهم واجرامهم ، واحسانهم ! — اجل ان فيهم لمحسنين ، يوقعون باليد اليمنى على تقرير يقضي باستعباد بلاد كبيرة ، وقتل شعب آمن ، وذبح نساء وشيوخ واطفال ، وايقاظ الفتن والثورات وخرب البيوت ، وشهر الحروب الصامتة والصاخبة ، السرية الخفية والعننية الظاهرة ، ثم يدفعون باليد اليسرى حواله بمليون او ملايين من الدولار لبناء مستشفى وتأسيس جامعة وتشيد مختبر لمكافحة الامراض !! — اما هذه القصص التي تشبه الاساطير وحكايات ألف ليلة وليلة فهي مجهولة من الرأي العام ، وبعضها غريب الحوادث المتناقضة مما يخيّل الى القارىء انها تروى لارهاب الجماهير القرية بذهنيتهما من ذهنية الاطفال !

وفي الواقع ، ان اسرار سياسة النفط مخيفة بل فظيعة ، ولولا بعض طوارئ مفاجئة ، او حوادث فردية غير منتظرة ، ولولا تكالب



ولتر تايجل ، خليفة روكفلر ، في
ادارة مؤسسات شركة
ستندارد اويل العالمية



ادارة مؤسسات روكفلر في نيويورك

الشركات وتطاحنها على هذه المادة ، والزاحم الشديد العلني الذي
استخدم رجال السياسة في المؤتمرات الدولية للدفاع عن مصالح تلك
الشركات الخفية لظلت اسرار سياسة « الذهب الاسود » ، او لظل
اكثرها ، طي الكتمان حتى الان ، ولظلت الشعوب والجمهير في
الدنيا ، وهي عنوان السذاجة وقلة التفكير المستقل ، على ظنها بان
الحروب التي تشهرها الدول انما هي « للدفاع عن ارض الوطن ! »
و « لحماية تربة الآباء والابناء من اغتصاب الفاتح » و « للدود عن
الكرامة القومية وراية الجودود » وما اليها من كلمات خلافة ، جذابة ،
تخدو القلوب و « تمرفن » النفوس ، وتقود الجماهير بالالوف والملايين
الى المجازر ، وهذه النعاج واهمة انها تتقدم من الموت لدفع الضم
والاذى عن حياضها ، جاهلة انها تتماحر وتتقاتل لان محتكري النفط
قد اختلفوا على سنتيم او سنس او مليم في تسعيره ، ولان ملوكه
يتسابقون الى الحصول على امتياز في ارض تجري من تحتها انهار
النفط كالـ ... بجحيم !

وبعد ، فماذا يهمنا — نحن العرب ، وسكان بلاد العربية —
من هذه الاساطير والحكايات الخفية ؟

ماذا يعنيننا من تطاحن ملوك النفط في اميركا الجنوبية والوسطى
والشمالية ، في فنزويلا وبوليفيا وبارغواي ، ونيكاراغوا وكوستاريكا

وبناما ، والمكسيك ، في جبال القوقاس واودية ايران ، في رومانيا وتركيا ، في السماء وعلى الارض وفي ... جهنم ، ماذا يهمنا من تلك الاسرار التي تصلح لانشاء القصص والروايات ، وهل نحن بحاجة الى استزادة معرفة بالاسرار ، واسس دياناتنا قائمة عليها ، وحياتنا محاطة بها ، ومصيرنا مغلف بغوامضها !

هل تهمننا اسرار النفط ؟

— ايها العربي العزيز ، المسكين ، ان الاسرار التي شبت منها هي « دعامة » الاسرار الجديدة التي ستعرف بعضها في هذه الفصول : ان الثورة العربية الاولى حركتها سياسة النفط ، وغذتها شركاته ، وكنا اللهب ولم ندر

ان الانتداب على فلسطين وشرقي الاردن ، وجعل الاولى وطناً قومياً لليهود ، هو نتيجة سياسة النفط في العراق ان الانتداب على سوريا ولبنان هو جزء متمم للنتيجة الاولى في القطرين الشقيقتين

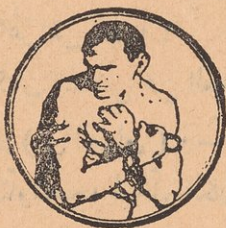
ان احتلال العراق ، فالانتداب عليه ، فالعهدة الحلفية معه ، ثم « استقلاله » ودخوله عصبة الامم ، ذلك كله كان لتأمين مجرى سياسة السائل الاسود الى شاطئ التبسط البريطاني

ان الروابط الاقتصادية التي يحكم عقدها الدهاء الانكليزي في فلسطين وشرقي الاردن والعراق ، والمهود التجارية لازالة الحواجز

الجزرية من بين هذه الاقطار ، والغاء جوازات السفر ، وتطويق سوريا باتحاد عربي موحد النظم الاقتصادية ، وسد السبل في وجه هذه المنطقة التي يحتلها الافرنسيون : هذه الانشاءات جميعها التي تلبس شكلاً تجارياً وترمي الى غايات حرية خطيرة الاثر في مصر الشرق ، هي وسائل الاستعمار البريطاني لاحتكار النفط العربي ، واخراج الافرنسيين ، فاخراجهم ...

واخيراً ، ان مشروع الخط الحديدي من شمالي سوريا الى الموصل فايران ، وتوسيع مرفأ حيفا ، وتوسيع مرفأ بيروت ، وانشاء المطارات في المرافئ والسهول ، واسكان الاقليات الجنسية والدينية في « اراضي الحدود » بين هذه الاقطار العربية هي عنوان الاستعداد الجبار الذي تعده الدول لحرب النفط المنتظرة

ايها العربي المسكين ، ان النفط هو ملكك وشيطانك ، حبيبك وعدوك ، محررك ومستعبدك ، معزك ومذل : هو حياتك وموتك ، فاعرف « شيئاً » من سياسته تعرف ما انت فيه وما انت واصل اليه !



الاول ، الملك ، القربان

بعض الكتاب يلقبون النفط بـ «صاحب الجلالة الملك» وهو ملك حقاً ، على المبدأ الدستوري ، يخدم شعبه أكثر من خدمة شعبه له ، وقد تطور شكل حكمه على مر الاجيال والقرون اسوة بزملائه الملوك ، فكان الهاً معبوداً ثم ملكاً لدستورياً ، وصار ملكاً ديموقراطياً ثم «فدائياً» يضحي نفسه ، اذ يحرق ذاته ، في خدمة الرعية ! هو مسيح ثان «لانتقاذ» البشر ، ولكن كنيسته ، سواء أسمى حبرها الاعظم وكفلر ام ديتردينغ ، تزداد تعسفاً واستبداداً بالامم والشعوب كلما ازداد هو تضحية وافتداء ...

وتأبى الاقدار الا ان يكون اصل هذا الاله شرقياً — «عربياً» — وان يكتب لبلادنا — أجارها الله — ان تصدر جميع الانواع الالهية ، حتى السوداء ... منها ! فقد كانت الجزيرة (بلاد ما بين النهرين او العراق) وفلسطين ، اول ارض عرف سكانها النفط واستخدموا اجزاءه لاغراض متنوعة :

✕ قلب صفحات الكتاب المقدس عن العهد القديم تقرأ ان بني نوح ارتحلوا الى شenaar (في العراق) وسكنوا فيها «وقال بعضهم لبعض : تعالوا نصنع لبناً وتضججه طيناً. فكان لهم اللبن بدل الحجارة والحر كان لهم بدل الطين، وقالوا : تعالوا نبين لنا مدينة وبرجاً

برأسه الى السماء ... فبدد هم الرب من هناك على وجه الارض كلها
وكفوا عن بناء المدينة ، ولذلك سميت بابل ، (١)

ولما غضب الله على البشر لأن الارض امتلأت ظلماً منهم ، وما
كانوا قد عرفوا الانتدابات بعد ، ولا عهد لهم بالاستعمار ، أتى بطوفان
الماء يهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء . وكان نوح قد
وجد نعمة في عيني الرب فامر به ان يصنع فلكاً من خشب قطرانى ويدخله
وعياله ، وقال له : « تجعل الفلك مساكناً ، وتطليه من داخل ومن
خارج بالقار » (٢)

وكان الطوفان او ... فار الثور — كما جاء في القرآن الكريم
وهو اصح تعبيراً ، فاخذ فلك نوح يسير على وجه المياه حتى «استقر
في الشهر السابع ، في اليوم السابع عشر منه على جبال
اراراط» (٣) — «وقيل: يا أرض ابلعي ماءك، وياسماء اقلعي، وغيض
الماء، وقضي الامر، واستوت على الجودي ، وقيل بعداً للقوم

(١) سفر التكوين ، الاصحاح ١١ : ٣ و ٤ و ٨ و ٩ — والحمر
يضم الحاء وفتح الميم نوع من القار اي الزفت المعدني . والعامّة تشدد الميم
(٢) القار ، ويقال له القير ، والحمر ، والزفت ، مادة مكونة
من ثفل (طحل) النفط الذي يطير غازه من التبخر ...

(١) سفر التكوين ، الاصحاح ٦ و ٧ و ٨

الظالمين ! » (١)

ثم نقرأ انباء النفط في مواضع كثيرة من الكتب المقدسة ، فقد ذكرت التوراة ان غور السديم الذي هو بحر الملح « كان فيه آبار حمر كثيرة » — والحمر كما علمت ثفل النفط الذي يطير غازه من التبخر — فلما كثر صراخ سدوم وعمورة ، وخطيئتهم . . . قد عظمت جداً ، بعث الرب ملاكين الى لوط اخرجاه مع امرأته وابنتيه ووضعاه خارج المدينة لشفقة الرب عليه ، وهرب لوط « فامطر الله على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عنده من السماء ، وقلب تلك المدن وكل الدائرة (دائرة الاردن) وجميع سكان المدن ونبت الارض . . . والتفتت امرأة لوط الى ورائها فصارت عمود ملح » (٢) — « فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها ، وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ، مسومة عند ربك ، وما هي من الظالمين ببعيد » (٣) —

(١) سورة هود (٤٤) الضمير في استوت يعود الى السفينة (الفلك) وقال الاستاذ محمد فريد وجدي في تفسيره البليغ ان الجودي جبل بالموصل

(٢) — سفر التكوين : الاصحاح ١٤

(٣) — سورة هود (٨٢) ويقول الاستاذ وجدي في تفسيره :

« (من سجيل) اي من طين متحجر . وقيل اصله من سجين اي جهنم فابدلت نونه لاماً . (منضود) اي منتظم متتابع بعضه يتبع

« وبكر ابراهيم في الغد الى المكان الذي وقف فيه امام الرب، وتطلع نحو سدوم وعمورة ونحو كل ارض الدائرة ونظر : واذا دخان الارض يصعد كدخان الاتون » (١)

ويشرح علماء الجيولوجية اسباب ذلك الانفجار بان الارض المعروفة اليوم بالبحر الميت ، اي غور السديم او بحر الملح ، كانت في عهد ابراهيم ولوط مستودعاً عظيماً للنفط ، مستوراً بقشرة ارضية خضبة ، ولما كان السكان يحفرون فيها لاستخراج الحمر لاجل البناء ، فيعتقد أن صاعقة انقضت عليها ونفذت من الحفر الى المعادن او أن

بعضاً . (مسومة) اي معلمة للعذاب . مشتق من السومة وهي العلامة . (عند ربك) اي في خزائنه . — ثم فسر الاستاذ وجدي معنى الاية قال : « فلما جاء عذابنا قلبنا مدينهم بهم وامطرنا عليهم حجارة من طين متحجر متتابعة ومعاملة من خزائن ربك وهي ليست من الظالمين يبعيد » اهـ

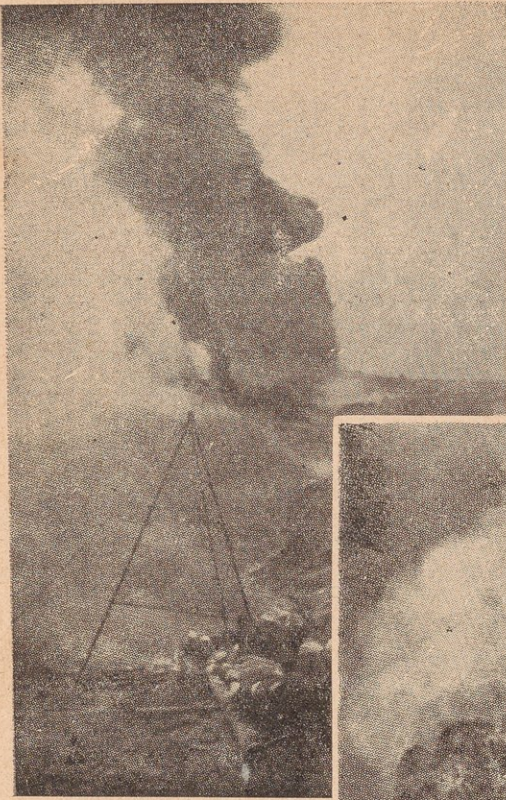
(١) — سفر التكوين : الاصحاح ١٩ وفي هذا الاصحاح (١٩) قصة « طريفة » عن لوط وابنتيه اذ سكنوا في المغارة بعد ذلك الانفجار البركاني ، وسقت الابنتان اباهما خمرأ في الليل واضجعت كل منهما معه ، كل منهما في ليلة ... وتقول التوراة ان لوطاً هذا لم يعلم باضطجاعهما ولا بقيامهما ... فحبلتا منه !

الغازات فارت فجأة والتهبت باحتكاكها باوكسجين الهواء ، فالتهب
 أحد آبار النفط وامتدت النار الى الآبار الأخرى وانفجرت الأرض
 تحت سدوم وعمورة فاحترقتا بالنار والكبريت ، وأمطرت عليهما حجارة
 من سجيل ، وعرف العهد القديم الذي سبق التاريخ نوعاً من انواع
 البراكين النفطية التي نشاهدها او نسمع بها في ايامنا هذه ، ولكتنا —
 لقصر في عقولنا ، او كفر في قلوبنا ... — ننسبها الى عوامل
 كيميائية في حين انها غضب من الله علينا . لان الأرض امتلأت جوراً
 من ... « البشر » ، وخطيئاتهم ... كثرت جداً !

ومما ذكرته التوراة عن النفط ، دلالة على ان اجدادنا الشرقيين
 عرفوه واستخدموه ، حكاية موسى السليم اذ ولد في عهد الظلم
 الفرعوني وكان العبرانيون مأمورين برمي ابنائهم في المياه ، فكتمت
 امه امره ثلاثة اشهر « ولما لم تستطع ان تخفيه بعد ، اخذت له سقفاً
 من بردي وطلته بالحر والزفت وجعلت الولد فيه ، ووضعت بين
 الخيزران على حافة النهر » (١) فرأته ابنة فرعون واخذته

ولم تقتصر الكتب المقدسة وحدها على وصف حوادث النفط
 وانبائه في العصور الاولى ، فمما ذكرها كثيرون من مؤرخي العالم
 القديم ولا سيما « بلين » و « هيرودوت » و « بلوتارك » ، ولهذا
 المؤلف اليوناني الاخير حكايات ووصف مسهب عن النفط وعناصره

فحت تأثير الضغط والاحتكاك يشتعل
النفط ويرتفع نحو ... السماء



وهذا الرسم يمثل حادثة اشتعال في
مراكش بعيد للذاكرة حادثة
سدوم وعمورة

بقي كتابه الخالد « حياة الاسكندر » ، ولم تكن هذه المادة يومئذ باقل
 تفهماً — على ما يصفها بلوتارك في كتابه — منها اليوم ، فقد كان
 المصريون يأتون بها من هيت ، على الفرات ، لتحفيظ الموتى (١)
 وكان الملاحون يطلون بها زوارقهم . ومما يرويه بلوتارك في هذا
 الصدد ان الاسكندر يوم كان في بابل اختار شاباً من بين رجاله
 جميعاً اسمه اثنوفانوس ليعخدمه في الحمام ويدلك جسمه بالزيت لانه
 كان يحسن « مماجنته » وتسليته ... وتعرف العاهل الى شاب آخر
 يدعى اسطفانوس كان جميل الصوت ويتقن الانشاد الحنون فقربه
 اليه بالرغم من بشاعة وجهه ، واتفق ان اسطفانوس وجد يوماً
 في غرفة الحمام فقال اثنوفانوس للاسكندر : « أريد مولاي ان
 نجرب تأثير النفط في جسم اسطفانوس ؟ اتنا سنشعله عليه ، فاذا لم
 ينطفئ ، فإذن عندئذ بان قوته اعجوبة وليس من شيء اعظم منه »
 واحب اسطفانوس ان يساير عبث الاسكندر فقدم نفسه مختاراً
 لتلك التجربة ، فما كاد يدلك بالنفط ويقرب من النار حتى اشتعل
 كله ، فاضطرب الملك اضطراباً عظيماً ، واسرع الخدام الذين كانوا
 في الحمام وصبوا الماء على المنشد وبذلوا جهداً كبيراً في اطفاء اللهب
 ولكن المسكين قضى طيلة حياته مقعداً مشوهاً ! ...
 وقد يكون في قصة ذلك المنشد اسطفانوس الابله — ولم يخل

منشد من بله !... — وجه للشبه بين عبث الملك الاسكندر بفرد
من ابناء رعيته ، وبين عبث ملوك النفط اليوم برعاياهم التي هي شعوب
الارض باسرها ، وليس من عجب ان يستعبد النفط الشعوب بعد
استعباده الافراد ، فان كل شر يبدأ صغيراً ثم ينمو ويكبر ، الاحب
« الطوائف » للدول الغريبة عنها فانه يبدو في بدئه غنياً قويا ثم
يصغر ، فيضمحل ، فيتلاشى !

واذا لم يكن لنا من الغزاء بد ، — بعد ان كنا اول شعب
عرف النفط واستخدمه للخير : للبناء والتداوي والفرن ، وهذه هي
الشعوب القوية تستخدمه اليوم للتدمير والقتل والهمجية ، ثم صرنا
بسببه عبيداً ، وانوفنا راغمة ، — فحسبنا غزاء ان التاريخ سيجل
لاجدادنا هذا السبق (١)

وزادنا الله تعذيباً على اهمالنا شأنه الخطير وسماحنا للاجانب باستثماره
واستعبادنا !

كان النفط يسمى بالحجر ، والقار ، والزفت ، ولم تطلق عليه كلمة

(١) لقد انصف ايمار الشرق بقوله (ص ١٣) : « ان التاريخ
يظهر لنا ان الشعوب القديمة في مصر وفلسطين وبلاد العرب والعراق
وايران عرفت النفط في جميع الازمان وكانت أسبق الشعوب الى
استخدامه »

« بترأ أوليوم » الا في كتابات « بلين » (١) ومعناها « زيت الحجر او الارض » وهذا اصح تعبير ، ثم حرفت فصارت « بتروليوم » ، و « بترول » . وانتقلت معرفة الناس به من الشرق الى الغرب فاستخدم للتحنيط والتداوي ، وفي القرن الرابع عشر صار يشعل للاضاءة . وكان الهنود اول الذين استخدموه في اميركا .

وظل شأنه على هذا الحال الى منتصف القرن التاسع عشر ، الى سنة ١٨٥٣ ، اذ كان الكولونيل ادوار دراك (٢) يحضر بترأ في بلدة تيتسفيل في ولاية بنسلفانيا الاميركية ليستخرج الملح بعد تبخير مياهه واذا بمائع زيتي ينفجر فجأة مرتفعاً بقوة عظيمة في الجو ، واذا التاريخ يسجل اكتشاف اول بتر للنفط في العالم !

وكانت تجارة السائل الاسود ، التجارة السوداء ، وسبقت الولايات المتحدة العالم فيها ، فالفت الشركات الرأسمالية ، وارصدت الاموال لتنظيم تجارتها وصناعته ووضع الكتب العلمية عنه ، واصبح النفط بعد مدة وجيزة مادة حيوية للناس وللدول ، بعد ان كان دواء للسسل والسرطان والرشح والهواء الاصفر ، فباغت اعمال الميسطرين عليه قمة الازدهار — وهؤلاء الميسطرين حوادث وفضائح تقشعر منها الابدان سنوجزها في كتابنا الثاني — واعلنت الحروب بين شركات الاحتكار الضخمة ، وسيطر زعمائها على سياسة الولايات

(١) PETRAE OLEVUM (٢) Cl. Edouard DRAKE

التي يستخرج منها النفط ، وصار لهم نواب في مجالسها ، ونواب
وشيوخ في الندوة التشريعية العليا (الكونغريس) في العاصمة
واشنطن ، ينوبون في الظاهر عن الشعب ويمثلون في الباطن مصالح
اولئك المحتكرين .

وضجت الصحافة من فضائح شركات الاحتكار ، واحيل
الكثيرون من اربابها الى القضاء فتمكنوا من تسخير مصالحهم ، فازداد
الرأي العام انتباهاً لاهمية المادة السوداء التي قلبت صناعة العالم
رأساً على عقب وحدثت ثورة حيوية فيه ، واهتمت الدول
للبحث والتنقيب عنها ، وانبثت بعثات المهندسين في مجاهل الارض
وفي سائر انحاء المعمور تفش عن « الحياة » الجديدة التي كانت الهاً
وصارت ملكاً ، واصبحت قرباناً على مذبح المطامع !



مطبعة . . .

تبدأ في شكلها الظاهر منذ ثلاث وثلاثين سنة — عمر السيد المسيح على التمام — وترجع في تاريخها الحقيقي الى عهد مجهول لم يضبطه كاتب : حكاية مقدمتها بطيئة طويلة، ومشاهدها سريعة قصيرة، وتنتجتها سنون واجيال

المقدمة : في اليوم التاسع من شهر صفر ١٣١٩ و ٢٨ نوار (مايس) سنة ١٩٠١ ، وبعد مفاوضات ومراجعات ، تم الاتفاق بين الانكليزي الفرد ليتلتون ماريوت ، بالنيابة عن موكله ولیم نوکس دارسي «ملاك مقيم في لندره ، شارع ساحة غروسفثور رقم ٤٢» (فريق اول) وبين صاحب الجلالة الامبراطورية مظفر الدين شاه ايران (فريق ثان) على عقد امتياز كتب باللغتين الافرنسية والایرانية

المشهد الاول — في اليوم الرابع من شهر حزيران (يونيو) من تلك السنة ، ذهب المستر ماريوت ، وكيل المستر دارسي ، الى مقر القنصلية البريطانية في طهران ووقع على العقد بحضور المستر جورج غراهام نائب القنصل الذي صدق صحة التوقيع وسجله في اليوم الثاني في سجل القنصلية (من ص ١١٢ الى ص ١٢٤)

المشهد الثاني — في اليوم السادس من حزيران جاء الى مقر

القنصلية المذكورة الصدر الاعظم امين السلطان (اتابك اعظم) ومشير الدولة وزير الخارجية الايرانية (١) فوقعا على العقد باسم الحكومة ، وصدق نائب القنصل نفسه صحة التوقيعين

المشهد الثالث — في اليوم عينه انتقل الممثلون المذكورون من مقر القنصلية البريطانية الى البلاط الملكي حيث تشرفوا بالمثول بين

(١) كان كبار الموظفين من وزراء وسفراء في عهد الشاهات القاجاريين يلقبون بالقباب رسمية يعرفون بها ويشتهرون ، وكانوا يوقعون على الاوراق الرسمية بتلك الالقاب ، مهملين أسماءهم الحقيقية ، فتراهم مشهورين بالقباب سيف الدولة ، ومشير الدولة ، وعضد الدولة ، وامين السلطان ، واحتشام السلطنة ، وسالار الدولة الخ الخ وقد أحسنت الحكومة البهلوية صنعاً بإلغاء تلك الالقاب الجوفاء واستخدام الاسماء الحقيقية . اما الصدر الاعظم امين السلطان الذي وقع على عقد دارسي فكان يدعى ميرزا علي اصغر خان ، ووزير الخارجية مشير الدولة ميرزا حسن خان بيرنيا ، وقد تندهش من العلم بان هذا الوزير الكريم بمساعدة الاجانب ، والسخي عليهم في نصوص الامتيازات التي كانوا « يمنحونها » في العهد الماضي ، هو اليوم مساهم في شركة الانكلوبرشيان — التي قامت على انقراض شركة دارسي — ويعد من كبار النفطيين الشرقيين .

يدي جلالة الشاه المعظم، وتشرف العقد بتوقيع يد جلالتة الكريمة...
 وصدق نائب القنصل صحة التوقيع
 واسدل الستار

.....

ماهو ذلك العقد ؟

هو امتياز « منحه » ولیم نوکس داریسی جاء في البند الاول من
 بنوده الثمانية عشر مانصه :

« البند الاول — : تمنح حكومة الشاه صاحب الامتياز الامتياز
 الخاص والمنحصر في البحث والتنقيب عن الغاز الطبيعي والنفط
 (البترول) والقيز (الاسفلت) وحجر الشمع (الاوزوكيريت)
 في جميع انحاء المملكة الايرانية ، واستخراج هذه المواد ،
 والاستفادة منها ، وتنميتها وجعلها صالحة للتجارة ، وتصديرها
 وبيعها ، الى مدة ستين سنة ابتداء من تاريخ هذا العقد

البند الثاني — : يشمل الامتياز الحق المنحصر لمد الاناييب اللازمة
 لهذه الاعمال ، من الاماكن التي قد يوجد فيها مادة واحدة او
 عدة مواد من المذكورة في البند الاول ، الى خليج فارس ، مع
 مايتفرع على ذلك من التشعبات الضرورية للتوزيع . وكذلك
 يشمل حق حفر آبار وبناء خزانات ومحطات ، واستعمال مضخات
 للاذخار والتوزيع ، وتأسيس معامل وسائر الاعمال والمؤسسات

التي تقضي الحاجة اليها

البند الثالث — : تمنح حكومة ايران صاحب الامتياز حق التصرف مجاناً بجميع الاراضي غير المزروعة العائدة للحكومة، التي يراها مهندسو صاحب الامتياز بانها ضرورية لبناء الاعمال الانفة الذكر، او قسم منها الخ ...

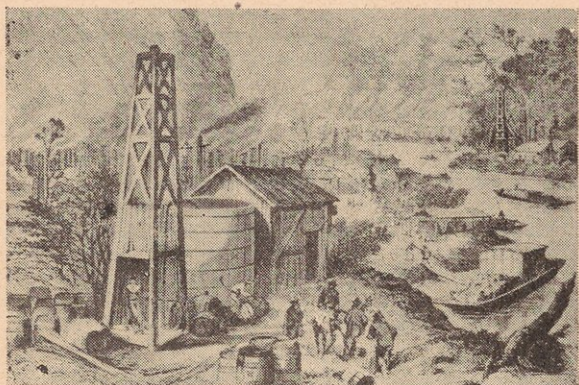
وكذلك تمنح الحكومة (الاي رانية) صاحب الامتياز حق استملاك جميع الاراضي الاخرى والابنية اللازمة للقصد عينه، وتتعهد بموافقة اصحاب الاملاك على الشروط التي تقرر بينه وبينهم الخ .

البند السابع : — تعفى من الضرائب والرسوم جميع الاراضي الممنوحة بموجب هذا العقد لصاحب الامتياز، والتي يشتريها، وكذلك تعفى المحصولات المصدرة في اثناء مدة هذا الامتياز، وتعفى ايضاً من الرسوم والكوس الجمركية جميع الالات والمكينات التي تجلب الى ايران واللازمة لمشاريعه المذكورة في هذا العقد.

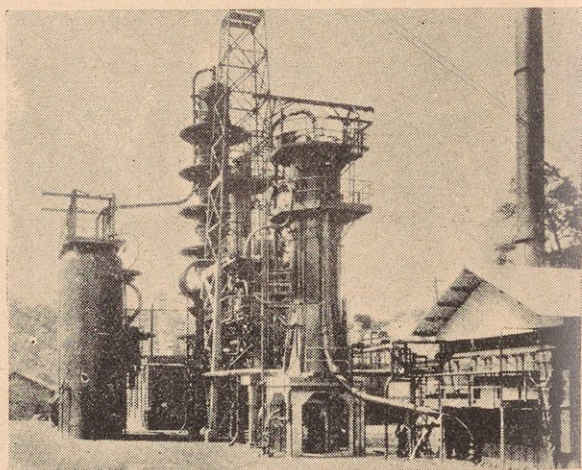
.....

.....

البند التاسع — : تخول حكومة ايران صاحب الامتياز حق تأسيس شركة او شركات لاستثمار هذا الامتياز ... وهذه الشركة والشركات ستمتع بجميع الحقوق والامتيازات



بدء صناعة النفط منذ صف قرن



الات صناعة النفط في ايامنا

الممنوحة للمهندس دارسي ، غير انه يجب عليها ان تأخذ على عاتقها جميع العهود والتبعات التي قبلها صاحب الامتياز الخ « (١) »

هذا موجز العقد الذي اشتهر باسم « امتياز دارسي » صاحبه ،

(١) يرى القارئ نص الامتياز منشوراً بكامله في آخر هذا الكتاب . William Knox D'Arcy وقد تنوعت أقوال كتاب النفط في جنسيته : فالاستاذ نيكوليسكو الروماني ، وهو عالم رزين الحجة وأخصائي في شؤون النفط ، يقول (ص ١٤٣) ان دارسي من جزيرة نيوزيلاندة (مستعمرة بريطانية في قارة اوسيانية) وقال عنه اymar الفرنسي (ص ١٩٧) انه اوسترالي ، وزينخكا النمساوي (ص ١٢) وبوكار الافرنسي (ص ٩٤) ينسبانه الى كندا ، والكاتبان السكسونيان دافنبورت وكوك يقولان (ص ١١) انه انكليزي ... ولكن الجميع يثبتون انتسابه الى راية سيدة البحار . وكذلك تناقضت الروايات عن انتقال امتيازه الى شركة « الانكلوبرشيان » الانكليزية الهولاندية مما سنشير اليه في موضعه .

واستدنا في فصلنا هذا عنه الى بوكار (ص ٩٠) وزينخكا (ص ١١) ولكننا نبه القارئ الى ان الحفة الروائية تنزع بهذين الكاتبين الى الرعونة والخطأ في استنتاجهما وحكمها على الحوادث ..

والذي يشبه في مراحلہ التاريخية حكايات الف ليلة وليلة ، فمن هو دارسي ، وكيف « منح » هذا الامتياز السماوي ؟

في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، حط رحاله في طهران مهندس نحيل ، « ناشف الوجه » ، يدعى ولیم نوکس دارسي كندي الاصل ، قطع البحار والامصار بين الغرب والشرق ، ونزل ايران ليتطوع في خدمة صاحب الجلالة الشاه ، اسوة بزملائه الاجانب الذين كانوا يقدمون النصائح في ذلك العهد لصاحب الجلالة ، طاهرة عفواً ، لوجه الله الكريم .

ولم يكن عسيراً على الاجنبي في ذلك الزمن المشؤوم ، ولا سيما اذا كان انكليزياً أو روسياً ، أن يتقرب من البلاط الملكي ، فحمل رجال الحاشية صاحب العرش على الاعتقاد بان المهندس دارسي يحب الشرق عامة لانه مهبط الوحي ، ويعطف على ايران خاصة لانها مهد أقدم حضارة في تاريخ الشعوب الموجودة . فرضي الشاه عن الخادم المتطوع بالنصائح المجانية وقربه منه (١)

(١) كان الشاه مظفر الدين ضعيف النفس ، صبي الارادة ، وقد تولى الحكم بعد مقتل الشاه ناصر الدين الذي عاش فاجراً ظالماً وأباح بلاده لمطامع المستعمرين ، فتنزل عن ترکستان لقيصر بطرسبرج ، ومنح الامتيازات الرئيسية في ايران للانكليز والروس ، وأرهق

ويؤكد الذين عرفوا دارسي انه كان شريف الغاية ، يرجو أن ترتقي البشرية الى مستوى يعيش الناس فيه برغد وطمأنينة : مبادئ مستحبة أخذها من « روح » التعاليم المسيحية ، لولا بعض النمرة

الشعب بالضرائب ، مما جعل عهده مخجلاً في تاريخ الشرق . وقد قتل على أثر الهياج الذي عم إيران من منحه شركة انكليزية امتياز حصر الدخان ... فلما خلفه شاه مظفر الدين كانت حال المملكة المالية في خراب وفقر مدقع ، فرهن المكوس (الجمارك) لدى الروس ، ومنحهم امتيازاً بالشاء مصرف رسمي باسم « بنك الاستقرار » بات مديره بمثابة الشاه الحقيقي : ينهي ويأمر بما يوافق مطامع الاستعمار الروسي ، غير مبال بكرامة البلاد ومصالح الشعب . وحسبك ان تعرف أي امتياز سماوي منحه مظفر الدين للمهندس دارسي لقاء بعض دريهمات انفقها على ملاذه في اوربا لتعلم شيئاً عن حالة إيران في ذلك العهد المشؤوم !

وللكاتب الافرنسي الكونت غوينو مؤلف بعنوان : « ثلاث سنوات في اسيا » ذكر فيه كثيراً من مآسي ذلك العهد المخجل ، ليرجع اليه من يهتم لشؤون الشرق في زمن الاستبداد والارهاق ... ونقول بهذه المناسبة ان الشاهات القاجاريين هم من أصل غير إيراني ، فلا عجب ان يهملوا مصالح إيران ! ...

السكسونية فيها . وكان فوق سكسنه مهندساً : أي مادياً ، وضعياً .
« رقمياً » — اذا جاز هذا التعبير — فقد تأثر فكره بالمادة كما تأثر
قلبه بالروحيات . ولما بدأ حياته العملية كانت الثورة الصناعية التي
خلقها النفط في ابان فوراتها ، فال بقواه كلها الى درس هذه الصناعة
و كشف اسرارها ، وكانت له فيها مجازفات ، ونضال وعمل مستمران
ويأس وعمل ، فقتنوط ، فرجاء .

وفتح الله قلبه ، وذكر انه درس يوم كان في المدرسة أن بعض
قبائل في الشرق كانت تعبد النار ، وان مركز الديانة الزردشتية
كان في بلاد فارس ، وان الهياكل التي بناها المجوس كانت منارة
بلهب دائم يصعد من الارض ، والسنة النار ترتفع عالياً ولا يؤثر فيها
مطر ولا هواء !

— : يا الله !.. ما عساه يكون ذلك الاله الدائم ، والالسنه
النارية المضطرمه صيفاً وشتاء ، في هياكل المجوس ؟

ألا يمكن أن تكون غازاً منطلقاً من جوف الارض ، وأن تكون
تلك الارض مناطق نفطية ؟

ألا يجوز أن يكون كهان المجوس قد بنوا هياكلهم في تلك
الارض خصيصاً لايقاع الناس في الوهم أن ديانتهم هي فوق ادراك
البشر ، وأن لها القوة الخالدة ؟

اذن ، فالى ايران ، الى بلاد الهيا كل المجوسية والديانة الزردشتية

حط دارسي رحاله في طهران ، وفتح له النفوذ الانكليزي ، المسيطر يومئذ على مقدرات البلاد ، ابواب التيسير في مفاوضاته وعلاقاته بالحكومة والرعية ، ولكن الطبيعة عسرت مهمته وكسرت خياله فقد قضى الشهور والسنين يحجوب الصحارى والجبال والاودية مفتشاً عن الضالة المنسودة ، ناقباً ارض الهيا كل المجوسية ، وهو يصطدم بجبال من اليأس ، حتى خسر شبابه وصحته وماله ، ولم يبق لديه الا ايمانه بالله ، وايمانه بنفسه ، فسافر الى انكلترة والف شركة قدمت له المال اللازم لمتابعة الجهاد ، فباعت أعمال الشركة بالفشل ، ورجع ثانية الى انكلترة لتأليف شركة جديدة فلم يوفق ، وكاد القنوط يستولي عليه ، وبدأ اصحاب المال يسخرون منه ويتهمونونه بالبله والتدجيل ، وسدت ابواب الامل في وجهه - فصبر ، وثبت في ايمانه .

وعاد الى طهران كثيباً ، عاد اليها ليكون على مقربة من مسرح احلامه ومهد امانيه ، وانصرف الى التجارة الصناعية فأنشأ خطأ حديدياً صغيراً وانتهى به الامر الى الاثراء : أي ان المال جاءه صاعراً بعد أن ذاق الامرين في سبيله وتلاشت قواه للوصول اليه ، وبعد أن احتقره وودع حلمه الذهبي الجميل ! الا يرى القارىء وجهاً للشبه في

هذه « الحكاية » بين المال وبين المرأة ؟

اثرى دارسي ، فصاد اليه خيال النفط بشدة وعنف حتى كاد يقض عليه مضجعه ، وكان « صديقه » الشام قد « منحه » في هذه الفترة من الزمن الامتياز الذي أوجزنا بنوده في الفصل السابق ، وتابع هو تفتيشه عن الابار .

وفي ذات ليل ، وكان مستلقياً على فراشه يستعيد في مخيلته ذكرى المجوس ، طرق بابه ودخل عليه رسول من تستر (شوستار او شستر) يحمل اليه بشرى التوفيق ، وأنباء بأن النفط تدفق من بئر في تلك المنطقة الواقعة في شمالي الخليج الفارسي .

ودخلت حياة الشرق في طور جديد !

لم يصدق دارسي ما سمعته اذناه ، وخيل اليه انه لا يزال يحلم ، وان هياكل المجوس التي فتش السنوات الطوال عن آثارها وتحت انقاضها هي التي تترآى له الان من وراء مئات الاجيال : فقد قضى في درس طبقات الارض الايرانية اربع عشرة سنة ، وجاب الصحاري الموحشة اشهرآ كاملة يبحث عن ضالته ، وحيداً لا يرافقه أخ ولا حبيب ، ويحتاج الى القوت والماء مراراً ، وقد حرقته اشعة الشمس والف حياة الحيوان حتى كاد يظن نفسه حيواناً ... ولكن خشبة صغيرة لم ترافقه في اسفاره ايقظت فيه الضمير الانساني وأحيت في

قلبه الامل ، وكانت مع توراته وخرائطه ورسومه الصلة الوحيدة التي ربطته ، في عزلته ، بالحياة « البشرية » وذكرته انه ... انسان ! — فهل أنعم الله حقاً على عبده بما يصبو اليه ، وهل ترى عيناه النفط في زمان ومكان محدودين ؟

بهذه الخيالات والذكريات « سر » دارسي حتى الصباح ، فمشى الى تستر (شوستار) وشاهد النفط يتدفق من الارض فسجد يشكر ربه !

ونعرت كرامته فولى وجهه شطر الغرب وابتسم ... ابتسامة السكسوني المنتصر ، اذ ذكر التهم التي الصقتها به رجال المال في اوربا فنسبوا اليه البله والجنون ، وباتوا يحذر بعضهم بعضاً من امداده بفلس واحد ، واتهمه اناس بانه « نصاب » محتمل يؤلف الشركات المالية موها اصحاب الاموال بانه يحاول استخراج النفط وبانه في الواقع ييذر تلك الاموال على ملذاته الجنونية !

ولكن الصبر والثبات ، ولكن الايمان وفقه : — « ان من كان في قلبه ذرة من الايمان كحبة الخردل ، وقال لهذا الجبل : انتقل لا انتقل » — صدق الله العظيم ! — وهذا عبده دارسي يقول للارض : أخرجني النفط ، فتخرجه !

والانكليزي : « بنام باصرى مقتله ... »

في تلك الاثناء كانت اماره البحر البريطانية قد بدأت عهداً جديداً في سياستها ، وبدأت تهتم لشؤون السائل الاسود ، لتكون صاحبة مشاريع نفطية تستقل بها (١) فأوعزت الى جماعة من المهندسين

(١) كان اللورد فيشر الذي تولى اماره الملاحة البريطانية من سنة ١٩٠٤ حتى بدأ ١٩١٠ اول انكليزي نادى بوجود اتباع سياسة خاصة بالنفط ، وله في هذا الصدد مواقف تاريخية واعمال خالدة ، واليه يعزى الفضل الاكبر في ماوصل اليه الاسطول الانكليزي من العظمة ، فقد تنبأ منذ سنة ١٨٨٠ بإمكان الاستغناء عن الفحم بالنفط في موانئ الاسطول . وقد ذكر العالم الكيماوي اللورد مولتن ان اللورد فيشر هو الذي نبه الى اهمية النفط كمادة تصلح للوقد ، وذلك سنة ١٨٨٢ بعد اطلاق الاسطول الانكليزي القنابل على الاسكندرية ، وقال ان استخدام النفط يوفر عن الاسطول نصف القيمة التي ينفقها على الفحم

وكان اللورد فيشر مؤمناً بصحة فكرته ، متحمساً لها ، يعلنها ويدافع عنها في كل زمان ومكان ، وشايعه بعض زملاء له في الدعوة لها على شرط ان تفتش انكلترة عن منابع النفط في ممتلكاتها وتمتلك

بتأليف شركة اسموها « بورماه اويل » (١) وساعدتهم مادياً
ومعنوياً ، وعطفت على مساعيهم ، ومنحتهم حق استثمار قسم كبير من

آباراً تكون خاصة بها وحدها ، وقد تحمس بعض الانكليز لهذه
الفكرة لان الولايات المتحدة الاميركية كانت تحتكر النفط وتمون
العالم منه وتستبد به وتملي ارادتها على الشراة . ولكن اكثر موظفي
امارة البحر البريطانية كانوا على رأي آخر ، لانهم من انصار الفحم ،
وكلم شيخ عجوز ، وشيعة العجوز المحافظة على الكيان القائم
والابتعاد عن الافكار الجديدة الجريئة ، فقاوموا فيشر وحملوا على
فكرته مستهزئين منها

وقد روى اللورد فيشر في مذكراته صفحة من ذلك التاريخ
فقال : « دعاني ذات يوم اللورد ريتون ، وكان وزير الملاحة ، وقال
لي ان رجال الاسطول الانكليزي ينعثوني بالمتطرف المتباهي ، ولكنه
يرغب مع ذلك في تعييني عضواً في مجلس امارة البحر . فأجبت
الوزير بان اسناد هذا المنصب الي يؤدي حتما الى استقالة جميع الاعضاء
الآخرين من مجلس الامارة . ومضى اسبوع على ذلك الحديث
ودعاني ملتون ثانية اليه ، وقال لي وهو يضحك : « لقد كنت مصيباً
في جوابك ورفضك » ثم عيني مديراً للمدفعية البحرية ، وكان بعض
الناس قد بدأوا يلقبوني بـ « مهووس النفط » — (ايمار ص ١٢٢)

اراضي الهند النفطية ، ولكنهم لم يتمكنوا من تمويل تلك البلاد المترامية الاطراف لان الهند فقيرة بالوقيد ، (١) فاتجهت ابصارهم الى البلدان المجاورة ، واتصلوا بايعاز من حكومة لندره بالمهندس دارسي واتفقوا معه على العمل في منطقة صغيرة من البلاد التي يشملها امتياز السماوي ، وكان ذلك الاتفاق فاتحة علاقة اماره البحر البريطانية بكنوز ايران

وبدأت شركة «بورما اويل» عملها بدراسة تربة المناطق المجاورة ، وتردى مهندسوها برداء العلم والتجارة ، واعلنوا ان غاية شركتهم استخراج النفط من تستر (شوستار) وجلبه الى الخليج الفارسي لبيعه في الهند ، ولكنهم كانوا يضربون وراء هذه التجارة صرف دارسي بسلام... بعد التعويض عليه ببعض المال ، فيخلو لهم الجو ، ويسيطروا على اغنى بلاد نفطية احتكر ذلك الامتياز حق استثمارها وكان دارسي قد شاخ وشعر بحاجة الى الراحة فسافر راجعاً الى بلاده ، وما بلغ مرفأ الاسكندرية حتى وجد المساومين بانتظاره ، وكان هؤلاء المساومون يمثلون شركات اميركية وهولندية وانكليزية ، ويعلمون من نص امتيازهم ان بئره الاول ينحول صاحبه حق البحث والتنقيب عن المواد اللاهبة وفروعها في «جميع انحاء المملكة

الایرانیة « الاولايات الشمالية الخمس ، وان بنده التاسع ینحول صاحبه « حق تأسيس شركة او شركات لاستثماره » ، فهل تعجب من نزاحم الرأسمالین علیه ، و لیس انسان فی الدنیا — ولا سیمایا اذا کان غنیاً — یعنف عن ان یرغب ان یرغب فی الاحتفاظ بورقة الامتیاز علی انما ذکرى مستحبة لنفسه ، لا علی انها دستور ثروة طائلة تشتري مملكة بأسرها ، فیهی تعید الى ذاكرته خیال السنین الخوالی فی الصحراء ، والمذاب والتعب والغرث ، ولانها رفیقة صلیبه وتوراته وخرائطه فیود أن تنزل ورفیقاتها معه الى القبر

وأعاد المساومون الكرة وأغروه بالملايين فرفض : انه سكتوني و... عجوز . ویقول الكاتب النمساوی انطون زینحكا (١) ، وهو اول مؤلف اسهب فی سرد تلك الحوادث ، ان بعض « هم » — ؟... — بذلوا جهداً غالیاً فی اقناع العجوز ببیع امتیازه فلم ینجحوا ، فصارت حیاته عرضة للـ... موت ، ای ان اولئك الـ « هم » ، حاولوا اغتیاله .

وقد یتساءل القاری : ما فائدة محاولی اغتیال دارسی من قتله مادام امتیازه قائماً باسمه ، لم یحو له الى شركة او شخص یوم کان فی

قيد الحياة فلا يستطيع احد الانتفاع به ؟

وهذا الواقع هو « الفائدة » التي ينصرف الناقون عندئذ اليها ، هي فائدة سامية : انهم يحرمون غيرهم من الحصول على الامتياز كما حرمهم منه صاحبه — « تلي وعلى اعدائك يارب » يقول شمشون الجبار ، وتديماً انشد ابو فراس : « اذا مت ظناً فلا نزل القعر » !

صاجر دارسي من الحاح الملحين عليه ببيع امتيازه ، وافاقت فيه روحه المسيحية فتألم من تكالب الاثنياء على زيادة ثرواتهم ، تألم من صيرورة الحياة البشرية هزة الطمع والجشع ، واستحلل رجال المال وحلفائهم وعملهم قتل الابرياء وارهاق الضعاف في سبيل الاثراء ، تألم من هذه الذهبية المادية التي تسيطر على العالم وتكتسح مبادئ الاخاء والمساواة والحرية ، وتخضع الحق للقوة وتضع العدل تحت رحمة المصلحة الفردية ، وتسخر ملايين البشر لخدمة مئات الافراد .

ثارت مسيحيتها على الظلم المسربل بوشاح القانون ، واحزنه ان تصبح تعاليم سيده المسيح مورفيناً لتخدير الشعوب ، ولاسهوائها في الطاعة العمياء ، وان يكون العالم المسيحي اسبق من العالم اليهودي الى الظلم المالي واجرامه ، فعزم على تمزيق تلك « الورقة » الشريرة التي تساعد ذوي المضامع على جعل ايران مسرحاً لدسائس المتمولين الاشرار ، وللعجبال دسائس السياسة الاجنبية !

كان دارسي صادقاً في شعوره ذاك ، ولكنه لم يصدق الشاء
« جميع » مراميه من الحصول على امتياز النفط ، ولم يظهر امامه بانه
سكسوني قح من الطراز الاول : اي انه يريد أن يسكن العالم
باسره — اذا استطاع ! — فقد شرح لصاحب الجلالة منافع ايران
من النفط ، وأخفى منافع ارباب النفط ، من سكسة ايران
وللانكليز ، لا بطلان السكسة في مرامهم ابواب وسبل شتى ،
ولهم ذهنية فذة في فتح تلك الابواب والسير على تلك السبل ، فليس
من « الواجب » في نظر مستعمرهم ان يدوخ بلداً ما بالنار والمدفع ،
ويحصد شيوخه واطفاله ونساءه بالرشاشات وقذائف الطيارات ،
ليحملهم على حب انكلترة ، ان المسكن الاستعماري لا يستند الى
الحراب دائماً في انسلاله الى البلدان التي يرغب في بسط نفوذه عليها ،
بل يكتفي بسقي الشعب الذي « يرغب فيه » ملعقة صغيرة من السكسة
توافق قابليته : انه — مثلاً — يرتدي لباس الراهب الورع العفيف ،
ويعيش السنين الطوال في القرى النائية ، يعلم صغارها مبادئ القراءة
والكتابة الانكليزية ، ولا يعرض لدينهم او مذهبهم بشر ، ولكنه
« يبردخ » جاذبية الاعتقاد في اولئك الصغار بتودة وحكمة ونفاذ
بصيرة ، ويعلمهم حب الوطن ، اذا كان في هذا الوطن مسيطر اجني
غيره ، ويعلمهم تاريخ بلادهم وعظمتها ، ويعرض عليهم من حين الى
آخر صوراً من مظاهر الامبراطورية البريطانية ، فما هي غير بضع

سنوات حتى يشعر التلاميذ ، وقد شبوا ، بمعطف — ان لم نقل بميل — الى اعتقاد معلمهم الطيب القلب ، ويشعروا باعجاب يرافقه شيء من الجاذبية بمظاهر امبراطورية استاذهم . — ان للانكليز ابواباً متنوعة لادخال السكسنة في البلدان التي يطمعون ببسط نفوذهم عليها ، ورسلم في هذه المهمة فريقان : احدهما « بريء النية » في عمله ، يسعى ويشقى ويجاهد على اعتقاد منه بان تربيته وثقافته ومعتقداته هي افضل صلة بين الارض والسماء ، فمن الواجب عليه ان ينشرها ويشر بها في شعوب الدنيا جميعها ... والفريق الثاني خبيث عن قصد وسابق تصور وتصميم ، وهو ممثل بطبقات اكثر التجار والموظفين الذين نعرفهم في الشرق العربي . ولقد كان شيخنا دارسي من الفريق الاول ، وأحب سكسنة ايران بواسطة امتيازته ، وعلى هذا الامل ودع صديقه جلالة الشام مظفر الدين !

تبرم دارسى بمزعجه والملحين عليه ببيع امتيازته ، فهرب من مصر .

وكانت الباخرة تنقل من الشرق اشخاصاً لا يستطيع مخالطتهم ، فهم مزيج من الموظفين المتعطرسين الشاخين بانوفهم ، المعتقدين بانهم يستمدون سلطانهم من الالهة ، في حين انهم عبيد ينفذون اوامر الرأسماليين في البلاد التي يسيطرون عليها ، ومزيج من اصحاب

الاعمال الذين يقضون الليل والنهار في النقاش والحديث عن التجارة وارباحها ، ومن الارستوقراطيين الذين حردوا على الله لانه خلق انساناً من طينة غير طينتهم البضة ، مع هذا « الشجن » المتنافر دماً وفكراً سافر دارسي من الاسكندرية فقضى يوميه الاول والثاني لا يكلم احداً ، ولكن العناية التي رافقته في مغامرات شبابه ، ووفقته بمنابع النفط ، « وفقته » في عزلته البحرية بالتعرف الى راهب انكليزي كان في قبع مثله في زاوية منعزلاً عن المسافرين لا يبالي بسوى كتاب صلاته ، وسرعان ما نشأت بينهما صداقة بل قرابة روحية ! وطفق العجوز يشكو الى الراهب حمق الناس وابتعادهم عن الله تعالى وتكالبهم على النعم الدنيوية الزائلة ، فرد عليه الكاهن الورع بفصل من الزبور ، وآخر من رسائل القديس بولس . ووصلت الباخرة الى مرسيليا ولم يشعر ا بزوال الوقت

وسافرا معاً على باخرة ثانية الى نيويورك ، وسكنا مقصورة واحدة ، وتابعوا حياتهما الاولى : الكاهن التقي يقرأ في الكتب المقدسة والمهندس العجوز يصغي الى قراءته والدموع تهمل من عينيه ، واستقبح هذه الدنيا الزائلة فقال في نفسه : ماهو وزن العالم باسره مقابل كلمة واحدة من فم هذا الراهب القديس ؟

ووجد دارسي وجهاً للشبه بين حياته في صحارى ايرانه وحياته رفيقه في مجاهل افريقيا ، غير انه غص في التشبيه وغبط الراهب على

خسرانه الصحة والشباب في خدمة السيد المسيح والتبشير بتعاليمه السماوية ، وهو اذاب الصحة والشباب في الحصول على امتياز النفط وأخيراً ... باح رفيقه بما يحتاج قلبه من آلام

وكانت الباخرة على بعد ساعات من مرفأ نيويورك ، والرفيقان على وشك الافتراق ، فطلب الشيخ من صديقه نصحاً يبينه على فكرة خدمة السيد المسيح ، فظهر الكاهن اضطراباً ، وفكر ملياً ، ثم لمعت عيناه كأن وحياً سماوياً هبط عليه ، وقال له : « حول امتيازك الى احدى بعثات المبشرين ، فيذهب هؤلاء الى ايران على انهم موظفو شركة صناعية لاستخراج النفط ولكنهم يكونون في الواقع مبشرين بتعاليم الدين المسيحي ، اي منفذين الهدف الذي تصبو اليه ! » وقبل ان ترسو الباخرة في مرفأ نيويورك ، حول دارسي امتيازهم باسم رفيقه (١)

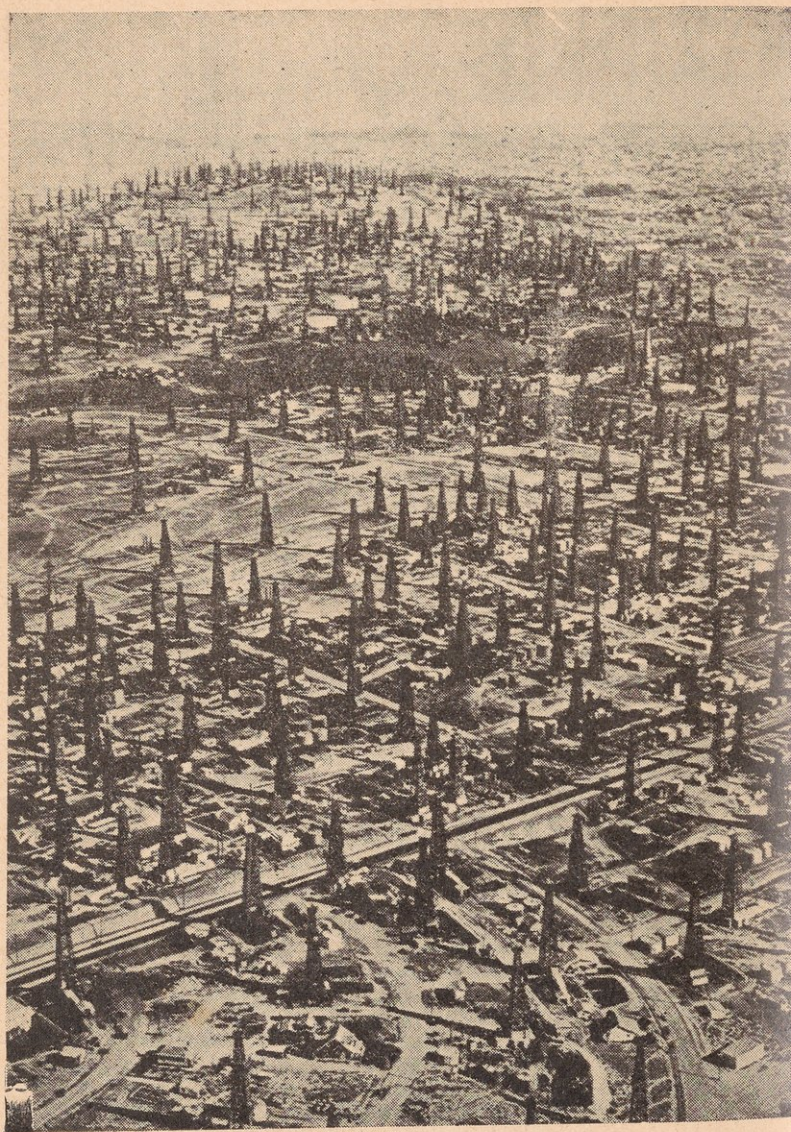
ونزلا الى البر ، فأسرع الكاهن الى دائرة البرق وطير هذه البرقية :

« لندن — دونغ ستريت رقم ١٠ »

« لاجل الامير . تم التوفيق — سيدني »

وشرح البرقية : « لندرة — دائرة الانتلجانس سرفيس — بلغوا الاميرال ان امتياز دارسي اصبح في حوزة الخدمة البريطانية سيدني »

(١) يذهب دافنبورت و كوك في كتابهما مذهباً آخر في انتقال.



بعض ابار النفط التي تخص ديتروينغ في المكسيك

ولم يكن سيدني ، الراهب الورد ، الا موظفا يهودياً في دائرة
التجسس البريطانية !

الامتياز من دارسي الى الشركة التي خلفته ، لم يشيرا فيه الى حادثة
التجسس بل يقولان ما معناه : (الفصل ١ و ٢ و ٣)

« ... وفي سنة ١٩٠٠ كان احد الانكليز واسمه وليم نو كس
دارسي يبحث عن النفط في صحراء ايران الجنوبية فاكتشف في
مكان قصي — في منطقة قصر شيرين في ولاية كرمنشاه — اباراً
غزيرة ولكنه وجد انه لا يستطيع الارتفاع منها تجارياً لبعده المسافة
بينها وبين العالم فادر كيه اليأس وكاد ينقطع عن العمل لو لم يتداركه
حسن الطالع ويجمعه بزميل له اعلمه انه قد عثر على ينابيع نفطية
في اكام البختاريين .

« وفي نوار (ميس) من سنة ١٩٠١ حصل دارسي على امتياز
عجيب من الشام يخوله حق استغلال منطقة شاسعة تقدر مساحتها
بـخمسمائة الف ميل مربع من المملكة الفارسية طيلة ستين سنة ، وقد
استثنى خمس مناطق لا يحق له استغلالها وهي ولايات ازربيجان
وجيلان ومازندان واستراباد وخراسان ، واحتفظت حكومة الشام
لنفسها بحصة من الارباح ، ثم تألفت بعد ستين شركة ثانية لاستغلال
ميل واحد يسمى اليوم بميدان النفط . ولما كانت تلك الاراضي واقعة
بين املاك القبائل البختيارية فقد رأت الشركة من الحكمة تخصيص

ثلاثة من المئة من الارباح توزعها على رجال تلك العشيرة ليضمنوا لها الهدوء اللازم... وكان ذلك الامتياز فاتحة قضية النفط في الشرق « وفي ٢١ ت ١ (اكتوبر) ١٩٠٤ اسندت وزارة البحر الى اللورد فيشر فصرف الوزير الجديد عنايته الى ترويج فكرته التي كان ينادي بها منذ سنة ١٨٨٠ (ارجع الى التعليق ص ٤٠) وحصر اهتمامه في تأييدها وتوسيعها . ويؤثر عنه انه كان يبدي نشاطاً عظيماً واستعداداً قوياً لمحاربة المانيا ويقول : « ان استخدام النفط قد زاد على قوة الملاحة البريطانية ٣٣ في المئة ، وباستطاعتنا ان نخزن منه ملايين الاطنان ولا نخشى عليه التلف او فقدان ميزاته ، وما نحصل عليه من البخار بوقد طن من النفط لا نحصل عليه الا بوقد طنين من الفحم »

« وبدأ اللورد فيشر عهده بمقارعة شيوخ الملاحة ورجال السياسة المتعصبين للفحم وحملهم على احترام دعاوته القوية التي كان شعارها : « استعدوا لحرب النفط ! » وكان يردد دائماً : « ابنوا الاحواض لخزن النفط ! »

« وما زال اللورد في جهاده ، وسيعده التاريخ اول محرض لبريطانيا على وضع سياسة خاصة بالنفط ، حتى استقال في ١٠ ك ٢ (يناير) ١٩١٠ من الوزارة ولكنه ظل « لحسن الحظ ! » كما يقول المؤلفان محتفظاً ببعصيته في « لجنة الدفاع الامبراطورية » وهو يروي

في مذكراته كيف هبط عليه في شهر نوار (مايو) سنة ١٩١٢ في مدينة نابولي رئيس الوزارة الانكليزية المستر اسكويث ووزير البحر المستر تشرشل ، ليحدثاه عن سياسة الحكومة النفطية ووجوب تأليف لجنة ملكية يطلق عليها اسم : « لجنة النفط لتموين الاسطول » ، وانهما « رشواه » برئاسة تلك اللجنة بعد ان كان قد اعتزم اعتقال السياسة ، فقبل بالمهمة الجديدة لانه يشارك زائريه رأيهما في ان الحرب المقبلة ستقع بسبب النفط

« وقد وضع المستر تشرشل برنامج العمل للجنة الجديدة ، طالباً منها ان تبحث عن امكنة النفط وتبين للحكومة وسائل خزنه باقل النفقات وشرائه بطريقة منتظمة واسعار بخسة في ايام السلم ، وبطريقة مضمونة ضماناً كافياً في ساعات الحرب . وتكون اللجنة استشارية لا تنفيذية ، تحصر مهمتها في جمع الحقائق والادلاء بالاراء ولكن لا يطلب من اعضائها تنفيذ شيء ولا التحكم في السياسة الانكليزية التي ترى الحكومة اتباعها في هذا الصدد ... » الخ

وهذه اللجنة ألفت شركة انكليزية بحث ، لشراء امتياز دارسي ويميل ايمار (ص ١٩٨) الى تأييد رواية دافنبورت وكوك ولكنه يقول ان دارسي طلب من اللورد فيشر رأساً مساعدته في استغلال امتيازهم « اذ يثس من مساعدة الجمعيات التي أمدته بالمال في تجاريه الاولى التي فشل فيها فعرض عليه بعض الاميركيين شراء

امتيازه وكان ذلك في سنة ١٩٠٨

ولم يكن له بد من القبول ليخرج من مأزقه الحرج ولكنه رأى ان يراجع اللورد فيشر الذي كان يسنده ويحميه فقابله واتفق الاثنان على وجوب الاحتفاظ بالامتياز ليظل نفط ايران تحت الرقابة البريطانية واوعز اللورد فيشر الى شركة بورماه اويل التي كان يسيطر عليها بان تهتم بامتياز دارسي فارصدت المال المطلوب . وانشتت شركة جديدة على الاثر لهذه الغاية دعيت شركة النفط الانكليزية الفارسية « انكلوبرشيان اويل كومباني » فبدأت الشركة عملها بنشاط ورافقها التوفيق ولكن النفقات الباهظة التي بذلتها في انشاء الاحواض ومد الانابيب وحفر الابار والتفتيش عن منابع اضطرها لان تتفق رأسمالها . وكان المستر تشرشل في تلك الاثناء وزير الملاحه البريطانية وهو من افذاذ الامبراطورية في نهضتها البحرية فعطف على الشركة واوفد لجنة من الخبراء لدرس طبقات الارض المشمولة بامتياز دارسي فكان الجواب بان الارض تغطي اعظم منابع نفطية في العالم فقرر الوزير منح الشركة جميع المساعدات المادية والادبية وعقد معها اتفاقاً لقاء ذلك تعهدت الشركة بموجبه بتموين الملاحه البريطانية بالنفط والاعتراف لها بحق الفضلية في الشراء . « ١ هـ
نقول : بل ان اماره البحر اشترت اكثر من نصف اسهم الشركة فاصبحت ملكاً لها وسنفصل ذلك في الصفحات الاتية .

سيرة العالم

في قلب لندره عاصمة الانكليز، في شارع دونغ (دونغ ستريت (١) ، تقوم بناية ضخمة الجدران ، عالية الاركان ، يدل

(١) اطلق هذا الاسم على الشارع المذكور تخليداً لاسم الوزير والسياسي الانكليزي النبيه ، السير جورج دونغ (١٦٢٣ - ١٦٨٤) ، الذي كان من ابطال الثورة على الملك كارلوس الاول ومن قواد جيش كرمويل . وقد عينته حكومة الثورة سفيراً في لاهاي عاصمة هولندا ، وانتدبته ليعمل على توحيد صفوف خصوم الكشلكة وان يراقب حركات الملكيين الهاربين من انكلترا الى تلك العاصمة ، ويكشف عن اهل الريسة منهم ويتجسس بواطن التجارة الهولندية التي كانت تراحم تجارة بلاده . وبعد رجوعه اقطعه حكومته ارضاً في محلة هويتهول ، حيث يقوم اليوم الشارع المعروف باسمه والموجود فيه مركز التجسس البريطاني . ولعل تسمية ذاك الطريق باسم دونغ ، وتشديد بناية « الانتلجانس سرفيس » فيه ، هو من باب « اذكروا موتاكم بالخير » و « ان آثارنا تدل علينا » !...

مظهرها على مركز شركة من شركات التأمين على الحياة . وهي في الواقع شركة تأمين ، ولكن على حياة الجماهير والشعوب والبلدان والقارات ، لا على حياة الافراد ... تلك البناية هي مقر سيدة العالم ، المعروفة باسم «الانتلجانس سرفيس» ، او دائرة التجسس البريطاني . هي مستقلة كل الاستقلال عن الحكومة الانكليزية باعمالها وسياساتها وموظفيها ، لها موازنة خاصة واملاك خاصة ، وتملك اسهما في مشاريع رأسمالية دولية ضخمة... وتسيطر على مصارف ومصانع ومزارع وشركات عظيمة في سائر انحاء المعمور، وتملك في المستعمرات الانكليزية اراضي شاسعة ، ويقال ان نصف المستعمرات هي ملكها الخاص ، فليس من العجب ان نراها تدير سياسة الامبراطورية وتضع خطط حكوماتها ومناهجها ، وان تكون صاحبة القول الفصل في اي اصطدام بين سياستها وسياسة احدى الدوائر الوزارية .

وعمال «الانتلجانس سرفيس» مجهولون من الحكومة ، بل مجهولون بعضهم من بعض لا يعرف احدهم الاخر . وقد يكون لها موظف في بيروت فيقضي عشر سنوات فيها ويظل مجهولا من القنصلية الانكليزية لا يتقرب منها الا عند ميسس الحاجة « الرسمية » اليها ، كالتأشير على جواز سفر ، او تسجيل عقد ، او غير ذلك ، وتعتقد القنصلية انه سائح ، او عالم من علماء الآثار ، او مهندس شركة ميكانيكية ، او تاجر سيارات ، او ممثل مصنع جوخ ، او ... راهب

من رهابين البعثات التبشيرية، ويكون في الواقع احد عمال دائرة التجسس !

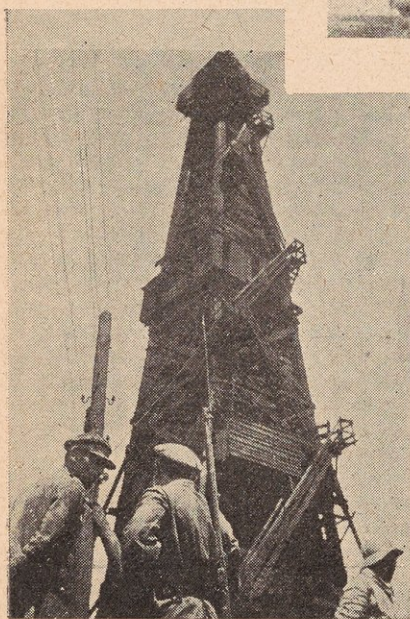
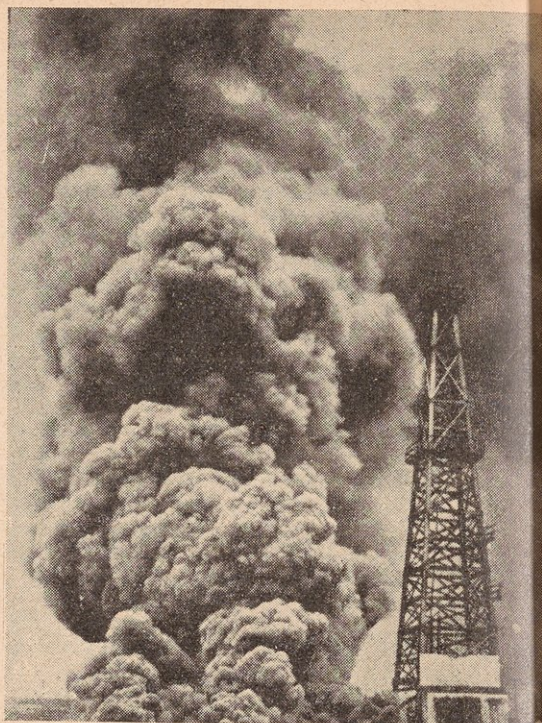
ولقد اجمع الكتاب السياسيون في اوروبا واميركا على القول بان « الانتلجانس سرفيس » هي اعظم مؤسسة عالمية في قوتها ونفوذها وتنظيمها وتحقيق اهدافها، لانها تضم اليها ادهى رجال الدنيا واوسمهم ثروة واشدهم عزيمة . وكتب الكثيرون الفصول المدهشة والكتب التاريخية والروايات المستغربة عن اعمالها، وذهبوا في القول بان ارادتها هي الفعالة في توجيه مرامي السياسة البريطانية الى حيث تشاء ، لان لها فروعاً في كل وزارة ، وفي هذه الفروع رجال اخصائيون ملمون بكل شاردة وواردة من شؤونها : ففي وزارة الخارجية دائرة خاصة بالتجسس ، وفي وزارة المستعمرات دائرة ثانية ، وفي وزارة الداخلية دائرة ثالثة ، وفي وزارة الحرب دائرة رابعة ، وفي وزارات البحر والطيران والتجارة والمال والعدل دوائر خاصة ، وفي كل دائرة حكومية اثر منها ... وجميع هذه الفروع متصلة اتصالاً وثيقاً بالوزارات القائمة فيها ، فلا يقوم وزير بعمل ما قبل استشارة فرع التجسس في وزارته ، — هي المستشار « المعهود » ايها القارىء الشرقي !... — ولكنها جميعها مربوطة بادارة التجسس العليا، ترجع اليها في كل امر، وتستوحى كل عمل ، مما يؤدي حتماً الى « تمرکز »

سياسة الحكومة كلها في قبضة الدائرة العليا ، وقل المفوضية العليا ، فلا عجب ان تكون الطور مبعث الوحي ، وان تكون ارادتها الاولى والاخيرة في تسيير دفعة الامبراطورية البريطانية .

ولا ريب بان لازدهار جزيرة انكلترة ونموها علاقة محكمة الارتباط بدائرة دوتنغ ستريت (١) . اذ انهما مشيا جنباً الى جنب في العظمة والتبسط ، فصارت انكلترة ، وهي الجزيرة الصغيرة ، اعظم دولة في العالم بمساعي تلك الدائرة واعمالها ، واصبحت هي اعظم مؤسسة في العالم بفضل ماوصلت اليه انكلترة من سمو الشأن والسلطان . وقد عرفت الدول اهمية التجسس وفضله على كيان الأمم ، فاعتنت به وارصدت الثروات الطائلة لتنظيمه وتعزيزه ، ولكنها قصرت جميعها

(١) اعناد الكتاب السياسيون في اوربا ان يثيروا الى وزارة الخارجية الانكليزية بكلمة « دوتنغ ستريت » ، لانها قائمة في هذا الشارع ، كما يثيرون الى وزارة الخارجية الافرنسية بكلمة « كي دورسي » لانها كائنة في الرصيف المسمى بهذا الاسم . وقد حذا الكتاب الاميركيون والشرقيون حذو الاوربيين في هذه التسمية ، وبما اتنا نكتب هذا الفصل عن دائرة « الاتلجانش سرفيس » ، فقد اشرنا اليها مراراً بكلمة « دوتنغ ستريت » لانها هي ايضاً موجودة في هذا الشارع — رقم ١٠ — ولانها احق بهذه التسمية « النسبية » واولى من وزارة الخارجية

بئر نفطية لشركة الانكلو برشيان
 « لعبت » بها النار . وحرق
 الابار هو ايسر سلاح تحمله
 شركات الاحتكار في حرب التزاحم



طلة السوفيات تحرس ابار النفط في روسيا
 نهراً خوفاً من وصول الايدي المجرمة اليها

عن استظهار الصفحة الاولى من مجلد الانتلجانس سرفيس . لان
الانكليز ذهنية فريدة في فهم الحياة ، وليس منهم من يستكشف
عن القيام باية مهمة تنتدبه اليها تلك الدائرة التي جعلت شعارها هذا
القول : « ان الجاسوس الذي يموت في سبيل بلاده هو جندي
يصرعه العدو في ميدان الشرف » ! (١)

يقول المؤرخون ان الملك هنريكوس السابع هو الذي اسس في
القرن السادس عشر دائرة التجسس ، وحذا حلفاؤه حذوه في تميمتها
والعناية بها الى ان كانت الثورة الشعبية التي هزت انكلترا وقلبتهاراساً
على عقب ، وكان بطاها المقدام اوليفيه كرومويل (١٥٩٩ —
١٦٥٨) في قطع رأس الملك كارلوس الاول ، فبذل زعيم الثورة
جهداً عظيماً لتنظيم التجسس ورصد حركات الاعداء في داخل المملكة
وخارجها ، وصرف عنايته الى جعل الانتلجانس سرفيس ركن الدولة
الركين ، فعظم شأنها وسما نفوذها ، وصارت سيدة البلاد تدين
لها الرقاب .

ويذكر العالمون بالامر أن لدائرة التجسس البريطانية عمالا
من الاجانب في الحكومات الاجنبية وسفاراتها ودور قناصلها ، في
كل بقعة من بقاع الدنيا ، مما جعل حكومة لندره اعلم الحكومات
بشؤون العالم واسرار الدول ، لأن رساها موجودون في كل زاوية ،

يراقبون مجرى الحوادث العالمية وتطور الحركات الشعبية والوطنية والقومية، ويسهرون على الازمات السياسية والاقتصادية والنفسية في كل بلد، حتى قيل ان بناية دوتغ ستريت تعرف حوادث العالم قبل وقوعها!... (١)

اما الصحف التي تملكها سلطنة الدنيا في البلدان الاجنبية فتعد بعشرات الالوف، وكل منها مؤسسة لهدف خاص. وبعض هذه الصحف تجهل انها تخدم التجسس البريطاني، بل تجهل ان المساعدات التي تأتيها من ذلك المصرف او الحزب، او تلك الشركة والجمعية، انما هي من اموال بناية دوتغ ستريت. وما هذه المؤسسات الاقتصادية والسياسية، اكانت مصرفاً او حزباً او شركة او جمعية خيرية، الا واسطة لعمال الانتلجانس سرفيس ليمدوا نفوذهم وخططهم الى كل مكان.

ويشترط في هؤلاء العمال ان يعيشوا لمهنتهم، اي ان يكونوا «فنيين» و «هواة» معاً، بل كما نقول في لبنان باللغة العامية: «ارباب كار»

(١) يبلغ عدد موظفيها ثلاثمائة الف عامل في انحاء العالم. وقد ذكرت جريدة «التيمس» ان دائرة الانتلجانس سرفيس «تسحب» من موازنة الحكومة الانكليزية اكثر من ثلاثة مليارات فرنك سنوياً. وبالرغم من وجود خمسة ملايين عامل باهل (بلا عمل)، لم يرتفع صوت بالاحتجاج على ذلك التصرف — لا بورت: ص ٥١ و ٩٥.

ولا يقبل للتجسس الا من كان شديد الذكاء ، دقيق الملاحظة ، ثبت الجنان ، جريئاً ، صبوراً ، قوي البنية ، يحتمل الاوصاب والمكاره ويجالد الاخطار والمماكسات. ويمتاز عمال التجسس السياسي في الخارج ، ارجالا كانوا ام نساء ، بنصيب وفير من الجمال الفتان وقوة الاغواء واناقة اللباس وفصاحة النطق ، لانهم يرتادون القصور ويخالطون الطبقات « العالية ! » ، ويراقصون السفيرات والوزيرات والرئيسات ، واعكس : فأنت الفاعل وذكر المفعول به ، كما عكست آية الطبيعة في هذه الايام ! ... وقل : يرتدن ويخالطن ويراقصن السفراء والوزراء والرؤساء !

الصق بعض الكتاب الاوربيين والامير كيمن اشنع التهم بالانتلجانس سرفيس ، ونسبوا اليها كل فرية ، وقالوا عنها انها كانت في المجزرة البشرية الاخيرة تبسيع الالمان الذخائر الحربية وتمونهم بالنفط والاشذية مما سبب اطالة ايام الحرب الفظيعة . ولو لم تعتمد التجارة وربح الذهب واكتساب الثروات البطائلة لكانت المجزرة قد انتهت منذ السنة الاولى . ويقول امير البحر الانكليزي و.ب. كونست في هذا الصدد : « ان تجارتنا الحقيمة ، المخجلة ، كانت من الاهمية بمكان في اطالة الحرب ، وها هو العالم اليوم ، وقد مضت خمس سنوات على خروجه منها ، يئن من نتائج تلك البلية » (١) .

والشرق يعرف من سيدة العالم ما لم يعرفه سواء ، فعلمها المحترمون
يسيطرون على كل قطر من اقطاره ، وفي جميع النواحي ، ولكن
خطتهم متناقضة المظاهر والنزعات ، متفقة النتائج والغايات في خدمة
الامبراطورية البريطانية . هذا عمنا الحاج فيلي ، نفعنا الله بصلواته
وبركاته ، يقارع الهاشميين احفاد رسول الله في الحجاز ، ويقدر
زناد الدعاوة الجمهورية في العراق ، ثم يؤمن بالوهابية ويظهر سيدها
في نجد ، ويكتب المقالات العنيفة في التيمس مهاجماً سياسة فيصل بن
الحسين ، عاطفاً على سياسة عبد العزيز بن سعود . وذلك لورنس
يخاصم زميله فيلي ويؤيد الهاشميين ويدافع عنهم ، وينزع من صدره
وسام فكتوريا ثأراً باكياً ، لان حكومته تريد نكث عهدها لابطال
الثورة التومية . وفي الحالين ترم العهد بينها وبين العرب المتعادين ،
لتمد اصابعها وتبسط نفوذها في اقطارهم !

ولقد كان للانتلجانس سرفيس شأن - ولا يزال - في سوريا ، نشر
بعض فصوله الكاتب الفرنسي بيار بنوا في روايته « سيدة قصر لبنان » ،
وشكا من لواذعه دي غونتو برون في كتابه المسمى « كيف استقرت
فرنسا في سوريا » ، وردد الثواب صدام في مجلسهم بيارس . لكن
التافهة ظلت وتظل ماشية . وها انت ترى اولئك العمال يحاربون
الاحتلال الافرنسي في بلادنا ويضربونه على رأسه الضرب المميت ،
وفي الوقت عينه يمدون اليه يد التحالف والتضامن ، فيمنعون —

اي تمنع حكومتهم — الثوار السوريين من ورود الماء في واد تحت نفوذهم ، او الالتجاء الى مستشفى للمعالجة في بلد مشمول بانتدابهم وحمايتهم !!

ومما يروى عنهم في مصر انه كانت لهم يد في انشاء الجمعيات السرية التي كانت تقوم باعمال فوضوية بين وقت وآخر ، فقتل بعض الاشخاص البارزين لخلق الازمات السياسية ، وترمي التنازل على القصور لاشغال الرأي العام في حوادث الارهاب عند ما تكون « السياسة ... » بحاجة الى العمل باطمئنان وراحة بال . ولست اذكر اي كاتب اتهمهم بانهم كانوا يغذون عصابات الارهاب السرية بالمال والتشجيع ، وان احدى هذه العصابات هي التي قتلت السردار لي ستاك باشا ، حاكم السودان ، اذ كان في القاهرة ، في ١٩٢٤ (نوفمبر) ، ١٩٢٤ ، مما ادى الى الانذار البريطاني القاسي الذي رفضه رئيس الحكومة الوطنية سعد زغلول فاستقال وتعطلت الحياة النيابية في مصر (١)

(١) يقول ذلك الكاتب ان عمال الاتلجانس سرفيس كانوا يسعون لخلق الفوضى وتعكير الامن في مصر ، بعد استلام الوفد زمام الحكم ومحاولته تحرير الدوائر الحكومية من جيش الموظفين الانكليز ، فغذوا الجمعيات السرية بالمال لاحداث الارهاب الفوضوي مما يشوه سمعة الحكم الوطني المصري في اوربا ، وقال ان غاية الجمعية التي اغتالت السردار كانت محصورة في التعدي على الاجانب عمومًا

ولعمال الانتلجانس سرفيس في العراق وايران واليمن والافغان
والحجاز حوادث تاريخية لم يكشف القناع عنها كلها حتى اليوم. ولكن
الثابت منها يؤكدهم لم يكونوا اغراباً عن سلوك الشاه احمد قاجار
لحمل قناصل الدول على الاحتجاج والاشتمزاز من حكم الوفد ولكن
انضمام وطني متطرف مثقف، كالثائب شفيق منصور، الى تلك الجمعية
اخرجها من الغاية التي شجعها عليها عمال الانتلجانس سرفيس الى
اهداف وطنية متطرفة... وفي قول ذلك الكاتب ان «السياسة...»
تشغل الرأي العام وتلهيه عنها بحوادث طارئة عندما تكون بحاجة الى
العمل براحة بال واطمئنان « حقيقة مؤلمة ايدها الايام حتى في هذه
«الجمهورية» اللبنانية البائسة. وليذكر اللبنانيون «اعظم» الاعمال
التي قام بها الخواجا شارل الدباس يجد انها تمت في فترة «الفضائح»
التي اقامت البلاد واقعدتها وملائت سجن الرمل من الموظفين
«البلديين» واشغلت الرأي العام والهته عن الاعمال التي كانت تقوم
بتنفيذها «حكومة الاصلاح!» في هدؤ جزويتي، ولما سكنت
عاصفة الفضائح وافاق اللبنانيون من سكوتها، وخرج المتهمون من
سجونهم ابرياء، كان «رسول الاصلاح!» قد تصرف بموازنة
الحكومة على ما تشتهي الشركات الاجنبية، وهياً طبخة تعديل
الدستور لجعل الدولة في قبضة المستشارين، والطعن بالحكم الوطني
وتشويه سمعته في جنيف!...

وخلق الملك المصلح ، امان الله ، وتنزل الملك حسين ، زعيم الثورة القومية عن العرش العربي . بل كانوا في تلك الحوادث بمظاهر متنوعة ، فمنهم من كان يشغل منصب مستشار لاحد الملوك المخلوعين ، ومنهم من كان مدير مصرف ، وآخر تاجر سيارات ، وآخر مهندساً زراعياً او عالماً أثرياً يحفر في النهار بطن الارض ، ويمهد في الليل لتنفيذ موآمرته ...

ولقد كان صاحبنا الراهب الورع ، الذي ظهر على الباخرة في رفقة العجوز ولیم دارسي ثوب القديس ، العامل في حقل السيد المسيح ، موظفاً في الانتلجانس سرفيس ويهودياً يدعى روزن بلوم ، ثم اشتهر باسم سيدني ريلي . ويروي عنه الكاتب النمساوي انطون زينخكا مطوحات تشبه الروايات الخيالية : فقد فتح امتياز دارسي امامه ابواب الحكومات الامبراطورية البريطانية ، وصار مكمن ثقة الوزراء والحكام والوزعماء ، وبطل المهمات السرية والمغامرات الخطيرة واصبح الساعد الايمن للوزير ونستن تشرشل في تحقيق سياسته النفطية التي خلقت عظمة الملاحة الانكليزية الحديثة وجعلته اعظم الاخصائيين بشؤون النفط بين كبار الوزراء في العالم . وللبجاسوس ريلي تاريخ في انشاء الامبراطورية البريطانية وفي سنوات المجزرة البشرية ، يصفه زينخكا بالرهيب ... وقد كان مع السكايتن هيل على رأس بعثة التجسس في روسيا يوم اندلعت الثورة الشيوعية فيها ، ومن

ادهش الامور التي لم يكشف القناع عنها حتى الان ، « وفاة » هذه الداهية سنة ١٩٢٦ او اختفاؤه باسباب غامضة . وتواري ، كما ظهر يوم سافر مع دارسي ، بسكون !

ومما يذكر في هذا الصدد ان سيدني ريلي او روزن بلوم او الراهب الورع ، لم يكن كثير النزاهة والامانة في تلك المهمة ، لانه فاوض في نيويورك شركة النفط الاميركية ، « ستاندارد اويل » ، لبيع منها الامتياز ، فلم يوفق . وقد فضحت هذه المفاوضة في سنة ١٩٠٨ ، عند ما بدأت الحملة لانتخاب رئيس الولايات المتحدة ، فانار الصحفي الاميركي الاشهر هيرست حرباً على الحزب الجمهوري ، واتهم شركة ستندارد بانها تسخر سياسة الحكومة في الداخل والخارج لتأمين احتكارها ومطامعها . وكان هيرست قد حصل على بعض المكاتبات السرية بين وكيل مدير الشركة يومئذ ، المستر جوهن د. ارشبولد ، وبين اعضاء من مجلس الشيوخ الاعلى تثبت سيطرة الشركة على المحاكم والقضاة والنواب والوزراء وندوة التشريع . فنشر الصحفي صوراً فوتوغرافية عنها اسخطت الرأي العام الاميركي واثارت اهتمام الصحافة في العالم . اما حصول هيرست على تلك الرسائل فكان بواسطة خادمين من حجاب الشركة اخذاً يبيتان في الادارة ، ويفتحان ادراج المدير ليلاً وينسخان او يصوران الكتب السرية الموجودة فيها . وكلن بين تلك الرسائل كتاب بتوقيع روزن بلوم يعلم فيه شركة



جلالة الشاه رضا بهلوي الذي عدل في عهده
امتياز دارسي لفائدة ايران

الى اليمين :
اللورد برستيد مؤسس شركة شل ،
واسمه الحقيقي مرقس صموئيل وهو اسرائيلي
وعم السير هربرت صموئيل المندوب السامي
الاسبق في القدس



ستتدارد ما كان من المساعي لطرد دارسي من ايران ومنعه من استغلال امتيازهم ، ويذكر لها اسماء معينة وارقاما وتواريخ وتفاصيل مستفيضة عن تأسيس الحكومة الانكليزية لشركة « انكلو برشيان » التي سيطرت على امتياز دارسي . ولما شاهد الخادمان ما كان لنشر تلك الرسائل من وقع شديد في اميركا ، طمعا بنوال اجزل في بيع كتاب روزن بلوم من الحكومة الانكليزية لانه يتعلق بها وبسياستها النفطية مباشرة ، فلم ينشراه في صحف هيرست ، بل حاولا مفاوضة لندره فكتبوا الى اماراة البحر ، ثم الى الانتلجانس سرفيس ، ثم الى شركة الانكلو برشيان ، ولكنهما لم ينجحا في ما كانا يصبوان اليه من ثمن عظيم .

ويروى ان روزن بلوم ، او سيدني ريلي ، او كاهن دارسي قد « سافر... » من هذه الدنيا كما يسافر كل زميل له يخون الانتلجانس سرفيس . ولم يقل له رؤساؤه كلمة عن خيانتة ...

ولكن مهما قيل في هذه الدائرة الجبارة ، ونسب الى موظفيها من اعمال خارجة على القوانين ومبادئ الحق والعدل ، فانها تستطيع الزعم بانها دعامة متينة في انشاء الامبراطورية البريطانية التي لا تغرب الشمس عن املاكها .

وقد علمتنا الحوادث والتجارب ان دول الغرب الاستعمارية واحدة الهدف في السيطرة والاستعمار ، وان اختلفت الاساليب في تحقيق

تلك السيطرة وهذا الاستعمار، وانها جميعها تقتل الابرياء وتدمر المدن
 المفتوحة (غير المحصنة) ، وتعلن احكام الارهاب والتفطيع
 عندما يهدد الضعاف استعمارها بالتفكيك، فاذا سمعنا الكتاب الغربيين
 يتهمون دائرة التجسس البريطاني بارتكاب افظع الجرائم وموبقات
 الغدر ، فتمد نجاريهم في تصديق اقوالهم . ولكننا لا نصدق ان مصدر
 انتقادهم هو الاحتجاج والاشمئزاز والتبرؤ من تلك الجرائم والموبقات،
 بل نعلم انه تشهير وحسد ، وانهم لو استطاعوا ان يأتوا باعمال
 الانتلجانس سرفيس — حتى في الجرائم التي ينسبونها اليها —
 لما عفوا !



وباء النزل المذهبي

لنرجع بالذاكرة قليلا الى ايران، الى مهد الفنون الخالدة، وبلاد
المجوس والاكاسرة التي امتد سلطانها على اكثر الشرق : من الهند
الى الحبشة — لنرجع الى البلاد التي تعد اغنى بلدان العالم بتربتها
الذهبية، اذ جرت وتجري انهار النفط تحت ارضها بغزارة لا يتخيلها
العقل البشري :

تدنت « معنويات » الايرانيين، كشعب مستقل، في القرن
الاخير حتى الاسفاف، وفقدوا « الحيوية » الانسانية بعد لن كانوا
ورثة اعظم مدنية وحضارة في التاريخ القديم. ولسيرة الشاهات
وسلوهم اكبر تأثير في ذلك الانحطاط فقد اهلوا شأن المملكة،
منصرفين الى ملاذهم، وعمم الجهل وانتشرت الفوضى في الاخلاق
والضمائر والتربية فدان الشعب المسكين بنخطة الشاه واكثر الوزراء
والزعماء من رؤساء الدين — والناس على دين ملوكهم — واجاز
القائمون بالامر للاجانب حريات وحقوقاً حرموها على الرعية فباتت
البلاد مانعاً للدسائس ومسرحة للمطامع، واستباحها الاقوياء وجعلوها
مناطق لنفوذهم على المكشوف

وتقع ايران بين الاستعماريين الاجشعين: استعمار الانكليز الاسود
في الهند، واستعمار القيصر الوحشي في القوقاس وكان الاثنان يتطاحنان

في كل مكان تطاحن المستميت : في الشرق والغرب ، في الارض وعلى الماء ، ولا سبيل لهما الى السماء ، ولو وجدا في الجحيم منفذاً الى الاستعمار لتسابقا اليها وازعجا « اصدقاءها » فيها !

وكان التطاحن بين الدب الابيض والاسد الانكليزي على اشدّه في الشرق — لا يفضّل أحد لتفاضل « متواضع » في اللتب بين الدب والاسد ، فكلّهما من ... غير ذرية آدم ! — وكان طبيعياً ان يصطدما في ايران ، لان على حدودها الجنوبية تربرض طلائع الجيش الانكليزي ، وعلى الشمالية تتأهب طلائع جيش القيصر ، وغاية الانكليز الاولى ان « يراقبوا » تلك البلاد ويمدوا سلطانهم اليها ليمنعوا الروس من التبسط في آسيا الوسطى خوفاً على الهند منهم — والهند خبز الانكليز وماؤهم وهواؤهم — وليقربوا من القوقاس ويستولوا على اغنى بقاع الدنيا . وكان الروس « يراقبون » هم ايضاً بلاد الفرس ليمعدوا خطر الانكليز عن القوقاس وليحتفظوا بسلطانهم في آسيا الوسطى . ولسنا الان لنعرض لذلك التاريخ « النزيه » في حياة الاستعمار ، ولكننا نطل عليه سراعاً لنصل الى ما يهم موضوعنا منه : طال التطاحن بين الانكليز والروس في ايران سنوات كثيرة ، وكانت البلاد رازحة تحت ظلم العرش باسم القانون ، وتحت نير المستعمرين الاجانب بالقوة ، فشرد الاحرار من وطنهم ، وطوردوا في كل مكان ، وباتت الكرامة القومية عرضة للارهاق والتسكيل

وخفقت الحريات جميعها ، ومات القانون والحق ، وتولت الرشوة القضاء في الناس ، واصبح الحكم المطلق لعصبة البلاط في الشؤون العادية والتافهة ، ولمثلي الاستعماريين الانكليزي والروسي في الشؤون الجدية الخطيرة . وكان التطاحن بين الاستعماريين يزداد شأنًا كلما ازدادت حيوية البلاد الوطنية ضعفاً ، الى ان كانت سنة ١٩٠٤ فتبدل الاتجاه السياسي في اوروبا تبديلاً ظاهراً ، وكانت فرنسا تسعى اليه بحمكة ودهاء فتمكنت من التقريب بين معامح الانكليز والروس لرد خطر التبسط الجرمانى عن الجميع ، واعلنت حكومتها لندره وبطرسبرج « هدنة » في الشرق اذ صارت بريطانيا بحاجة الى مساعدة روسيا على المانيا التي بدأت تهدد سيدة البحار ، وكانت حكومة القيصر قلقة من امتداد نفوذ النمسا والمجر في البلقان ، خائفة القوى الماضتها به حرب اليابان ، فانشئ التفاهم المثلث بين الروس والفرنسيين والانكليز ، وفي سنة ١٩٠٧ تم الاتفاق والتعاهد بين حكومتى لندره وبطرسبرج على تجزئة ايران الى « مناطق نفوذ » : احداها في الشمال تخضع لحكومة القيصر ، والثانية في الجنوب تخضع للملك الانكليز ، والثالثة حيادية بين الاثنين ... وقد جعلوها حيادية لا رحمة بشعبها واحترافاً لكرامتها ، بل خوفاً من الاصطدام المباشر بين الاستعماريين المتكالبين ، فدانت ايران للحكم الاجنبي علناً ، يمتص دمائها ويبتلع خيراتها ، وكشف الظلم عن وجهه فاذا الاجرام

الوحشي يدوخ تلك البلاد ، وحسبنا ان نذكر من حوادثه المخجلة اعدام الزعيم الديني الشهير ثقة الاسلام مع بعض اخوانه في تبريز يوم عاشوراء بلا محاكمة قانونية ، وسلخ ولاية ازربيجان الغنية بمعادن النفط عن ايران ، واطلاق القنابل على مدينة مشهد ، وهي مكان مقدس عند الشيعة لان فيها ضريح الامام الرضا (ع) لتعلم اي توحش ساد ايران في ذلك العهد ! وتعلم اية سلطة كانت للانكليز والروس (١) ليستولوا على خيرات البلاد (٢) ويحتكروا امتيازات استغلالها

(١) وضعت تلك العهدة في ٣١ آب (اغسطس) ١٩٠٧ في بطرسبرج ووقع عليها السير ارثور نيكولسون سفير الملك ادوار السابع لدى بلاط القيصر والمسيو ايسفولسكي وزير الخارجية الروسية ، ومن بنودها اعتراف الفريقين المتعاهدين بان ليس لاحدهما حق ما في بلاد « التبت » واعتراف روسيا بالحماية الانكليزية على الافغان . ويقول ادوار غراي في هذا الصدد : (مذكراته : ص ١٦٠) ان الغاية الاساسية من العهدة تأمين حدود الهند ... وان الروس فسروا بنودها على ما تشتهي اهواؤهم ومطامعهم !

(٢) لويس فيشر الفصل الثامن

سلطنة الفرس والعرب

ما كاد امتياز دارسي يصل الى دوائر الحكومة البريطانية ، سواء أ كانت دوائر التجسس ام امارة البحر ، حتى كشفت شركة « بورماه اويل » القناع عن وجهها (١) وانقلبت الى شركة جديدة باسم « انكلو برشيان اويل كومباني ليمتد — شركة النفط الانكليزية الايرانية المحدودة » تسعى الى تحقيق سياسة بريطانية النفطية ، وامتلاك الابار الخاصة وفقاً لمنهاج امارة البحر (٢) وقد تمكنت من (١) راجع ص ٤١ (٢) يقول دافنبورت و كوك : ان لجنة النفط الملكية لتموين الاسطول (ارجع الى التعليق في ص ٥٠) بذلت جهداً عظيماً في تأسيس سياسة الحكومة النفطية ، وقد استشارت ، مع الذين استشارتهم في ذلك ، السير هنري ديتردينغ — نابوليون النفط في العالم — فادلى اليها بآراء قيمة ومعلومات هامة عن وجود هذه المادة في رومانيا وروسيا وكليفورنيا واميركا الوسطى والمكسيك وايران والعراق ، ثم استطرد ديتردينغ كلامه الى اللجنة بقوله ناصحاً : « ولا ريب بان النفط هو اعجب السلع التي تعرض للبيع في اسواق العالم التجارية ، والشيء الوحيد الذي يعيقها هو الانتاج ، اذ ليس من سلعة لا ينقطع عنها الطلب في العالم كالنفط ، فانتجوه تجدوا من يستهلكه دوماً ... ولن تحتاجوا الى التفكير في قضية الاستهلاك لان النفط

الحصول على موافقة حكومة الشاه لاستثمار النفط والتفتيش عنه في الاراضي الايرانية الواقعة تحت النفوذ البريطاني ، ووافقت حكومة الشاه على ذلك بناء على رغبة حكومة لندره وتدخل سفيرها والحاحه في طهران (١) — وقد عرفت في الفصل السابق ما كانت عليه حقيقة الحال في ايران — وليس عجباً ان يظهر السفير الانكليزي تلك الرغبة باسم حكومته ما دامت الشركة تخص الانكليز ، ولكن العجب المدهش ان احداً لم يعرف بمصير اسمها ومقرها وحاملها ، لان المؤسسين ابتقوا الاسهم بمغزل من البورصة وتسعيراتها الرسمية يبيع ذاته دون حاجة الى تعاقد سابق ، ولكن جل ما اتم بحاجة اليه هو ان يقولوا لمن يرفض شراءه منكم انكم ستنفقون ملايين عديدة من الدنانير لبناء احواض جديدة تخزنون فيها النفط الجديد ، وان المعرضين عن الشراء سيضطرون في المستقبل الى دفع اثمان اغلي من الاثمان التي تطلبونها منهم الان لانهم بحاجة قصوى اليه .»

وقد عمل اللورد فيشر ورجلته بنصيحة ديتريدنغ ، وحضوا الانكليز على بناء الاحواض وشراء السائل الذهبي باسعار بخسة ، وخزنه فكانت نصيحة نابوليون النفط من امتن الدعائم التي اسس عليها اتفاق الحكومة الانكليزية وشركة الانكلو برشيان

ولم يعلنوا حقيقتها الا قبل الحرب ، اذ كان جو السياسة الاوروبية
 ملبداً بالغيوم السوداء ، وعاصفة المجزرة تنذر بالهبوب ، فاضطر وزير
 الملاحة ونسنت تشرشل لان يطلب من النواب في مجلس العموم (٢)
 ان يقرروا عمل الحكومة في شرائها الاسهم من الشركة ، بعد ان
 بسط لهم السياسة الجديدة التي عزمت الوزارة اتباعها في شؤون النفط
 لتأمين حاجات الامبراطورية والدفاع عن اراضيها في حالة الحرب .
 ولم يبح تشرشل يومئذ بانه ساعد تلك الشركة بمليونين دينار انكليزي
 حتي يبلغ رأسمالها اربعة ملايين وثمانماية الف دينار (٣) ولكن
 تطاحن شركات النفط بعد الحرب واضطرار حكومة صاحب الجلالة
 البريطانية لان تشد ازر « الانكلوبريشيان » في مغامراتها ومطوحاتها
 ثم دفاعها عنها في جميع قضاياها العالمية والدولية ، كشف القناع عن
 حقيقتها ، وعرف الناس ان ستة وخمسين من المئة من اسهمها هي في
 حوزة امارة البحر ودائرة التجسس القابضتين على امتياز دارسي (٤)

(٢) في نوار (مايو) سنة ١٩١٤ (٣) زينحكا ص ٢٢ — (٤)
 في سنة ١٩٣٠ تناقش مجلس النواب الافرنسي في اتفاق نفط الموصل
 وقد كتب النائب شارلو مقرر لجنة المعادن في المجلس تقريراً سهبا
 عن سياسة فرنسا النفطية وعلاقة الانكليز بها وقد اتى المقرر على
 ذكر الانكلوبريشيان فقال : « ان خزانة الحكومة البريطانية هي اكبر

وكانت النتيجة المنطقية لهذه السياسة الجديدة التي اتبعتها الحكومة البريطانية ان اصبحت شركة الاندلو برشيان مؤسسة حكومية « حرة » تؤثر في سياسة الدولة الداخلية والخارجية تأثيراً شديداً ، مع احتفاظها بشوئها التجاري ونزعاتها المستقلة ، فصارت ركناً ركيناً في تأسيس عظمة الامبراطورية النفطية ، وانضمت اليها اموال ومؤسسات اجنبية كثيرة ، وظلت تسعى الى هدفها التجاري والحكومي معاً ، وموظفو التاج البريطاني من اكبر امير الى اصغر صعلوك مسخرون في خدمتها الى ان اتخذت شكل دولة مستقلة (١) ... واذا كان كتاب الفرنجة ينسبون اليها الفضل العاطر في سد حاجات

مساهم في هذه الشركة فهي تحمل سبعة ملايين وخمسة الف سهم من مجموع ثلاثة عشر مليوناً واربعماية وخمسة وعشرين الف سهم ، اي انها تملك ٥٦ من المئة من رأسمالها عدا الف سهم ذات تفضيل الخ ... - اعمار ص ١٩٦

(١) تأسست الاندلو برشيان في ١٤ نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٩ برأسمال قدره مليوناً دينار وتم الاتفاق بينها وبين الحكومة الانكليزية على ان تمدها الثانية بمبلغ جديد قدره مليونان وثمانماية الف دينار انكليزي لقاء احتفاظ اماره البحر بمليون سهم من الاسهم الممتازة ولم يمض على تأسيسها ربع قرن حتى صار رأسمالها ثلاثة وعشرين مليوناً وتسعمماية وخمسة وعشرين الف دينار انكليزي : اي انها كانت

بريطانيا الى المواد الالهية في سنوات المجزرة الرهيبة ، وانشاء عظمها
 النفطية ، فان من واجبنا ان نشير الى « فضلها » الاعطر في المصير
 الذي وصل اليه العرب في بلدانهم المجزأة وسيادتهم الممزقة ، فقد
 كانت هذه الشركة « الكريمة » صاحبة اليد الفعالة والمشورة العليا في
 تقسيم الاتدابات على الاقطار العربية مما سنفصله في الصفحات الالية



تزيد رأس مالها بما يقرب من مليون دينار سنوياً (فقط !...) ولما
 سيطرت الحكومة على اكثر اسهمها طلب اللورد فيشر ان يكون
 للحكومة حق الاشراف على سياستها ، وما زال يلح في الطلب حتى
 اضطرت للقبول ، فعينت الوزارة ثلاثة من كبار الاخصائيين في شؤون
 النفط والملاحة والاستعمار وهم المسترستراشكوما واللورد انكاب وامير
 البحر سليد كندوبين لها يمثلون اماره البحر في مجلس ادارتها : واعطي
 لهؤلاء الثلاثة حق الاشراف على سياسة الانكلو برشيان ورفض اي
 اقتراح يعرضه مجلس المديرين ويرونه لا يلائم سياسة الحكومة العامة ،
 واحتفظت الشركة لنفسها بحق الاستقلال في شؤونها التجارية العادية
 دون مراجعة المندوبين الثلاثة

نقط العراق

عظم شأن النفط بعد ان احدث في الصناعة ثورة خطيرة قلبت
انظمة العمل ، وبدلت شروط الحياة البشرية ، فاصيبت الدول ،
ولا سيما الاستعمارية البحرية منها ، بظلم اليه ، واضطرت جميعها لتأمين
حاجاتها منه ، وهذه الحاجات حيوية لا يستغنى عنها ، سواء أكانت
في ميادين الاقتصاد ، ام الدفاع الوطنى ، ام التبسط والاستعمار وراء
البحار . فالفت الشركات بعثات لتتفحص عنه ، واخذت كل دولة
تمدد شركة «ها» بالمال والنفوذ ، وتمهد لها السبل بالمفاوضات الدبلوماسية
للحصول على امتيازاته ، وانبت المهندسون في الصحارى والجبال
والاودية والشعاب ، وفي كل بقعة من بتاع الارض ، يدرسون انواع
تربها ، ويستشمون روائحها لعلهم يفوزون باكسیر الحياة . وكانت
المانيا في مقدمة تلك الدول اهتماما للذهب الاسود لانها بلاد صناعية
ولان غليومها المرنج بالعضمة الجرمانية اعلن عزمه على تحدي بريطانيا
في التبسط التجاري والتفوق البحري ، وقد قال في هذا الموضوع
عبارة خالدة ، كانت السبب الاساسي للمجزرة البشرية الرهيبة :
« ان مستقبل ألمانيا هو فوق البحار ! »

في تلك الاثناء ، وكانت السلطنة العثمانية الشائخة الذرى ، قد
بدأت بالانهيار ، وسلخت عنها اكثر مقاطعاتها الاوربية والافريقية ،
وبعض الاسيوية ، وامتد النفوذ الاجني الى قلبها يتأكل سيادتها

وينخر في استقلالها ، وتوغل المبشرون والتجار ، وجميع انواع « السعاة » ، في بلدانها تحميمهم « الامتيازات » ويشجعهم الحكم الاوتوقراطي المسيطر على الولايات العثمانية بحيوش الفوضى والارهاب والرشوة — في تلك الاثناء كان رسل النفطيين يجربون مياين الشرق ، في العراق وايران ، وسداسرتهم يتقربون من العرشين في الاستانة وطهران ، وسفراء الدول يؤيد كل منهم السمسار الذي ينتمي الى حكومته ، ويرافقه في مساعيه مستخدماً نفوذ دولته للحصول على امتياز ، فاحتاط الداهية عبد الحميد للمستقبل ، وقد فهم قبل غيره من « الهة » الشرق اهمية السائل الاسود ، فوضع يده على الاراضي النفطية في ولاية الموصل وحولها الى املاكه الخاصة بحجة « الاحتفاظ بها ومنع استملاكها من الاجانب » ، وبقتائها عثمانية للانتفاع بها في ترقية حالة البلاد » ، وقد دفع عبد الحميد يومئذ بعض المال لخزانة الدولة ثمناً لتلك الاراضي وبعث المهندسين والعمال للحفر فيها

وفي ٥ رجب سنة ١٣٠٦ (١٨٨٩) اصدر السلطان فرماناً شاهانياً حصر بموجبه منح الامتياز بالتفتيش عن النفط باسم الخزانة الخاصة ، اي بشخصه الخاص ، لان التشريع العثماني يحصر حق استثمار المعادن والمناجم على اختلاف انواعها باصحابها وحدهم ، وقد نص فرمان المذكور على ما يأتي :

« بما ان بعض ينابيع النفط قد اكتشفت في املاكي الشاهانية
 « الخاصة الموجودة في ولاية الموصل ، وسواء أكانت الينابيع
 « في املاكي المذكورة ام في اراض غيرها في تلك الولاية ،
 « فان اجازات التفيش وامتيازات استثمار معادن النفط
 « يحصر حق منحها حصراً باتا باسم الخزانة الشاهانية
 « الخاصة » اه

ظهر النفط في اراضي الموصل فظهر المتنافسون في ميدان السياسة
 وكان اول الذين سعوا رسمياً للحصول على امتياز باستثماره رجل
 اميركي يدعى الاميرال شستر ، موظف في وزارة البحر الاميركية ،
 اوفدته حكومته في سنة ١٨٩٩ ليطلب من حكومة الاستانة تعويضاً
 للمرسلين الاميركيين الذين اعتدي عليهم في اثناء مذابح ارمينيا سنة
 ١٨٩٦ فوفق في مهمته ... ولكنه لم يلبث ان رجع الى تركيا ثانية
 وقد رجع هذه المرة بثوب التاجر ، لا بثوب الموظف ، موفداً من
 شركة مالية اميركية لشراء امتيازات من الباب العالي (١) فلم يوفق
 (١) دافنبورت و كوك (ص ٢٤) ويقول المؤلفان في هذا
 الصدد ان الاميرال شستر ، وكان بحاراً وسياسياً وتاجراً في وقت
 واحد ، « ظن ان ان بوسعه تحقيق بعض آماله باجتماعه بالباب العالي
 فقابل السلطان ورجال المعية مراراً غير انه لم يوفق توفيقاً عظيماً كما كان
 يحلم ، فقد وعد وعوداً كثيرة متنوعة : وعد بامتيازات بمد الخطوط

لان عبد الحميد كان شديد الطمع ، كثير الحذر ، يجاري السياسة ظاهراً ويدس عليها باطناً ... ويغتزم الفرص للإيقاع بالدول الطامعة في سلطنته، وللتفريق بينها ، واثارة احداها على الاخرى، و«اكتساب» اقصى ما يستطيع كسبه من تنافسها وتطاحنها

وكان ملك السلطان يجتاز في تلك الاونة ازمة النزاع الاخير ، فقد اظهرت دول الغرب ، وفي مقدمتها روسيا وانكلترا وفرنسا نزاعاتها جلية للقضاء على « الرجل المريض » واقتسام ارثه، فوجدت المانيا في تلك المواقف خطراً على نفوذها ورأى غليوم ان من الحكمة مظاهره خليفة المسلمين لحفظ التوازن بين الدول ، ثم لاجتذاب الاتراك الى سياسته واثمانهم اليه فيستطيع بعدئذ ان يتبسط في بلادهم ويكتسب ولاء المسلمين في العالم، ولا سيما في المستعمرات الانكليزية والافرنسية فيتمكن عماله من اثارتهم على مستعمرهم

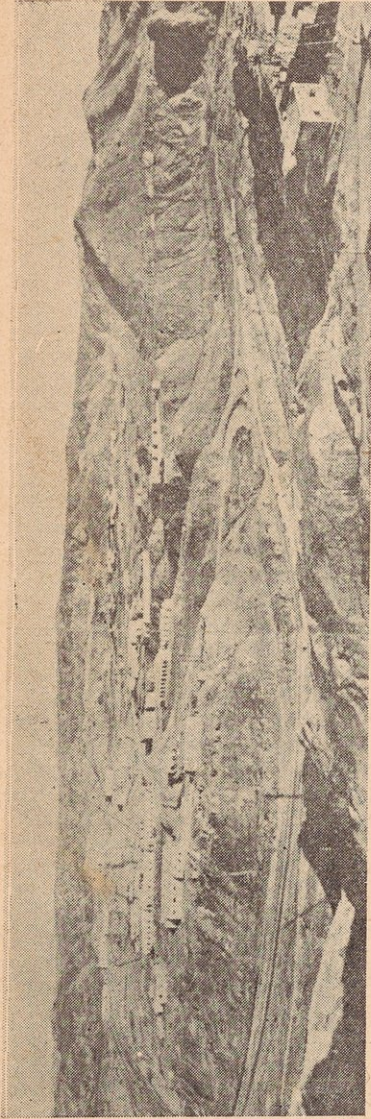
ونجحت المانيا في سياستها تلك ، وصار اسم غليومها محبباً الى

الحديدية ... وبامتيازات بالبحث عن المعادن في آسيا الصغرى ... وبامتيازات بالبحث عن النفط في ارمينيا والعراق ... ولكن المفاوضات مع اترك ذلك العهد كانت طويلة ، كمفاوضاتهم بعد سنين عديدة في لوزان !»

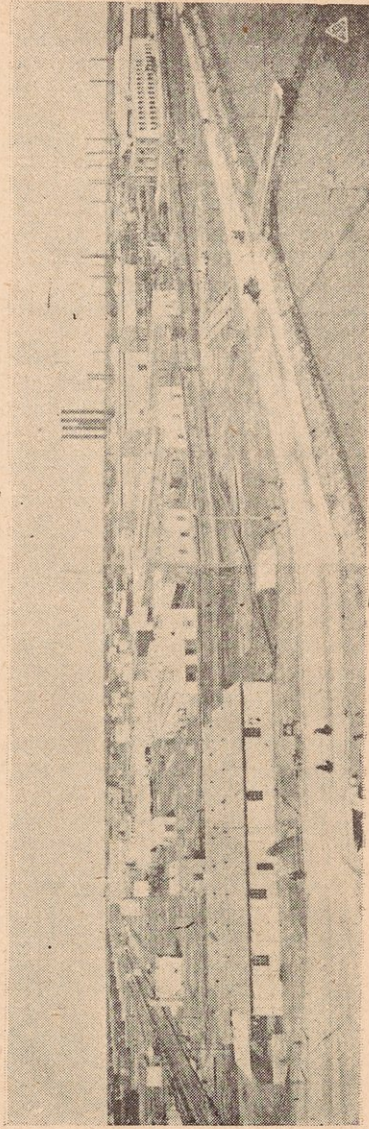
نفوس الشرقيين عامة والمسلمين خاصة (١) وبدأت حكومة برلين تسعى لتحقيق مشروع جبار يقلب عالي الارض سافلها ، وهو انشاء خط حديدي يصل برلين ببغداد في طريق الاستانة وينتهي الى الخليج الفارسي ، فتستولي بواسطته على ناصية البلقان وتركيا وتهدد الانكليز على ابواب الهند !

(١) بل صار ملجأ يفرع اليه المسلمون في ملاتهم ، واتنا نذكر حادثة واحدة تدل على مكانة غايوم في الشرق على اثر تلك السياسة فقد انزل الانكليز في خريف ١٩١٠ جندهم في مرفأ بوشهر الفارسي بحجة حماية القوافل الانكليزية ، فاضطرب الايرانيون لذلك التعدي على سيادتهم وقاموا وقعدوا في كل مكان ، وظاهرهم المسلمون في تركيا فعقدت الجمعية الفارسية في الاستانة اجتماعاً حضره « جم غفير من المسلمين على اختلاف اجناسهم ولهجاتهم » والقيت الخطب الحماسية وابرقت الجمعية في ختام الاجتماع الى الامبراطور « تستغيث به باسم المسلمين من جور الانكليز » وهذا نص البرقية :

« ان الايرانيين الذين يناضلون منذ خمس سنوات في سبيل حريتهم قد اصيبوا في قلوبهم من تهديد الانكليز باحتلال بلادهم ، وهم بصفتهم اعضاء في العائلة الاسلامية التي وجدت دائماً في شخص جلالتم الامبراطورية ساعداً وحامياً عظيماً في كل المواقف الحرجة لهم الامل بان جلالتمك تساعد ايران المهددة ، لانتنا نذكر كلام جلالتمك على



بنایات الانکلو، شارف، بن جال النفط في جنوبي ایران



مستودعات الانكلو برشيان ومعاملها لتصفية النفط وتكريره في عبادان على الخليج الفارسي.

مشى التبسط الجرمانى في الشرق يوطد نفوذه وينتشر ، وكان
 الرأسمال الالماني يمشي معه ، او يتبعه ، خطوة خطوة ، ويجوز
 الترجيح في القول بان السياسة كانت تمهد السبل للمال ، وكانت
 مسخرة له لاكتساح المقاطعات العثمانية ، اقتصادياً وثقافياً ، وقد
 اعد رجال التبسط الجرمانى لتحقيق هذه الغاية برنامجاً منظماً تنظيماً
 دقيقاً وعهدوا الى مؤسسة مالية باسم « دويتش بنك » — المصرف
 الالماني — ادارة العمل في السلطنة . ولم يكن عسيراً على رسل
 هذه المؤسسة ، وقد كشفت الدول القناع عن مطامعها في اقتسام
 تركيا واعلنت سياستها الاستعمارية « على المكشوف » ، ان يغتنموا
 هذه الفرصة ليتقربوا من الباب العالي ويحملوه على الاطمئنان الى
 سياستهم وعطفهم .

قبر صلاح الدين بخصوص صيانة حقوق المسلمين ، الامر الذي خفقت
 له قلوب الثلاثمائة والخمسين مليون مسلم ، كما اتنا نذكر عملكم الشريف
 الذي اكسبكم في مسألة مقدونيا ومسألة مراکش امتنان العالم الاسلامي
 « وقد كلفنا الوف من المسلمين المجتمعين في هذه المظاهرة ان
 نعرب لجلالتكم عن املنا هذا وعن عواطف اخلاصنا وشكرنا .
 والشعب الاسلامي يضرع لجلالتكم وللإمبراطورة وللشعب الالماني » اه
 (مجلة «المنتقد» البيروتية - ج ٩ ص ٥٤١ ، في ١٥ ت ٢ سنة ١٩١٠)

واحِب غليوم ان ينشط بنفسه هذه السياسة «الولائية» (١)، واولئك

(١) — لم يكتفِ الالمان بمزاحمة النفوذ الافرنسي والانكليزي والروسي المنتشر في بعض الولايات العثمانية ، بل كانوا يرغبون في القضاء عليه قضاء مبرماً ليخلو لهم الميدان ، وذهبت مجلة « الدتشي ريفو » الالمانية الى ابعد من تلك الرغبة في التبسط الجرمانى فقالت : « ... وان المصلحة الالمانية تقضي على الاقل — على الاقل !!! — بوضع تركية اسيا تحت حمايتنا ، على انه يكون خيراً لنا ان نستولي على سورية والعراق استيلاء كاملاً ... وان نحصل على حق حماية آسيا الصغرى ! ... » مجلة الدتشي ريفو في ٨ ك ١ (ديسمبر) سنة ١٨٩٥ — رواه جان لوكه ص ١٨٩) — ولا ريب بان المقام البطريكي الماروني يذكر ان ليس من علاقات قديمة تربطه بالمانيا ، فاحتلال هذه البلاد اذن لا علاقة له بالحب والغرام ! ... ومن احب الاطلاع على برنامج الالمان للاستيلاء على الشرق فليقرأ مؤلفات شارل اندلر الاستاذ في جامعة باريس عن « الجامعة الجرمانية الاستعمارية » وكتاب « المانيا المسيطرة » بقلم غرمباخ ، وكتاب « سياسة المانيا الاستعمارية » بقلم الاستاذ ارنست هاس رئيس عصبة « الجامعة الجرمانية » ففيها فوائد قيمة ، لا سيما وان اكثر الخطط المشروحة فيها تضيء على الاهداف التي يرمى اليها الاستعمار الافرنسي والانكليزي في هذه البقاع ...

الرسول ، فزار السلطنة (١) وكان له في الشام والقدس خطبتان عن مظاهرته حكومة السلطان والاسلام هزتا الشرق والغرب ، وما ان رجع الى عاصمته حتى اذاع الالمان مشروعهم الجبار «خط برلين - بغداد» فمادت له دول اوروبا ، واضطربت الامراطورية البريطانية ، وعرف الجميع انه مشروع تجاري وحربي معاً ، ولكنهم جهلوا ، او جهل اكثرهم انه «مبلول» بالنفط : فالالمان ، كما قلنا ، هم ايضاً بحاجة الى هذه المادة الحيوية ، بل هم اكثر الامم فقراً بها ، لان اراضيهم خالية منها ، فانشأوا سنة ١٩٠٣ (في ٥ ت ١ - اكتوبر) شركة الخطوط الحديدية الانضولية لتحقيق غايتهم وحصلوا من السلطان عبد الحميد على امتياز باستثمار جميع انواع المعادن في الارض التي يمر بها الخط الحديدي ، على عرض عشرين كيلو متراً من كل جانب .. ويقول الاستاذ نيكوليسكو (٢) ان تلك الشركة «انشت بمساعدة عبد الحميد» ، وقد يظن انه كان مساهماً فيها ... فما لبثت ان منحت سنة ١٩٠٤ مهلة سنتين لدرس الاراضي النفطية في ولايتي الموصل وبغداد !

نباح في القاهرة ...

اشتد التزاحم بين الالمان والانكليز للتبسط في العراق ، وكان عبد الحميد يساند الاولين فعلا ويحامل الآخرين قولاً ، لكنه رأى ان ليس باستطاعته اقضاء جميع الدول عن سلطته ، ولا اباحتها للجميع ، فصار يعد السفراء الاوروبيين كلا على حدة بما ترغب فيه دولهم ، ثم يثير الخلاف بينهم زاعماً انه لا يجوز على منح احدهم الامتياز الذي يطلبه ، خوفاً من غضب الدولة الاخرى التي تطمع هي ايضاً في ذلك الامتياز

ولينا الالمان والانكليز متفاهمون في اوروبا ، وافريقيا ، وفي كل مكان ، وقد كان هذا التفاهم ضرورياً لحكومة لندره لاسكات فرنسا عن « الدس » عليها في وادي النيل ، اذ ابرقية من لورد كرومر في القاهرة تهبط على اللورد روزبري وزير الخارجية البريطانية تنبئه بخطر عظيم !

خيراً ، ان شاء الله !

قال اللورد غراي في مذكراته : « .. وبينما السفير الانكليزي يسعى في الاستانة لتحصل الشركات الانكليزية على امتيازات بمدة الخطوط الحديدية في تركيا ، وكان السفير الالماني يسعى السعي عينه لاجل الشركات الالمانية ، اذا بنا نفاجأ بانذار من برلين يأمرنا بأن

فكف كل مزاحمة في الحصول على امتيازات بمد الخطوط الحديدية التي يسعى الالمان للحصول عليها في تركيا ، ويقول الانذار بأننا اذا لم نتمثل لهذا الطلب ، فان التفضل الالمانى في القاهرة يسحب تأييده للادارة البريطانية في مصر . وقد بعثت برلين بمثل هذا الامر الى ممثليها في القاهرة ، وما كدنا نتلقى الانذار الالمانى حتى تلقينا برقية استنجاد من اللورد كرومر يقول فيها انه يستحيل عليه ، بوجود المعارضة الافرنسية والروسية ، أن يحسن ادارة عمله في مصر ما لم يكن حائزاً على تأييد المانيا » (١)

وقد أثمر انذار برلين و« اقلع اللورد روزبري عن اية مزاحمة للالمان في تركيا » (١) فعادت المياه الى مجاريها في وادي النيل ...

(١) ادوار غراي ص ٢٦ و ٢٧ — وقد كتب فيتر موريس في « حياة اللورد غرانفيل » فصلاً مسهباً عن علاقات المانيا وبريطانيا في مصر قال فيه : « عند ما سقطت وزارة غلادستون الثالثة ورجع اللورد سالسبورى للحكم رأى الوزير الجديد ان من الضرورة القصوى التفاهم مع المانيا ، فكان من جراء ذلك ان مركز بريطانيا العظمى في مصر صار متعلقاً الى سنوات طويلة بمشيئة التحالف المثلث (المانيا والنمسا وايطاليا) وبمشيئة المانيا على الاخص ، لانها كانت صاحبة الصوت النافذ في ذلك التحالف

وكان ذلك كله نتيجة الدهاء الحميدي في هزئيش الاوروبيين بعضهم على بعض ولكن الانكليز لم ينموا تحت تلك الصفة ، فقد اقض امتياز النفط في الموصل وبغداد من جمعهم ، وصدمة امانيهم صدمة عنيفة ، وقضى على مساعيهم ومداوراتهم التي قاموا بها طوال السنين ، وكانوا قد شعروا بان السكوت عن التهديد الالماني في مصر مضر بهم ، « لان بوسع براين التذرع به في كل مناسبة لاقصائهم عن ميادين التبسط والتجارة التي يطمعون فيها » (١) ، فاتجهوا بسياساتهم الخارجية شطراً جديداً ، وكان الاتفاق الانكليزي الفرنسي سنة ١٩٠٤ وليد ذلك الاتجاه ، فاطلقت بموجبه يد الانكليز في مصر ، ويد الفرنسيين في مراکش ، وتعاهد الفريقان على ان يظاهرا احدهما الاخر في تأييد موقف كل منهما في القطرين العثمانيين اللذين يحتلانهما وكانت صفقة على قذال الغطرسة الجرمانية ، ظلت تحز قلب نفليوم عشر سنوات ، وذكرها تحت اسوار المارن !...

وكانت عزة للمصريين الذين اسكرهم الامل بعطف فرنسا وحررة الشعوب ، وغدتهم وعود سياسيتها بانهم لن يسمحوا للانكليز باستعباد مصر !... وكانت عزة للشرقيين — اواء لو تنفعهم العبر !

طراييش عثمانية على رؤوس غربية

مضى عبد الحميد في وعوده بمنح امتيازات النفط شأواً بعيداً، فقد وُعد شركة الانكلوبرشيان الانكليزية، ويقال انه وعد المهندس دارسي قبلها، باستثمار النفط في العراق، وان هذه الشركة «ورثت» الوعد المذكور من دارسي. ووعد عصبة المصرف الالماني «دويتش بنك» وهي التي كانت تنشيء المؤسسات الالمانية في السلطنة العثمانية وتدير اعمالها، وتقوم بالمشاريع الاقتصادية في الانضول، واليها تنسب شركة الخطوط الحديدية الانضولية التي حصلت على امتياز ١٩٠٣ وعلى اجازة درس الاراضي النفطية في ولايتي الموصل وبغداد سنة ١٩٠٤ — وعد السلطان الداهية تلك المؤسسات ووعد غيرها ولكنه لم يبر بوعده مع احد، فما كاد يخلع عبد الحميد حتى تسابق الموعودون الى المطالبة بـ «حقوقهم» — حقوقهم!! — وكان اول عمل قامت به الحكومة الدستورية في هذا الصدد أن استصدرت ارادة شاهانية من السلطان الجديد محمد رشاد باسترجاع الاراضي التي ضمها السلطان المخلوع الى خزانته الخاصة، الى املاك الدولة (١)

(١) صدرت هذه الارادة في ٢١ ابريل ١٣٢٥ الموافق ٤ نوار

واسقط في يد المتنافسين ، المتزاحمين ، ووجدوا نفوسهم امام
 « وجوه » جديدة ، وسياسة جديدة — في البدء ، على الاقل —
 فسلكوا طريقاً جديداً : ذلك ان الاتحاديين ظهروا على مسرح
 سياسة السلطنة ، وظهر معهم عطف جديد من ... الانكليز على وريثة
 « الرجل المريض » ، وبدت سياسة لندرة في ثوب من الولاء والعطف
 على الاستانة لم يكن ليخطر ببال انسان (١) فكان من المنطق ان
 يكون لسان طلاب الامتيازات انكليزياً مقرباً من رجال العهد
 الجديد .

وكان بطل هذه المهمة الخطيرة السير ارنست كاسل (٢) ، ملك
 المال الانكليزي ، مؤسس « المصرف التركي الوطني » في الاستانة
 وممول الحكومة الجديدة ، وصديق الاتحاديين الصميم ، وهو قبل
 ذلك كله « كريم المحتدين ! » اي الماني الاصل ، انكليزي التبعة .

(١) يقال ان لعمال الانتلجانس سرفيس يداً في ثورة الاتحاديين

ووصلهم الى الحكم ! ...

Sir Ernest Cassel (٢)

(مايو) ١٩٠٩ وكانت حكومة كامل باشا قد استصدرت مثل هذه
 الارادة من السلطان عبد الحميد نفسه في اول سبتمبر ١٣٢٤ الموافق
 ١٤ ايلول (سبتمبر) ١٩٠٨ تحت تأثير اعلان الدستور

وقد «ساء» — على ما كان يصرح به — ان تصطدم سياسة وطنية
 الاول والثاني في الشرق فرأى من واجبه أن يسعى للتوفيق بينهما
 وان خير واسطة لذلك جمع منافعهما الاقتصادية في صعيد واحد
 فيتضاهيان بدل التخاذل والتطاحن ... وقد ساعدته ظروفه الخاصة
 على تحقيق فكرته فكانت ثمرة مساعيه الاولى انشاء مؤسسة جديدة
 في ٣١ (يناير) ١٩١١ باسم «شركة الامتيازات الافريقية
 الشرقية المحدودة» ضمت مصالح مصرفه «الوطني التركي!» ومصالح
 المصرف الالماني «دويتش بنك» صاحب الامتيازات الكثيرة في
 السلطنة العثمانية ومرجع شركة الخطوط الحديدية الانضولية التي
 ذكرنا اعمالها في الفصل السابق . وعهد برئاسة المؤسسة الجديدة الى
 السير هنري باننغتون سميث (١) صاحب النفوذ العظيم بين رجال
 الاتحاديين .

ولما يمض عشرون شهراً على انشاء هذه الشركة حتى بدلت
 عنوانها (في تشرين الاول — اكتوبر ١٩١٢) باسم «شركة النفط
 التركية المحدودة — تور كيش بتروليوم كومباني ليمتد» اذ
 انضمت اليها شركة نفطية جديدة اسمها «انكلوسكون بتروليوم
 كومباني ليمتد» هي فرع للشركة الهولندية الانكليزية المعروفة
 باسم «رويال دوتش شل» التي يرأسها ديتردينغ والتي هي شريكة

الانكلو برشيان

وقد جرى هذا التصور كله برقابة السير لويس مالت (١) السفير الانكليزي في الاستانة ، وبتدخله ومساعدته ، وكان على اتصال مستمر بحكومته في لندره يستشيرها في كل شأن من شؤون هذا العمل !

وفي ١٩ اذار (مارس) ١٩١٤ اماطت السياسة الدولية اللثام عن وجهها ومثلت رواية « رسمية » في وزارة الخارجية في لندره ، شبيهة بالرواية التي مثلت قبلها في القنصلية البريطانية في طهران سنة ١٩٠١ « فاجتمع ممثلو الشركات التي ذكرناها ، وانضمت اليهم شركة الانكلو برشيان ، وارثه امتياز دارسي ، وسجلوا اتفاقهم « بروتو كولم » بحضور السير 'ري كرو (٢) ، الوزير المفوض ، باسم الحكومة البريطانية ، والهري دي كوهلمان (٣) مستشر سفارة المانيا في لندره باسم حكومته ، وتعاهدوا على انه لا يجوز لاي مساهم في الشركة الجديدة « تور كيش بتروليوم » ان يتنزل عن حصته او يبيع من اسهمه لشخص غريب عن الشركة ، ووقع انهمشلون التجاريون

Sir Louis Mallet (١)

Sir Eyre Crowe (٢)

M. de Kuhlmann (٣)

«والمثلان الرسميان على البروتوكول ، ووزعت اسهم الشركة على الشكل الآتي :

للمصرف الألماني « دويتش بنك » (١)	٢٥ من المئة
لشركة « الانكلوسا كسون بتروليوم » (فرع شركة رويال دوتش شل) (٢)	٢٥ من المئة
لشركة الانكلوبرشيان (وارثة امتياز دارسي)	٥٠ من المئة
وتعهدت شركتا الانكلوسا كسون والانكلوبرشيان بان تحفظ كل منهما سهمين ونصف السهم من المئة (المجموع خمسة من المئة) للخواجه . س . غولبنكيان الذي كان يسعى للشركة الجديدة باخذ امتياز استثمار النفط في العراق من الحكومة العثمانية	
ويلاحظ القارئ انضمام « الانكلوبرشيان » الى هذه العصبة الجبارة ، واستيلاءها على نصف رأسمال الشركة ، وذلك لان مصرف السير كاسل تخلى لها عن حصته (بايعاز من الحكومة الانكليزية ...) ولانها تعهدت بان تحصل من حكومة الاستانة على الامتياز المنشود ، بواسطة المثري الارمني الشهير خولوتس غولبنكيان	

Deutsche Bank (١)

(٢) Anglo-Saxon Petroleum Cy. Ltd. (filiale de la Royal

Dutch-Shell)

الذي كان موظفاً في الوزارة الخارجية العثمانية ، ثم في السفارة العثمانية في لندره !! وهو ، في هذا الباب ، « اخو » مشير الدولة بيرينا وزير الخارجية الايرانية ، وكلا الاخوين نال اجره المعهود ، على مسعاه « المحمود » ...

وفي ١٦ نيسان (ابريل) سنة ١٩١٤ كتب سفير فرنسا في لندره الى حكومة باريس يعلمها بهذا الاتفاق ، وكان قد كتب اليها في ١٠ شباط (فبراير) عن مجرى المفاوضات بين ممثلي الشركات المتنوعة وممثلي الحكومتين الانكليزية والالمانية

وشمر السير ماليت عن ساعد الجد ، واستخدم نفوذه كسفير بريطانيا العظمى لدى الباب العالي ، واخذ يسعى للحصول على الامتياز من الحكومة التركية ، يظاھره ويسانده السفير الالماني ، حتى حصل على «جواز» في أواخر شهر حزيران (يونيو) سنة ١٩١٤ يسمح للشركة التركية باستثمار النفط في ولايتي الموصل وبغداد فقط. وكان العالم على أبواب الحرب !

وقد عبرنا عن الامتياز بكلمة «جواز» لاننا نسرد الحوادث على حقيقة وقوعها ، وتتبع مجراها تدريجاً ، فان كلمة « امتياز » الشركة أثارت ضجة في الاندية السياسية العالمية بعد الحرب ، وحدثت صداماً عنيفاً بين الدول ، تبودلت بسببه العبارات الجارحة بين الرؤساء والوزراء.

«الرسميين» وتطاحت شركات الاحتكار تطاحن المتكالب المستميت، وكان ذلك على اثر اعلان عهدة سان ريمو ١٩٢٠، فانبرى جهابذة القانون في اوروبا، وفطاحل التشريع في الولايات المتحدة، يتناقشون في «قانونية» الامتياز، وأخذ قسم يؤيد «القانونية» وقسم ثان يدحضها بحجة ان ما تسميه الشركة التركية امتيازاً، ان هو الا «وعد» من حكومة الاستانة بمنح الرخصة المطلوبة... وكان الاميركان من مؤلفي القسم الثاني، يحاربون «الامتياز» بمغامراتهم (١) الاميركية المعهودة، وقد حملوا حكومة واشنطن على الاستكفاف عن الموافقة على صكوك الانتدابات في الشرق العربي طيلة سنتين كاملتين وحملوا الرئيس ويلسن نفسه على التدخل في الخلاف لتأييد وجهة نظرهم، مما كهرب جو الولاء بين العلاقات الانكليزية الاميركية وسنفصل ذلك كله في موضعه، فقال الكثيرون بان الحرب واقعة بين

(١) نشرنا في الصفحة الرابعة من هذا الكتاب بعض فقرات من خطاب القاه المستر تايفل في نيويورك في اثناء المفاوضات التي كانت جارية بين الانكليز والفرنسيين قبل عهدة سان ريمو لاقتسام نفط العراق، فليرجع اليه القراء ليلمسوا بعض الغضب الذي استولى بسببها على الاميركيين في تلك الفترة، ولم يكن الاتفاق على اقتسام النفط العربي قد تم بعد...

الدولتين بسبب ... النفط

ولكن الازمة انتهت على ان الامتياز «قانوني» ! (١)

وستعرف نهاية الرواية ، ايها العربي المسكين ، في خاتمة هذا الكتاب ، فتعلم ان ليس للقانون .. رائحة ، كما ان ليس للنفط ... رائحة ، وتعلم ان اصحابنا الاميركيين يعطفون على الشرق العربي عندما تقصي السياسة مصالحهم عنه ، او عندما تراحمهم فيه ، ويفضون لكرامة القانون عندما يحرمون فوائده ، ويرون في تصرف الحكومات المنتدبة عملاً ظالماً ، مهيناً ، مخالفاً للصواب ، كما رآه تايفل في خطابه المنشور في الصفحة الرابعة من هذا الكتاب ، عندما تستقل الدول السيطرة ، باستغلال الشعوب الضعيفة ، وحدها ، ولا تسمح لهم بمقاومتها الدم المستنزف !

(١) لقد اختلفت الروايات حتى في تاريخ الامتياز وفي السلطة التي منحته ، فالسيو اندره تارديو ، رئيس الوزارة الفرنسية الاسبق يقول في مجلة «الاولستراسيون» في ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٢٠ (ص ٣٨٠) «ان السير ماليت السفير البريطاني حصل على الامتياز من السلطان في ٢٨ حزيران ١٩١٤» ويقول نيكوليسكو (ص ١٤٧) ان الشركة حصلت «على ارادة من الامير سعيد حليم (الصدر الاعظم) في ٢٤ من ذلك الشهر، ولكن «النتيجة» واحدة»

وهذا حال كل قوي ، وكل مسيطر !

وبعد ، فقد تم تأليف « شركة النفط التركية » وحصلت على جوازها ، او امتيازها ، فماذا كان منها لمصلحة تركيا ؟

كان لها منها الاسم فقط ، الطربوش ، فقد تطرشت عنواناً ، ولكنها لم تكن لتمت الى المصالح العثمانية الا بنسب ... الطمع والبغضاء والعداء ، بل كانت صاحبة اليد الفعالة في مصير السلطنة بعد الحرب ، والسيدة المحترمة القول ، وهي ابنة الانكلو برشيان ، في أحوال الاقطار العربية اليوم .

وتألف رأسها من الشركات الهولندية والانكليزية والالمانية اسماً وعنواناً ، ولكنها جمعت في ذلك الراسمال أموالاً أجنبية عن جنسية تلك الشركات ، مثال ذلك : ان « الانكلو برشيان » التي تملك نصف راسمال هذه الشركة توظف ثلاثة وعشرين في المئة من مجموع اسهمها العادية في ... فرنسا ! وهذا حال الحصة الفرنسية ، التي خلفت الحصة الالمانية بعد عهدة سان ريمو ، فان فيها أموالاً بلجيكية واميركية و... المانية !

وانت ترى في هذا التحالف المالي ان سياسة المائدة تعلو سياسة الاخلاق والصراحة و... الوطنية ! وان الذي قال ان « المال لارامحة له » هو اصدق فيلسوف فضح الذهنية الغربية في القرن العشرين

ولكن ، هل يخلص ملوك المال بعضهم لبعض في تحالفهم ؟
نعم ، ولا !

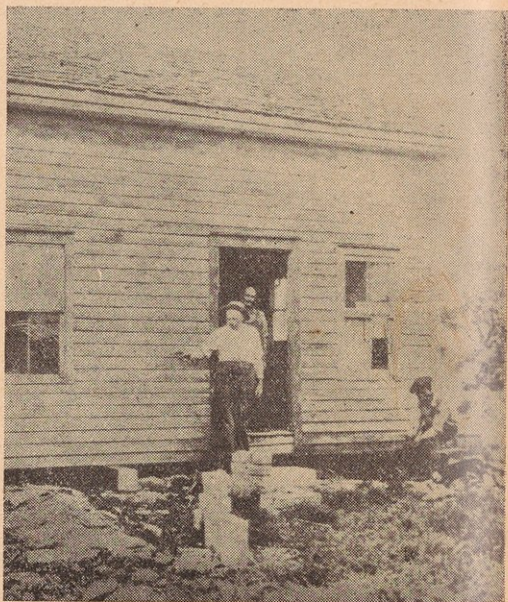
نعم : عندما يكون من وراء ذلك التحالف منفعة عامة للجميع ،
وعندما يكون لتحالفهم تأثير في رد الخطر « العام » عن الجميع
ولا يخلصون : عندما تتباين المصالح الفردية ، او عندما يكون
« الخطر » فردياً » ويكون الآخرون بمأمن منه ، بل كثيراً ما تراهم
يتقلبون عندئذ على ذاك الحليف ، ويظاهرون خصمه اذ يأنسون من
الخطر مصلحة « سلبية » لهم . والمصلحة السلبية هي في اضعاف حليفهم
خارج دائرة العمل الذي كان سبب التحالف ، « فيربحون » من اضعافه
الاطمئنان الى ان حليفهم — وهو في الوقت نفسه مزاحم لهم — قد
تبلبل موقفه وضعف نفوذه ، فاصبحوا بمأمن من خطره وظلوا
وحدهم اقوياء !

المصلحة السلبية !... هي ايضاً من العناصر القوية التي تأسست
عليها سياسة النفط في العالم عامة ، وفي الشرق الادنى خاصة ، وفي
البلاد العربية على الاخص ، وقد رأينا قرنهما يندرج في مصر ، يوم
حاول « و » اغتيال المهندس العجوز دارسي للقضاء على امتيازاه !



« كفلر » النفطي — (ريشة منزر)

المنزل الذي ولد فيه روكفلر
في قرية ريشفولد



الاراضي المحولة

انشتت شركة « الانكلو برشيان » بعد عهدة بطرسبرج التي عقدت الهدنة في صيف ١٩٠٧ بين الروس والانكليز في الشرق، فصار من السهل على رجال الشركة ، وقد كانت سياسة الدول الغربية — ولا تزال — مسخرة في هذه البلاد لمصالح رجال المال، ان يدلوا الاوضاع والحدود الايرانية ، ويتصرفوا بها تصرف المالك بملكه ، ويعيش الشعب الايراني المظلوم بتلك العهدة لا رأي له في مصير بلاده ، ولا طاقة له برد الاذى عنها ... فلما بدأ السير ارنست كاسل مساعيه لعقد « هدنة ثانية » للتنافس بين الالمان والانكليز في السلطنة العثمانية ، احتاطت شركة الانكلو برشيان للمستقبل — والشركة هي امارة البحر البريطانية كما عرفت ، وامارة البحر هي الامبراطورية ... — فسعت بتحويل بعض اراض من المملكة الايرانية الى الحكم العثماني ، واقعة على حدود الدولتين ، ويشملها امتياز دارسي الذي انتقل اليها ، و« تطوع » بتحقيق هذه الفكرة السير لويس مالت السفير البريطاني في الاستانة ، فتم للشركة ما رغبت فيه ، وحولت بعض الاراضي من ايران الى تركيا بموجب يروتوكول مؤرخ في ٤-١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٣ وقع عليه الصدر الاعظم الامير سعيد حليم بصفة كونه وزير الخارجية العثمانية ، والميرزا محمود خان احتشام السلطنة (سفير ايران) والسير

لويس مالت سفير بريطانيا ، والمسيو ميشال دي غيارس سفير روسيا ،
والسفراء الثلاثة يمثلون دولهم في الاستانة

وبموجب هذا البروتوكول « امتدت » شركة الانكلوبرشيان
من ايران الى تركيا ، اي الى العراق ، لان الاراضي المحولة واقعة
في البلاد العراقية التي سلخت عن السلطنة ، فما هي الاسباب « الرسمية »
التي تذرعت بها الدول الاربع لوضع ذلك البروتوكول ؟

اعترف صراحة باني لم اتمكن حتى كتابة هذه السطور من
معرفة الحوادث « الرسمية » او الاطلاع على المفاوضات التي جرت
بين الحكومات المذكورة لتحويل تلك الاراضي النفطية . ولم يكشف
كاتب — على ما اعلم — عن اسرار هذا الحدث الخطير الذي طبخه
الدهاء الانكليزي تمهيداً للمستقبل ... المستقبل المجهول من الناس
والمعروف من دوائر « دوتنغ ستريت » وحدها ! وسيرى القارىء
اي اثر بعيد كان لذلك الحدث في مجرى الحرب الكونية ، في الساحات
الشرقية ، وفي مصير الاقطار العربية . ولكن الاعجب من ذلك
ان رجالات الملكتين ، وفيهم « الرسميون » لم يفهموا حقيقة ذلك
الحدث ، وما يزالون يجهلون سببه (١)

(١) نشر المؤلف مقالا في شهر شباط الماضي في جريدة
« صوت الاحرار » الغراء عن « الاراضي المحولة » ذهب فيه الى

والاغرب من ذلك كله ان البروتوكول عينه — وقد نشرناه في خاتمة هذا الكتاب — خلا من ذكر الاسباب الدبلوماسية التي تمهد بها البروتوكولات ، فكان صريح العبارة بانه وضع لتثبيت

القول بان الانكليز « نظروا بعيداً » في ذلك العمل ، وكان قصدهم ان يسيطروا من ذلك الحين على العراق ، فجعلوا تحويل الاراضي الايرانية الى الحكم العثماني مقدمة ، لتصبح البلاد العراقية ، وهي محيطة بها ، تحت متناول يدهم في الساعة التي تسنح بها الظروف للاستيلاء عليها .

وقد ختم الكاتب مقاله راجياً أن يتكرم عليه رجالات العرب بما يعرفونه عن ذلك الحادث التاريخي ، فلم يتلق جواباً من أحد... الا من احد السفراء العراقيين ، ولا نسميه لانه يشغل الان منصباً رسمياً ، أيده في ما ذهب اليه من استنتاج

ومرت الاسابيع ، وكان المؤلف يكتب الى جهات كثيرة ويكلف اصدقاءه أن يسألوا له رجال العهد العثماني من وزراء ونواب وولاة عن ذلك الحادث فكان الجواب واحداً : « لا علم لنا بتحويل الاراضي المذكورة » — واخيراً سألنا احد السفراء الايرانيين السابقين عنه فايد مقالنا . فهل تعجب لان تضمحل تلك السلطنة المترامية الاطراف ، وهذا حال « رجالها » ؟

امتياز دارسي ، اي لتحقيق مصالح تجارية اجنبية !.. وهذا ما جاء في مقدمته :

« بما ان كلا من الحكومة العثمانية وحكومة جلالة شاه ايران ترغبان في المحافظة على الحقوق والتمهيدات المتنوعة الممنوعة لشركة النفط الانكليزية - الفارسية المحدودة ، في الاراضي المحولة من ايران الى تركيا ، مع تنفيذ هذه الحقوق والتمهيدات التي منحتهما اياها الحكومة الايرانية بموجب الاتفاق المؤرخ في ٢٨ نوار (مايس) سنة ١٩٠١ (امتياز دارسي) فقد اتفقت الحكومتان على ما يأتي :

(١) - يعترف الباب العالي بان الامتياز نافذ ومعمول به في الاراضي المحولة ، وان الحق الممنوح في البند الاول من ذلك الاتفاق يكون انحصاراً مطلقاً للحقوق الممنوحة به في جميع انحاء الاراضي المحولة ، ولا يمنح اي شخص او اية شركة او مؤسسة كانت اي امتياز من هذا النوع مما يسبب ضرراً لامتياز شركة النفط الانكليزية - الفارسية المحدودة ، او اجحافاً بحقوقها

(ب) - جميع الحقوق والميزات والاعفاء وغيرها من الفوائد الممنوحة لشركة النفط الانكليزية - الفارسية المحدودة من قبل الحكومة الايرانية ، وفقاً للاتفاق المذكور ، او التي تتمتع الشركة

بها الان فعلا ، يجب ان تكون مترمة ومعتبرة من قبل الباب
 العالي في الاراضي المحولة طبقاً لاحكام ذلك الاتفاق » - الخ ...
 الخ ...

ولا يتضح لنا من مقدمة البروتوكول ، ولا من الفقرتين « ا »
 و « ب » . ولا من الفقرات اللاحقة ، اي شيء يتعلق بالاسباب التي
 حملت حكومة طهران على تحويل جزء من اراضيها الى السلطنة العثمانية
 او يتعلق « بكيفية » ذلك التحويل ، أعني : أهو بيع ام مبادلة اراض
 ام ثمن ميثاق حب وحسن جوار ، ام غير ذلك مما لم تدعه المصادر
 الرسمية ، ولكن الحوادث والاوضاع الحالية تدلنا على ان السياسة
 الانكليزية فكرت ، منذ زمن بعيد ، في ان يكون العراق من
 حصتها الضئلي في ارث الرجل المريض ، لا سيما وانه في طريق الهند
 وفيه ابار ... النفط ! ولم تكن البعثات « العلمية ! » التي اوفدها
 الحكومة البريطانية ومؤسساتها الرسمية للاستقصاء الاثري بين انقاض
 نينوى وبابل واشور الا من قبيل طليعة العمل لتحقيق ذلك الحلم ،
 وليرجع القراء الى ما كتبه علماء الآثار الانكليز ، والمتأنكلزون ،
 عن مهمتهم في العراق ، واخص منهم بالذكر السير اوستن هنري لا يارد
 وهرمز انطون رسام (١) « فيشتم » رائحة التجسس السياسي ،

(١) هو موصلي الاصل ، وابوه قس نسطوري يدعى انطون

والتمهيد للاستعمار ، تحت ستار الفن والعلم ! وقد صرت تعلم ايها

وقد اشتهرت عائلة رسام باتماها للانكليز وخدمتهم ، وكان عيسى رسام
اخو هرمن هذا ، « وكيل الحكومة البريطانية في الموصل » ، ومهمة
الوكلاء يومئذ جمع « الاخبار... » وكتابة التقارير عن البلاد الموجودين
فيها ، ونقل ما يسمعونه من انباء وحوادث الى الحكومة التي يعيشون
منها ...

وكان هرمن رسام عالماً بالفنون الاثرية ، وقد تخرج من جامعة
اكسفورد ، وارسلته الحكومة البريطانية بمهمات « سياسية » كثيرة
الى الشرق ، وله في عدن « أثر » خالد على اثر « الفتنة » الشهيرة
سنة ١٨٦١ بين امام مسقط واخيه سلطان زنجبار ، وبعد نجاحه في
مهمته تلك اوفدته حكومة لندره الى الحبشة ، ثم الى العراق حيث
اجرى الحفر في الانقاض الاثرية والبابلية (واغنى المتحف البريطاني
في لندره ، بالاثار الثمينة التي وجدها في هذه العواصم القديمة ،
وقد توفي سنة ١٩١١ » — (مقتبسة عن تاريخ الموصل ، ج ٢ ، ص ٢٧٦)
والكاتبين رسام ، الموظف القديم في الجيش البريطاني ، والذي
يدير اليوم الحركة « الاثرية ! » لفصل شمالي العراق عن المملكة
العربية وجعله مملكة اثرية ، هو من هذه الاسرة المشهورة بخدمة
الانكليز !!

القاريء العزيز ، ان الذهبية الانكليزية هي نسيج وحنها في الاستعمار ، فالعمل الذي يبدأ به الانكليز اليوم يكون مقدمة لغاية ينشدونها بعد خمسين سنة ، والعمل الذي قاموا به منذ ربع قرن كان تمهيداً للحالات التي وصلوا اليها الان . ولقد ظهرت — اليوم — نزعات الانكليز المستغربة — يومئذ — في الحرب العالمية ، ومداوراتهم المدهشة في اشد ساعات الخطر على الحلفاء لتحقيق مطامعهم في نفط العراق !

وكان تحويل الاراضي من ايران الى تركيا مقدمة للتبسط البريطاني في البلاد العربية ، اذ تمكنوا بسبب ذلك التحويل من الاشتراك في شركة النفط التركية « توركيش بتروليوم كومباني » الالمانية الاصل في امتيازها ، وقد رأوا ان تلك الاراضي التي يشملها امتياز دارسي بعيدة عن البحر ، ونقل نفطها الى الخليج الفارسي يكلفهم نفقات باهظة جداً ، وتعتوره صعوبات جغرافية وفنية خطيرة ، فسعوا بتحويلها الى الاراضي العثمانية ليخلط نفطها بنفط الشركة التركية فيسهل نقله الى البحر المتوسط ، وقد كانوا على ثقة من ان مساعي السفير البريطاني السير مالت في الاستانة مكلفة حتماً بالنجاح للحصول على امتياز الشركة التركية ...

وكان تحويل الاراضي الايرانية الى الحكم العثماني ، بمساعي السفير البريطاني السير مالت في الاستانة ، مقدمة لتنزل مصرف

السير ارنست كاسل - ولا تنس ان اسمه «المصرف التركي الوطني» -
الوطني !!! — عن حصته في شركة النفط التركية الجديدة لشركة
الانكلوبرشيان ، اي لامارة البحر البريطانية ، أي للامبراطورية !
انهم الانكليز ، ايها القاري العزيز ، رجال الدهاء الحكيم
والفكر الشاقب ، والجنس «الشبعان !» ، ينزعون ثيابك عن جسمك
وانت تشعر بانهم هم الاغنياء الاقوياء الجبابرة «الكبار» ، وانك انت
الفقر الضعيف الصعلوك «الصغير» — انهم الانكليز ، يدفعون
في النهار مواطنهم السير ارنست كاسل ، الالماني الاصل ، ليضع برنامج
الهدنة بينهم وبين مزاحمهم الالماني ، تأميناً على مصالح الفريقين وحباً
بالفريقين ، ويعملون في الليل لاحتكار منافع تلك الهدنة ، وخدمهم !

ليس للنفط ... رائحة !

اتصفت سنة ١٩١٤ ، وباتت اوروبا على أبواب الحرب ، فلا
باس بان نلقي نظرة عامة على السياسة النفطية قبل المجزرة :
لقد شاهدنا الاستعمارين ، الروسي والانكليزي يتطاحنان في الشرق ،
وفي صدر كل منهما حقد وحشي على الآخر ، ثم شاهدنا ذلك
البغض الكريه والعداء التاريخي ينقلب الى هدنة ، ثم الى « تحالف ودي » ،
وشاهدنا الانكليز يكشرون عن انيابهم اذ لمسوا التبسط الجرمانى
يتشرف في انحاء السلطنة العثمانية ويمتد الى اسيا ، وهم يتمنون لو أن باستطاعتهم
تقويض الامبراطورية الالمانية التي صارحتهم الزحام ، وصارحتهم
عزمها الوطيد على ان تجعل لنفسها « مكاناً تحت الشمس » (١)
اسوة بهم وبغيرهم من الشعوب التي اكلت البيضة و... القشور ،
فما بال الانكليز الغاضبين الزمجرين ، الناقين المهددين ، ينقلبون بين
ليلة وضحاها الى حمل وديع ، ويشتركون مع خصومهم ومزاحمهم -
مع اعدائهم الالمان - في تأسيس شركة « توركيش بتروليوم » لاستخراج
النفط من الموصل وبغداد ؟ وما بال الالمان الذين عزموا في اقصى
قرارة ضمائرهم على ان يطحنوا الانكليز ، ويقضوا عليهم القضاء المبرم ،
فقام غليومهم الثاني بخطب مهدداً « بان مستقبل المانيا هو فوق البحار »

وهو تحد عاني لبريطانيا سيدة البحار - ما بال هؤلاء الناقين على
الذين اكلوا البيضة والتمشور يتقلبون بين ليلة وضحاها الى عقلاء
وحكماء ويشتركون مع مزاحمهم - مع أعدائهم الانكليز - في تأسيس
«التور كيش بتروليوم» ؟

وسمنا السياسة البريطانيةين يصرحون علناً بان تحالفهم مع روسيا
وفرنسا انما هو تنمة للهدنة التي اعلنتها حكومتا بطرسبرج ولندرة في
عمدة ١٩٠٧ ، وان تلك الهدنة انما وضعت لابعاد الخطر الالماني عن
طريق الهند : عن العراق

وصرح ساسة برلين مراراً وعلناً بان تحالفهم مع تركيا انما هو
تلايقاف مضامع بريطانيا في الشرق عند حد... «معقول» ، بمعنى ان
لا يأكل اولئك الجشعون الانكليز البيضة و... تشورها ، فماذا طراً
على تلك النيات حتى يتحالف العدوان في الميدان نفسه الذي كان كل
منهما يطمع بالاستيلاء عليه ! كيف جمعت الموصل ، وهي بيت القصيد
في التزام الالماني البريطاني ، بين الخصمين اللدودين ؟

في اللغة الافرنسية تعبير يدل على نفسية اوروبا وأميركا باجلى
وضوح ، وهذا التعبير هو قولهم : « ليس للمال رائحة » L'Argent
na Pas de leur ويتدون من ذلك ان مصدر المال ، وطريقة كسبه ،
هو حالة حامله لا ترثر في قيمته لانه يظل مالا ، وهو ينتقل من جيب

الى جيب ، ومن يد الى يد ومن بلد الى بلد ، ويبقى على « وزنه » ، لا ينظر أحد الى « أخلاق » دافعه... فالقس يقبض المال من يد الزانية ويخزنه في جيبه ، والامام يقبض المال من يد السارق ويخزنه في جيبه ، ولا يزهّد واحد منهما فيه ، ومصدره في الحالين حرام ، قد نهت الاديان عنه !

والافرنسيون يميلون الى النكته ، وقد اشتهروا عموماً بخفة الروح - في بلادهم... - وهم في هذه الذهنية على نقيض والانكليز ، فلما عرض على مجلس نوابهم مشروع تحويل شركة النفط الافرنسية حق استثمار حصة الحكومة الافرنسية من زيوت الموصل ، كانت اراء النواب متضاربة فيه ، والاهواء تتنازع الاحزاب والافراد ، وشركات الاحتكار العالمية ترتقب موقف الندوة منه باهتمام شديد ، لانه يقرر مبدأ رسمياً عاماً للحكومة الافرنسية في سياسة النفط ، فظهر من النواب تناقض حزبي ، وانشق افراد الحزب الواحد بعضهم على بعض ، فكانت جماعة من احزاب اليمين تؤيد أقوال جماعة من احزاب اليسار ، وقامت جماعة من احزاب اليسار تؤيد معارضة احزاب اليمين ، أي ان الحابل اختلط بالنابل ووقف الرأسمالي يظاهر معارضة الشيوعي ، والماسوني يساند الكاثوليكي ، وكان مقرر المشروع النائب شارلو ، وهو من أقدر الاخصائيين بشؤون النفط ، قد لاحظ هذا

التناقض بينه في سياسة الحكومة الفرنسية ، وأشار اليه مستغرباً
تقلب الوزارة في مواقف متناقضة ، فقاطعه وزير التجارة الذي قدم
المشروع للمجلس ، وكان يومئذ موريس بوكانوفسكي الذي قتل في
حادثة الطائرة المشهورة ، وقال للخطيب مبتسماً : « ليس للنفت رائحة »
Le Petrole n'a Pas d'odeur فابتسم المؤيدون وصفق المعارضون .
والسكتة في جواب الوزير اليهودي تدل هي أيضاً باجلى وضوح على
ان النفط وله أكره رائحة يحلل ... الحرام !

ولا بد للمفكر من التساؤل عن موقف فرنسا حيال ذلك
التحالف الجديد بين الانكليز والالمان في جزء من السلطنة العثمانية
« حساس الوتر » ، وعمما اذا كان سياسة الفرنسيين قد رضوا به .
والجواب : ان الدهاء الانكليزي كان يلعب كما شاهدناه على الف
حيلة وحيلة في آن واحد ، ففي الساعة التي كان المال البريطاني يمد
العدة لتأسيس شركة توركيش بتروليوم ومحالفة المال الالمانى ، كانت
السياسة الانكليزية تفاوض حكومة باريس في الامور التي تحمل
السياسة الفرنسية على الاطمئنان الى مساعي حليفتها البريطانية .
يؤكد لك صحة وقوع تلك المفاوضة : التصريح الخطير الذي ادلى
به المسيو ريمون بوانكاره في مجلس النواب بصفة انه وزير خارجية
فرنسا سنة ١٩١٢ اذ قال : « ... ان لنا في لبنان وسوريا مصالح

تقليدية نحن عازمون على جعلها محترمة من الغير . ولقد صرحت لنا الحكومة الانكليزية بلهجة قاطعة ان ليس لها في تينك المقاطعتين اية نية أو تصميم أو أمان سياسية من أي نوع كان (١) ... » اهـ .

ومضى اسبوع على ذلك التصريح فادلى السير ادوار غراي وزير خارجية بريطانيا بمثله في مجلس العموم مؤيداً قول زميله بوانكاره !! . فكان جلياً ان الوزيرين اتفقا على ذلك التصريح (٢) بعد ان وضعت حكومتاهما اتفاقاً (سرياً ، بالطبع !) على اقتسام النفوذ السياسي في بعض الاجزاء العربية من مملكة الرجل المريض

اذن ، فالدهاء البريطاني يستطيع كما رأيت ان يقتل الفريسة ويمشي في المأتم ، وان يداعب يميناه عنق المانيا ويحاصر فرنسا يدسراه . ناهيك بان في الانكلو برشيان - شركة امارة البحر البريطانية - التي تملك نصف رأسمال الشركة التركية الجديدة ، أموالاً فرنسية ... فان ثلاثة وعشرين من المئة ، من أسهم رأسمال الانكلو برشيان العادية مبيعة في ... فرنسا ! ولدى احتكاك المصلحة المادية بالسياسة تتلاشى

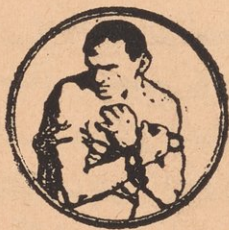
(١) - رواد لوكه (ص ١٨٣) عن كتاب ندره مطران: «سورية

الغد»

(٢) - وهذا رأي الاستاذ جان لوكه في كتابه عن «سياسة

الانتداب في الشرق» - ص ١٨٣

احلام الوطنية ومورفينها من قلوب رجال المال . فالمال هو كل شيء
في سياسة النفط - وفي غير سياسة النفط - وهو لا راحة له ، وجعل
النفط بلا ... راحة !



ليتدبر القراء النظر في الفصول التالية ، فانها ذات صلة :
وثيقة بيلادهم وتاريخها الحديث ، بل هي
عرض الاسباب والعوامل التي ساعدت على
اعلان الثورة القومية في الحجاز ، و « سلخ »
الاقطار العربية عن السلطنة العثمانية ، وتقسيمها
الى مناطق نفوذ بين الحلفاء ، ثم الباسها
اشكالا متنوعة من مظاهر الحكم الاجنبي
المباشر ، او المستور بالحكم البلدي « الوطني »

ويل يومئذ للمكذبين!

— صدق الله العظيم —

*

قالوا :

«... ولقد كانت فرنسا نصيرة العالم ، وهذا من دواعي افتخارها وسيظل شرفاً لها ، فهبت الى الوغى والسيوف في يدها تحارب لاجل المدنية واستقلال الشعوب ، فهي لا تعتمد سيفها الا عندما تكون قد نالت جميع الضمانات لتوطيد صلح ثابت ممكن ، وعندما تقدم فرنسا وحلفاؤها هذا الصلح الثابت للدنيا تكون النيات المستورة لاجل السيطرة الظالمة قد توارت ، وافسح المجال لفكرة الازدهار والمدنية في ظل حرية الشعوب المتمتعة بكامل استقلالها ! »
(من خطاب ارستيد بريان امام مجلس النواب الافرنسي في ٣ ت ٢
(نوفمبر) سنة ١٩١٥)

* * *

+

«... ان هذه الحرب انما هي النضال في سبيل الحرية وتآخي الشعوب ، والاشتراكية الانسانية ، فيجب اذن خوضها لاجل السلام ، لاجل السلام دون استملاك اراض جديدة أو طلب تعويض حربي . ولكن سلماً كهذا السلم ليس ممكناً الا بشرط القضاء على كل فكرة ترمي الى سلب الشعوب حقوقها وحرياتها . ولا يجوز أن يؤدي الى احتلال بلدان ، سواءً أكان الاحتلال كاملاً

(*) خير الله (الفصل الاول ، القسم الثاني) وماندلستام
(الفصل الثاني ، القسم الرابع) وجريدة « العنان »

أم جزئياً . ويجب ان لا يبنى الصلح على اسس استملاك أراض جديدة ، سواء أ كان الاستملاك احتلالاً ظاهراً أم مستوراً ، ولا اخضاع بلد لنفوذ اقتصادي يؤدي الى القضاء على الاستقلال السياسي فيكون أشد ارهاقاً . واخيراً يجب أن يكون حق الشعوب في حكم نفسها بنفسها هو وحده الدعامة الراسخة في نظام علاقة الامم بعضها ببعض . »

(من البيان الذي أذاعه الاشتراكيون الاوروبيون في ١٢ ت ٢٠١٥ في المؤتمر الذي عقدوه في مدينة زيمروالد السويسرية)

« ... وسنحارب حتى نشيد سلطة الحق على القوة ، ونضمن للدول جميعها ، الصغيرة والكبيرة ، حرية الازدهار في ظل اسس المساواة التامة ، وطبقاً لقابلية تلك الدول الخاصة »

(من خطبة للسير ادوار غراي في ٢٣ ت ١ (اكتوبر) ١٩١٦ في المائدة التي أولتها وزارة الخارجية البريطانية لجمعية الصحف الاجنبية في لندن)

« ... وقد علمنا من مصدر يوثق بصحة أنبائه ان فرنسا وبريطانيا وروسيا قد تقاسمت في السنة الماضية (١٩١٥) أملاك السلطنة العثمانية في اسيا الصغرى . . . وسياسة الفتح هذه تنقض المبادئ الانسانية

السامية التي يستوحىها اللورد غراي في خطبه ، وتنقض أقواله وأقوال المستر اسكويث الزراعيين ان الحلفاء يحاربون لجعل الحق فوق القوة ، ولتمكين الدول الصغيرة والكبيرة التي تتألف منها الانسانية المتمدنة من ان تعيش حرة مستقلة وتزدهر طبقاً لقابلياتها الخاصة... اذا كان الحلفاء يريدون تحقيق ما يزعمون فعلاً لا قولاً فعليهم أن ينتقلوا الى الميدان العملي ، والا فتظل الكلمات الجميلة التي ينطقون بها عن الحرية والمساواة كلمات جوفاء»

من خطبة للمستشار دي بتمان هولويغ في مجلس النواب الالماني في ٩ ت ٢ سنة ١٩١٦ يرد بها على خطبة اللورد غراي السابقة)

«... اتنا نرغب جميعاً في الصلح والسلام ، ولكننا نريد سلاماً وطيباً الاركان يبنى على التوازن العادل بين الدول ، وعلى احترام المبادئ القومية ، والقواعد الحقوقية للناس ، واصول الانسانية والحضارة ، لا على القوة التي تصهر حديد السلاسل في نير شعب لاختضاعه لشعب آخر»

(من خطبة للسناتور سونينو وزير خارجية ايطاليا في مجلس النواب

الايطالي في ١٩ ك ١ (ديسمبر) ١٩١٦

«... ويؤكد الحلفاء ، مرة ثانية ، انه لا يمكن ان يتم الصلح اذا

لم يكن من ضمان لاعادة الحقوق والحريات التي اغتصبت في هذه الحرب ، واذا لم يعترف بمبدأ القوميات وبحقوق الدول الصغيرة في الحياة الحرة المستقلة ، واذا لم يبين هذا الصلح على اساس تقضي على روح السيطرة والقوة التي كانت خطراً يهدد الائم منذ القديم .»
(من البيان الذي كتبه الحلفاء وسلمه الميسو بريان في ٣٠ ك ١٩١٦ باسمهم الى سفير الولايات المتحدة في باريس رداً على مذكرة الرئيس ويلسن التي توسط فيها لانهاء الحرب)

« ... وان الحلفاء يوجهون نظر ان رئيس ويلسن وحكومة الولايات المتحدة الاميركية الى ان التعدي قد بدأ من المانيا والنمسا لتضمنا السيطرة الاقتصادية على العالم . ولقد اظهر الالمان في اعلانهم الحرب وخرقهم حياد بلجيكا ولوكسمبرج احتقارهم لكل مبدأ انساني ولكل دولة صغيرة ، وولسنا بحاجة الى التذكير بالفظائع التي ارتكبوها في أثناء اجتياحهم الاراضي البلجيكية والصربية ، والاحكام القاسية التي أعلنوها فيها ، والمذابح التي أودت بمئات الالوف من الارمن الابرياء ، والوحشية البربرية التي عومل بها سكان سوريا ، والقنابل التي أطلقتها طائرات زبلين على المدن غير المحصنة ، واغراق البواخر الحيادية ، والقسوة التي عومل بها اسرى الحرب ، ونفي السكان واستعبادهم ، فهذه الجرائم التي

ارتدبها الالمان والنمساويون والاتراك تشرح احتجاج الحلفاء على
اتهمهم بما هم براء منه ...

«... ان العالم المتتمدن صار يعلم ان الحلفاء يحاربون لتحرير
الشعوب الصغيرة من سيطرة القوة والبطش ، وتقرير حق كل
شعب بحكم نفسه بنفسه ... وخلع نير الظلم الدامي عن عنق
الشعوب الخاضعة لحكم التركي ... وتأمين السلام في ظل
مبادئ الحرية والمساواة ...»

(من مذكرة الحلفاء الثانية الى الرئيس ويلسن في ١٠ ك ٢ (يناير)
(١٩١٧)

«... واقترح على جميع الامم ان تتبنى ، بالاتفاق ، مبدأ الرئيس
مونرو (١) كتشريع جديد للعالم ، وان لا تسعى اية امة الى
اخضاع اي بلد آخر لسياستها ، بل يجب ان يكون كل شعب حراً
في انتهاج سياسته الخاصة وان يختار بنفسه السبيل الذي يراه خيراً
ازدهاره ، دون ان يعتوره ما يرغمه او يرهقه او يخيفه ، حتى يتمكن

(١) الرئيس جيمس مونرو (١٧٥٩—١٨٤٣) احد رؤساء
الولايات المتحدة ويقول تشريع المعروف باسمه بمنع تدخل الاوربيين
والاجانب في اميركا : (اميركا للاميركيين)

الصغير من السير الى جنب الكبير او القوي باطمئنان»
 (من بيان الرئيس ويلسن الى مجلس الشيوخ الاميركي في ٢٢ ك ٢١٧
 عن الخطة التي يجب على حكومة الولايات المتحدة
 اتباعها في توسطها لانهاء الحرب)



رصاصه سيرا جيفو

انطلقت رصاصه سيرا جيفو مهددة للحرب العالمية — للمجزرة البشرية التي سعت اليها الدول سعيًا ... — ولو لم يطلقها الفتى غافريلو بيرنسيب على فرنسوا فرديناند ولي عهد النمسا وعلى زوجته ، لاطلقها سواء على امير او وزير آخر ، ولو لم تنطلق تلك الرصاصه لتذرعت الدول بسبب آخر لاعلان الحرب ، لان سياسة « الترقيع » مع اليهود السرية ، وسياسة المجاملات الكاذبة مع انتفاخ الصدور حقدًا ، كانت قد بلغت حدها الاقصى . وكان رجال انال : اصحاب مصانع السلاح ، ومناجم الفحم ، ومعادن النفط ، والمطابخ الكيمية ، ومعامل القطن ، وحلفاءهم — وهم رجال الحل والعقد الحقيقيون في العالم — قد سلكوا جميع السبل في تنافسهم ، ولم يبق أمامهم الا سبيل الحرب لتأمين تبسطهم ، فأعدوا لها الازهان ، وهياؤوا الاسباب ينتظرون ، ووقضوا عشر سنوات كاملة في استنضاجها ، عاشت اوروبا في اثنائها في غليان ، كالقدر فوق النار ، ظمأى الى الدماء ... حتى رفع غافريلو يده في سيرا جيفو قائلاً لها : خذيه .. « رصاصه » تروي الغليل !

وبدت الذريعة التي كان رجال الحرب ينتظرونها ، فهموا الى مجزرة لم يرو تاريخ « البشر » حوادث أفظع هولاً من جرائمها ، وساقوا اليها الجماهير بعد أن اسكروها بخمرة « الخيال القومي »

« نداء الثأر » ، واصيبت الشعوب بمرض يشبه السكب للقتل والتدمير ،
 والتمثيل والتفطيع ، وكأني بالعالم ، وقد « شبع ! » من حياة الهدوء
 العذب ، والفض السامي ، والاحلام الانسانية الهائلة ، يلي صوت
 الغريزة البهيمية الراسبة في دمه ، فيحن الى عهد التوحش الاول !
 اندلعت لسان الحرب في اوروبا اولا ، فاعلن رجالها ، في كل
 ساحة ، انهم مدفوعون الى امتشاق الحسام لاجل الثأر لكرامة الوطن
 والراية والعهود

وتوالت الاسابيع ، فشعروا بانهم في حاجة الى عطف العالم المتحايد
 فاعلنوا جميعهم ، من الجانبين ، انهم في حالة الدفاع عن تربة الجدود ،
 لم يدخلوا الحرب الا مكرهين لصد غارة الاعداء عن الحدود
 وتوالت الاشهر ، وكان الداء قد بدأ يفتك بالجميع ، من الجانبين ،
 فاعلنوا انهم يحاربون لاجل تحرير الانسانية من مبادئ الظلم والتوحش
 والارهاق ، ولتحرير الشعوب الصغيرة المستعبدة من نير الحكومات
 الجائرة . وكان وزير كل دولة من دول المتحاربين يصرح بان حكومته
 لا تطمع باي فتح او تبسط او نفوذ ، وانما هي تضحي بانبائها وافلاذ
 اكبادها لراحة الانسانية ، بعون الاله المعبود . !!

وتأزم الموقف واكفر الجو ، وبلغ عدد الضحايا مليوناً من .

البشر ، وهو « يبشر » بالازدياد ، فوقف المسيو ارستيد بريان رئيس
الوزارة الاfrنسية يخطب في النواب ، في جلستهم المنعقدة في ٣ ت ٢
(نوفبر) سنة ١٩١٥ ، فعرض لفكرة الصلح التي كانت تتوسط لها
بعض الجماعات والدول ، وصرح بان فرنسا لن تفكر في طمع أو
جشع ، او منفعة شخصية ، لقبول الصلح ، لان فرنسا — وهنا يتكلم
رئيسها بريان — : « كانت في الحرب نصيرة العالم ، وهذا من دواعي افتخارها
وسيجل شرفاً لها ، ولقد هبت والسيف في يدها تحارب لاجل المدنية
واستقلال الشعوب ، فهي لا تعتمد سيفها الا عندما تكون قد نالت
جميع الضمانات لتوطيد صلح ثابت مكين ، وعندما تقدم فرنسا
وحلفاؤها هذا الصلح الثابت للدنيا تكون النيات المستورة لاجل
السيطرة الظالمة قد توارت ، وافسحت المجال لفكرة الازدهار
والمدنية في ظل حرية الشعوب المتمتعة بكامل استقلالها الذاتي ،
هذا هو الصلح ، ايها السادة ، الذي يمشي اليه جنود فرنسا ، وهو
وحده الخلق بنا ، والذي يجوز ان نفكر فيه ! » اهـ

ومضى اسبوع على تلك الخطبة التاريخية فعقدت الاحزاب
الاشتراكية الاوربية مؤتمراً في زيمروالد (سويسره) وكان المؤتمر
من جميع الجنسيات ، المتحاربة والمحايدة ، يمثلون تمثيلاً رسمياً ، اكثر
من عشرة ملايين عامل يملأون ميادين القتال ، فبحث المؤتمر في

حالة الحرب بحثاً مسبباً من جميع الوجوه ، الايجابية والسلبية ، واصر
بقي ١٢ ت ٢ (نوفمبر) القرار التاريخي الاتي نصه :

« ان هذه الحرب انما هي النضال في سبيل الحرية ، وتآخي
الشعوب ، والاشتراكية الانسانية ، فيجب اذن خوضها لاجل الصلح ،
لاجل الصلح دون ضم اراض جديدة (استثمار أو حماية أو ... أو

انتداب) ودون طلب تعويض حربي . ولكن صلحاً كهذا الصلح
ليس ممكناً الا بشرط القضاء على كل فكرة ترمي الى سلب الشعوب

حقوقها وحرياتها . ولا يجوز ان يؤدي الى احتلال بلدان سواء كان

الاحتلال كاملاً أم جزئياً . يجب ان لا يبنى الصلح على اسس احتلال

(ضم) أرض سواء أكان الاحتلال ظاهراً أم مستوراً ، ولا اخضاع

بلد لنفوذ اقتصادي يؤدي الى التضاء على الاستقلال السياسي فيكون

أكثر ارهاقاً . وأخيراً يجب ان يكون حق الشعوب في حكم نفسها

ينفسها هو وحده الدعامه الراسخة في نظام علاقة الامم بعضها ببعض . » اهـ

اقتطفنا هذه الفقرات من مصدرين رسميين ، كان يحق لكل
منهما — بموجب القوانين الرسمية والتقاليد المعمول بها — ان ينطق
باسم الملايين التي خاضت غمار المجزرة ، ليعرب عن رأي تلك الملايين

في الاسباب التي حملتها على اقتبال الموت ، وفي الشرائط التي تراها لازمة لتوطيد السلام في العالم والقضاء على مسببات الحرب !

ووالله ، انه لكلام عذب ونبيل : عذب في تذوقه ، يوم القائه ، ونبيل في مظهره ، قبل الوصول الى النتيجة . ولما تكمل السنة الواحدة بعد ، على ذلك الكلام المعسول ، فاقلب الصفحة واسمع :

دعا اللورد ادورد غراي في ٢٣ ت ١ (اكتوبر) سنة ١٩١٦ ، وكان وزير خارجية بريطانيا ، جمعية مثلي الصحافة الاجنبية في لندره الى مأدبة عشاء ، تعودت اكثر الحكومات الاوربية والاميركية ان تقيم مثلها في كل سنة لمثلي الصحف الاجنبية ، فخطب اللورد الكريم ، في ذلك المساء ، خطبة سياسية عن المجردة الزمنية ، وطلب الى مدعويه ان يبعثوا الى صحفهم في العالم بتصريحه الاتي نصه :

« .. اتنا سنظل نكافح في هذه الحرب الضروس حتى تم بناء اعلاء الحق على التتوة ، ونضمن ، في ظل المساواة وشرائطها ، حرية نمو جميع الحكومات ، الصغيرة والكبيرة على السواء ،

التي تؤلف الانسانية المتمدنة » اهـ .

ووالله ، وبالله ، وتالله ، ان هذا الكلام حري بان يتسامى الى الكلام المنزل ! فان « لسان » هؤلاء الاولياء الاطهار ، انما هو لسان

الحق وصوت الله على الارض :

ا - انهم يحاربون لاجل المدنية واستقلال الشعوب

ب - انهم لا يقبلون بالصلح الا بعد القضاء على فكرة التبسط والاستعمار ، وانشاء بشرية جديدة تعيش في ظل حرية الشعوب المتمتعة بكامل استقلالها الذاتي

ج - انهم لا يرضون باي صلح يبنى على احتلال بلدا ، سواء اكان الاحتلال ظاهراً أم مستوراً ، كاملاً أم جزئياً ، أو اخضاع بلد ما لنفوذ اقتصادي يؤدي الى القضاء على استقلاله السياسي

د - انهم لا يرضون الا بان يكون للشعوب حقها في حكم نفسها بنفسها - اي بالاستقلال - وان يكون ذلك الحق وحده الدمامة الراسخة بين الامم في علاقاتها ، بعضها ببعض الاخر

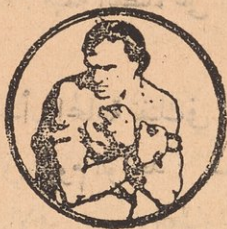
هـ - وانهم ، أخيراً ، لا يغمدون ذلك السيف الذي شهروه ، لاجل المبادئ التي أعلنوها ، الا عندما يضمنون نمو جميع الحكومات الصغيرة والكبيرة ، على السواء ، في ظل المساواة !
واقلب الصفحة :

في ١٩ شباط (فبراير) ١٩١٦ وهو تاريخ سبقه بعض ذلك الكلام ، وسمع الناس بعده كلاماً آخر يؤيده معنى ومبنى ، في ذلك اليوم تم الاتفاق ... السري ... بين حكومات فرنسا وروسيا

بريطانيا على ...

على ماذا ؟

على ... اقتسام السلطنة العثمانية !



لاجل النفط

وسمع المظلومون والمرهقون ، السائلون والمحرومون ، تلك
الاصوات النبيلة ترتفع من خلال لعلمة الرصاص وأزيزه ، ودوي
المدفع وهديره ، صارخة مؤكدة : انها حرب في سبيل الحق ، بريثة
من كل طمع ، فغمرتهم نشوة الامل ، ولبوا النداء « السماوي » ماث
والوفاء ، تركوا متاجرهم واهملوا مصالحهم وهجروا عيشهم الرغيد ،
وقطعوا البحار من أميركا وافريقيا ، منخرطين في صفوف الحلفاء
لتحرير بلدانهم (١) البائسة ، وليكون لهم شرف الاشتراك في تلك
المهمة الانسانية المقدسة : مهمة القضاء على الظلم والارهاق ، واعلان
مبدأ تقرير المصير !

وحمي الوطيس ، وبدأت المجاعة تفتك في بلدان كثيرة ، والامراض
الوبائية تमित الالوف في اليوم الواحد : فسد الجو ، وفسد الهواء ،
وكانت القنابل تحصد الافواج ، والطائرات تدمر القرى والمدن ،
والغازات السامة تخنق المئات ، وملايين الاطفال والنساء والشيوخ
يبيتون على الطوى ، ينتظرون الردى ، والعالم باسره مشحوب الضمير ،

(١) كان عقد التطوع في الجيش الافرنسي ينص على « ان
المتطوع لا يستخدم الا في سبيل انقاذ delivrance بلاده » —
غوتوبرون (ص ٥٣)

من سوء المصير : في تلك الايام السوداء التي باتت فيها الساحة الغربية حارة المستقبل ، لا الحلفاء يطمثون الى فجره ولا هو يتسم للالمان وانصارهم ، كانت ... شركات احتكار النفط تتابع مساعيها بخنكة واطمئنان لتأهين مطاعمها ومرايحها :

في مساء ٣ آب (اغسطس) ١٩١٤ ألقى السيرادوار غراي ، في مجلس العموم ، خطابه التاريخي الذي حمل نواب الامة على اعلان الحرب « لان الالمان قد خرقوا حياد بلجيكا ، ونكثوا العهد الدولية » ، وفي اليوم الثاني ، وكانت لندره في سكرة النفير العام ، احتجرت الحكومة الانكليزية الحصة الالمانية من رأسمال شركة « التوركيش بتروليوم » ، وحوّلتها الى الخزانة العامة على انها « ملك عدو » . (١) فصارت الانكلو برشيان ، أي أمارة البحر ، أي الامبراطورية البريطانية ، طليقة اليد في امتياز نفط العراق ، وأخذت تضع الخطط الحربية المنظمة ، يساعدها فيها بعض رجال الحكم ، للاستيلاء على مناسبع النفط في الشرق بقوة الفتح والاعتصاب : فخلقت « حملة الدردنيل » و « حملة العراق » !

يظن بعض متبعي تاريخ الحرب الكونية ان الاتفاق السري

(١) نيكوليسكو (ص ١٤٤) — وتارديو في مجلة

« الاولستراسيون » (ص ٣٨٠)

الذي وقع عليه ممثلو حكومات لندره وباريس وبطرسبرج ، في العاصمة الروسية ، سنة ١٩١٦ ، لاقتسام أجزاء السلطنة العثمانية ، والذي اشرنا اليه في صفحة سابقة ، لم يتم الا بعد حملة الدردنيل ، وهذا الظن يتخذ ككتاب الاستعمار « لباساً » قانونياً لستر « وجوههم » به عندما يضطرون الى بحث هذا الموضوع ، فيحتجون ان دول الحلفاء الكبيرة — الطمع انشلت الاقانيم : روسيا وفرنسا وبريطانيا — قد لجأت اليه من جراء المواقع الحربية ، اذ كان لازماً عليها ان تقضي على المساعدة العثمانية التي تستند اليها المانيا ، ولا يتم ذلك القضاء الا باحتلال العاصمة العثمانية ..

وهب ان في هذا القول بعض الصواب ، في حين ان الكتاب الحريين قد انتقدوه من جميع الوجوه الفنية ، فاين الاستانة من البصرة ، وكوت العمار ، وبغداد ؟ واية فائدة تكون للحلفاء من اضعاف الجبهة التركية ما داموا يقطعون المدد عن جيوشهم في الجبهة الغربية ، وهي قلب الحرب ، ليرسلوه للحملة الشرقية ؟

ان للحلفاء من تلك الحملة فائدة لا تقدر ، وهي الفائدة التي كانت من اشد العناصر الحاحاً في اعلان الحرب ، اعني بها فائدة الاستيلاء على النفط ، ولكن ليس من الانصاف في شيء ان ننسبها الى شعوب الحلفاء ، بل يجب ان نقول انها لفائدة امارة البحر البريطانية ، أي

الحملة اسهم الانكلو برشيان ، وقد ثبت الان — « رسمياً » — ان سياسة النفط هي التي خلقت فكرة الحملة على الدردنيل وعلى العراق ، وكادت تقضي على الحلفاء في الجبهة الغربية ، ولولا دخول الولايات المتحدة الاميركية غمرة القتال الى جانب الحلفاء ، لكان وجه الارض اليوم غير الذي يعرفه البشر !

وللسيد ل . م . فيننغ ، احد مديري ادارة النفط الاميركية ، وهي مؤسسة حكومية ، تقرير « رسمي ... » عن سياسة النفط التي خلقت فكرة الحملة الشرقية ، قال فيه : « ... اما الاعمال الحربية الانكليزية سنة ١٩١٤ في العراق ، فكان ظاهرها درء الخطر عن الهند ، ولكنها كانت في الحقيقة تدبيراً احتياطياً لمنع الالمان والاتراك من الاستيلاء على النفط في ايران ، ثم تطور ذلك « التدبير الاحتياطي » الى منهاج جديد ، يرمي الى التقدم الى الامام ... أي الى تهئية امر منتظر ... وبينما القوات الانكليزية تمد خطاً حديدياً من مصر الى فلسطين ، كانت قوات غيرها ، من الجيش الانكليزي ، تمشي نحو الشمال ، نحو بلاد ما بين النهرين (العراق) ، ولم يكن ذلك المشي لحراسة الاراضي النفطية في ايران ، كما يظن ، بل ... للاستيلاء ... على ... الاراضي النفطية في ... الموصل ! ... (١)

وقد صدق السيد فينتن في تقريره الرسمي ، لان الاحوال التي وصلنا اليها تثبت صحة قوله ، ولان الاشخاص « الاجانب » الذين ظهروا على مسرح الثورة العربية ، والذين تولوا شؤون الحملة الشرقية ، ووضعوا الاتفاقات والعهود المتعلقة ببلادنا ، ظهروا الان في ... دور شركات النفط ، مؤسسين ، ومديرين ، ومساهمين !

وللسير ادوار غراي ، وزير الخارجية البريطانية يومئذ ، مقال مسهب في هذا الصدد ، خص به فصلاً كاملاً (الفصل العشرين) من مذكراته ، ووصف فيه بلبلة الاراء التي سادت وزراء انكلترا في تصميم الخطط الحربية ، اذ كان بعضهم يقول بوجود حصر جهود الدولة في الجبهة الغربية ، لانها نقطة الحرب الاساسية ، واقل اهمال منهم في تلك الجبهة يؤدي حتماً الى تقوية موقف الالمان فيها : لان خلو بعض الميادين من الحلفاء يفسح المجال للجيش الغليومي لان يستولي عليها و « يتمر كز » فيها . وكان بعض الوزراء يقول بوجود احتلال المناطق الحربية النائية ، في الشرق ، كالاستيلاء على الدردنيل و... بغداد ، لاضعاف الجبهة التركية ومنعها من مساندة الالمان . يصف السير غراي في مذكراته تلك البلبلة ، ولا يشير بصراحة الى سياسة الطمع في النفط العربي ، ولكنه يتألم من « تدخل الاشخاص المدنيين في شؤون حربية » ، وينصح لهم « بان لا يتدخلوا ، في المستقبل » .

في الاعمال العسكرية الفنية » ويعني الوزير في نصحه هذا ، المطبوع
بقالب سكسوني ناعم ، لا تأتيه الشبهات من جانب ، ان طمع شركات
النفط ، الذي حمل الجيش البريطاني على تلك انغامرات الخطيرة في
الشرق ، كاد يقضي على مركز الحلفاء في الغرب !...

ولكنها سياسة الاستيلاء على النفط ، وسترى ان محتكره ،
وتجاره ، وقد كانوا في ظلم الى سفك الدماء للحصول عليه ، سيطروا
على الدول المتحاربة جميعها ، لتحقيق مطامعهم ، وحملوا حكومات
الحلفاء على الخضوع لارادتهم ، لخدمة مرامهم ، قبلوا الصفوف
المتحدة هدفاً ومصيراً ، وزادوا في اشباع الموت من ازهار الشباب ،
واضطرت الدول المتحالفة ، بتأثير نفوذهم الفعال ، لان تعاكس
احداها خطط الثانية ، في حين ان الخطر كان يهدد جميع الرؤوس
على السواء ، وصارت كل حكومة تنجر « خازوقاً » لحليفها ، وترغمها
على مجاراتها ومسارعتها في كثير من الاعمال الخطيرة ، مغتمة خوفها
من تشتت الكلمة وتصعد الرأي في ذلك الموقف الرهيب . فكان
الخائف يخضع لسياسة حليفه مكرهاً ، اذ يرى نفسه امام الامر
الواقع !

ولقد كان الدهاء الانكليزي هو المغتصم غالباً ، فكانت فرنسا
وروسيا الحائفتين الطائعتين . وذلك لان الانكليزي حكيم ، يعرف
الهدف الذي يرمي اليه ، ويهيء عدته له من قبل خمسين سنة . وقد

كان يطمع في نفط العراق قبل الحرب ، فاسرع اليه منذ نشوب
المعركة الاولى ليستولي عليه !!.

ان الملم بتاريخ المجزرة البشرية يعرف في أي موقف خرج كانت
فرنسا في الساحة الغربية ، واي خطر رهيب كان يحيط بها من
جوانبها ، ويهددها في كل صباح ومساء ، اذ كانت نقطة الدائرة في
موقف الحلفاء ، بل كانت قلب الحرب . ومن الحق ان نقول ان
الشعب الافرنسي كان سخياً في تقدمه الارواح ، بطلا في الاستبسال ،
وهو لا ناقة له في اسباب الحرب ولا جمل له من نتائجها ، وما اظن
اني بحاجة الى تنبيه القراء الى اني أنكلم عن شعب لا عن حكومة....
كانت فرنسا قلب الحلفاء في الساحة الغربية ، وكانت نتيجة المجزرة
مرهونة على قدر التضحية والاستبسال ، فهاذا كان موقف الحلفاء
من قلبهم ، وأي اتجاه سلك الانكليز اليه ؟

انهم كانوا في ... ميدان آخر ، يفكرون بأمر آخر :

كان الافرنسيون يطحنون تحت أسوار فردون والمارن ، وقنابل
الالمان تدق عظامهم وتحصد أرواحهم الوفاً والوفاً في تغذية الموت ،
وكان الانكليز — حلفاؤهم وشركاؤهم واخوانهم — يعدون الحملة
الشرقية لاحتلال ... العراق !

ما هذا يا جماعة ال... «خير» ؟

أتركون بلجيكا وفرنسا تحت رحمة الالمان المرئيين بامل دك

حايقتكما الى الحضيض ، وتتطون باسرع من البرق الى العراق ؟
 أو ما كان يكفيكم ان تحتلوا البصرة وتحصنوها تحصيناً قوياً ،
 وعندئذ تصبح الهند امنع من عقاب الجو ؟
 لا ! ...

ان في العراق أبار النفط ، في الموصل انهار النفط !
 والى ذلك يشير الشاعر العراقي الملمهم ، بل الشاعر الانساني الصادق
 الاستاذ احمد الصافي :

او ما كفاها بحرها العجاج	جاءته حوت البحر ظاهمة له
يطفي لظاهامأونا الشججاج	قد شب فيها نفطنا ناراً فهل

سوريا الجغرافية

بدأت المجزرة البشرية في أوروبا ، فاتجهت انظار الانكليز الى
الاستانة ، مفتاح البلاد النفطية الى البحرين الاسود والازرق ، وإلى
البصرة ، مفتاحها الى البحر الاحمر ، فسيروا الى كل منهما حملة :
وما أن عرفت حكومة الدب الابيض بمشروع الحملة على الدردنيل
حتى ابرقت وارعدت ، لان المضائق هي المنفذ البحري الذي تطمع
فيه منذ عشرات السنين ، واستيلاء الانكليز عليه يجعلهم السادة
المطلقين في البحر المتوسط ، من جوانبه الاربع ، ويحصر الروس
وراء جبالهم النائية عن المواصلات ، فكتبت وزاره التقيصر الى باريس
ولندره في ٤ اذار (مارس) ١٩١٥ مهددة ، مزججة ، تقول بانها
وحدها صاحبة الحق في احتلال الاستانة والمضائق ، والا فانها تستقل
في ادارة وجهة الحرب على الطريق الذي تراه مفيداً لها . ولم يكن
تهديد بطرس سرج بالصدمة الاولى التي أحدثت دويّاً ورجرجة في صفوف
الحلفاء ، فاضطر الفرنسيين والانكليز الى الميلينة والمسيرة ، وإلى
الوعد والاغراء ، وجرت مفاوضات بين العواصم الثلاث ، وسافرت
الرسل ، فوضع التمهيد الاول لحل تلك المشكلة بان قبلت فرنسا
وانكلترا بمطالب روسيا على شرط أن تظل الاستانة مرفأً حراً ، وان
تعترف حكومة التقيصر بـ... «حقوق» الفرنسيين والانكليز في سوريا
والعراق ! وعلى ذلك التمهيد جرت المفاوضات الثانية التي أدت الى

الاتفاق السري في ١٩ شباط (فبراير) من السنة التالية على اقتسام
أرث الرجل المريض ، قبل وفاته !

ولعلنا « نخدم !... » مصالح الفرنسيين بتذكيرهم ذلك العهد ،
ورجال السياسة « الصغيرة » منهم ، رجال السياسة الاقليمية ، يدركون
أخطاءهم من اصرارهم على خطة التجزئة التي يرغمون البلاد السورية
على الخضوع لها ، ولعل السيد بونسو معطل الدستور الذي وضعته
الجمعية التأسيسية يقرأ هذه السطور فيعلم ان سوريا كانت « بلاداً
سياسية واحدة لا تتجزأ ، ولا عبرة لكل تجزئة طرأت عليها منذ نهاية
الحرب » (١) — لعلنا « نخدم !... » مصالح الفرنسيين اذ نذكركم
هذه الحقيقة وذلك العهد ، ونذكركم ان سوريا التي تكلموا عنها في
الاتفاق السري ، لم تكن سوريا الحالية بل سوريا الطبيعية ، السياسية ،
الكاملة ، ولقد حددها هذا التحديد الصحيح السيد جورج ليغ احد
رؤساء الوزارة الافرنسية سابقاً ومن مشاهير وزراء البحر ، اذ ألقى
في شهر أيار (مايو) من سنة ١٩١٥ خطبة ضافية في الجمعية الجغرافية
بباريس عن مصالح فرنسا في الشرق ، وقد « مشت » تلك الخطبة

(١) نص البند الثاني من الدستور السوري الذي وضعته
الجمعية المؤسسة وعظماها السيد بونسو الممثل السابق للجمهورية الافرنسية
في سوريا

ومشروع الحملة على الدردنيل خطوة فيخطوة ، فقال الوزير ليغ :
 « ... ولن يكون البحر المتوسط حراً في نظرنا ، لن نضل سادته ،
 الا اذا بقيت سوريا في منطقة نفوذنا ، ويجب ان يفهم من ذلك اننا
 لا نغني سوريا المشوهة المجزأة ، بل سوريا الكاملة التي تعيش سياسياً
 واقتصادياً وجغرافياً ، سوريا الحقيقية التي تمتد من العريش الى
 طوروس ، ومن الموصل الشرقية الى شواطئ البحر » اهـ

وسبق الرئيس ليغ في هذا التحديد ، قائد من كبار رجال
 الجيش الافرسي هو الجنرال دي تورسي (١) في كتابه « مفكرات عن
 سوريا » الذي وضعه قبل الحرب العامة ، قال « ... ومهما قيل بعض
 الاحيان عن ان بعض اجزاء سوريا ، ولا سيما فلسطين ، قد سلخت
 عنها مراراً ومداً طويلة ، فان الحقيقة التي لا ريب فيها هي ان هذه
 البلاد — سوريا — واحدة ، جغرافياً وعسكرياً ، تؤلف منطقة
 حددتها الطبيعة تحديداً منظماً كاملاً ، اما الاسباب التي تتخذ ذريعة
 للقول بان سورية قد جزئت في تنظيمها السابق ، فهي اسباب سياسية
 بحث ، وطابعها الاصطناعي كاف لازلها ... » اهـ

هذا هو تحديد سوريا الحقيقي ، والسياسة الافرسية « كانت »
 تعرف هذه الحقيقة ، لانها كانت ما تزال امام امر لم يقع ، فهي اذن
 تجهر بها ، وتتنبث بها ، ويعلنها رجالها الرميون في خطبهم وكتاباتهم

بل كان من المعقول ان يهددوا لاجل المحافظة على تلك الوحدة ، ولكن حملة الدردنيل جرّتهم الى القبول بما كانوا ينتقدون ، لان سياسة النفط تريد ذلك !

سياسة النفط في العراق ، يا اخواننا السوريين المفصولين عنا ، العائشين تحت سيف الصهيونية ورقاعة المتزعمين منا ومنكم ، المتاجرين باسمنا واسمكم ، انها سياسة النفط في العراق يا احبابنا هي التي فرقت بيننا ، والدهاء الانكليزي لم يسلم بان يجري النفط في انابيب مدفونة تحت تربة يخيم عليها علم فرنسا .

كان الانكليز ، الحكماء في الحرب ، والدهاء في السلم ، يطبقون برنامج شركة « الانكلو برشيان » ، منذ كانت الاقطار العربية ماتزال تحت السيطرة العثمانية ، وشركة النفط الانكليزية الفارسية التي وضعت خرائط الحرب في الشرق منذ انطلقت رصاصة سراجيفو — وربما قبل ذلك التاريخ — هي التي غدت بما لها الحملة الشرقية ، وهي التي أجرت ، من وراء الستار ، مفاوضات الاتفاق السري لاقتسام السلطنة العثمانية بين الروس والفرنسيين والانكليز ، وهي التي وضعت بعدئذ اسس اتفاق سيكس بيكو ، وهي التي جعلت مرفأً حيفا في منطقة النفوذ الانكليزي ليمتد الخط الحديدي من بغداد اليه ، فهل يكفي مقال للقائد دي تورسي ، وخطبة للشيخ جورج ليغ ، و«احتجاجات» صبيانية من مرتزقي السياسة ، لمنع الدهاء الانكليزي من متابعة عمله .

هو تحقيق غرضه ؟ وهل تصلح السياسة الهوجاء ، وهي كريشة في مهب الريح ، لا تستقر على حال ، لان تمنع اصحاب الرزانة الحبيشة من الحصول على النفط ؟

لا !... ان سياسة الانكليز وبرشيان ، اي سياسة امارة البحر البريطانية ، التي حاربت الروس ثم هادتهم ، وخاصمت الالمان ثم حالفهم ، وقاومت الفرنسيين ثم اتفقت معهم ، وحاولت الغدر بالروس بعد مهادتهم ، ولكنها اضطرت الي ملاينتهم ، ثم حاربت الالمان وغدرت بالروس فالفرنسيين !... وبكل من وقف حجر عثرة في سبيل حصولها على النفط - ان تلك السياسة « لا كثر » من أن يؤثر فيها مقال ، وخطاب ، واحتجاج !
فاسمع الغرائب من حوادثها :

الأقرباء الصادقون

انتهينا من المرحلة الأولى التي مرت فيها سياسة الاستيلاء على النفط في الشرق العربي ، وهي مرحلة النزاع الصريح ، العلني ، قبيل إعلان المجزرة البشرية ، بين الدول عامة ، وبين الانكليز والالمان خاصة ، فشاهدنا العنجهية الغليومية ، والغطرسة الجرمانية ، أقل خبثاً في اظهار مظالمها من المكيفالية الانكليزية . وها نحن الان في المرحلة الثانية ، في إبان المجزرة ، في الايام العصيبة التي كانت فيها الدول الأوروبية غرقى في محيط من الدماء ، فانتقل النزاع على ابار النفط الى ميدان جديد : اذ صار بين الحلفاء من جهة وبين الدول المركزية من جهة ثانية ، ثم بين الحلفاء انفسهم ، وبين الانكليز والفرنسيين على الاخص . فلينبه القارىء - « العربي » - الى فصول هذه المرحلة ، وليحفظ التواريخ التي سنذكرها :

في اي يوم وقف المسيو بريان ، رئيس الوزارة الفرنسية ، يخطب في مجلس النواب عن « السيف الذي شهرته فرنسا لاجل المدينة ، وللاجل استقلال الشعوب » ؟ وفي أي يوم قال ذلك الخطيب المصقع « ان السلام الذي تسعى اليه فرنسا وحلفاؤها لا يتم ، الا عندما تتوارى النيات المستورة لاجل السيطرة على العالم » ؟

خطب المسيو بريان ذلك الخطاب باسم الحكومة الفرنسية التي

كان رئيسها ، في ٣ ت ٢ (نوفمبر) ١٩١٥

تشر فنا !

فاسمع الان ماذا يقول السير ادوار غراي ، وزير الخارجية
البريطانية ، في ذلك العهد ، في مذكراته : (١)
« ان الاتفاق السري بين فرنسا وانكلترا وروسيا ، المتعلق بمناطق
النفوذ في اسيا الصغرى ، كان بتدبير فرنسي ، ولكي يعرف القراء
بدء مرحلته انشر لهم الرقعة التالية ففيها الكفاية :
« وزارة الخارجية في ٢٣ اذار (مارس) ١٩١٥
« من السير ادوار غراي الى السير فرنسيس برتي (سفير بريطانيا
في باريس)

« لقد اعلمني المسيو كامبون (سفير فرنسا في لندرة) في هذا
اليوم ان المسيو دلكاسه (وزير خارجية فرنسا) بعث يوجه نظر السفير
الى ان قضية الاستانة والمضايق التي تهتم روسيا بوجه خاص ، قد
سويت منذ الان ، فكان لفرنسا وبريطانيا العظمى ، على الاخص ، ان
تدرسا القضايا الاخرى المتعلقة باسيا الصغرى . واذن ، فالمسيو دلكاسه
يقترح اجراء مفاوضة شبه رسمية ، ان كتابةً ، وان في شكل رسالة
شخصية ، تبحث في الرغائب الافرنية والبريطانية . ويمكن اجراء
تلك المفاوضة مع فخامتكم في باريس ، أو هنا في لندرة بين المسيو

(١) — الترجمة الفرنسية ، طبعة بايو في باريس ، سنة ١٩٢٧

كامبون ويني

« ولقد قبلت بهذا الاقتراح مرجحاً ان تجري المفاوضة هنا ، لان مجلس الحكومة لم يتسع له الوقت حتى الان ليفكر في رغائبنا التي يجب ان يتناقش فيها مجلس الوزراء ، اذ يجب ان تحال اليه في اثناء المفاوضات . ولقد زدت على ذلك بقولي للمسيو كامبون اننا كنا قد اشترطنا انه عندما يتوارى الحكم التركي عن الاستانة والمضايق ، يجب ان يكون في مكان آخر ، وذلك لفائدة الاسلام ، دولة سياسية اسلامية ، مستقلة ، يكون مركزها طبعاً في الاماكن الاسلامية المقدسة ، وتشمل البلاد العربية ، ولكن يجب التروي في تقرير ما يوافقنا من الحاق بعض البلدان بهذه المملكة ، لاننا لم نبت حتى الان في ما اذا كانت البلاد العراقية ستكون جزءاً منها (من المملكة

العربية السياسية المستقلة) ام اننا نطالب بها لتكون لنا وحدنا (!...)

« فاجابني المسيو كامبون انه يعتقد ، في الواقع ، انه من الافضل النظر في جميع فروع هذه القضية بطريقة شبه رسمية ، كما اقترحت وتفضلوا بقبول الخ... الامضاء : ادوار غراي » اهـ

في ٢٣ اذار ١٩١٥ تبدأ المفاوضات « السرية » الرسمية للبحث في الرغائب الفرنسية والانكليزية في اسيا الصغرى ، وبعد سبعة اشهر وعشرة ايام ، على التمام ، يقف المسيو بريان متغزلاً بسيف

فرنسا المشهور لاجل ... المدنية و... استقلال الشعوب ! وبعد سنة وستة ايام كاملة من تلك الخطبة يعان السير ادوار غراي ، باسم الحكومة البريطانية ، لصحافة العالم ، ان الحلفاء « سيتابعون النضال حتى يضمنوا للدول جميعها ، الصغيرة والكبيرة ، حرية الازدهار في ظل اسس المساواة التامة »
تشرقنا !

فاسمع بعد :

في ١٦ نوار (مايو) ١٩١٦ — قبل خطبة السير ادوار غراي —
تم الاتفاق بين السير مارك سيكس باسم الحكومة البريطانية ، والمسيو جورج بيكو باسم الحكومة الفرنسية ، على اقتسام البلاد ... العربية ، التي وعد الحلفاء « حليفهم » الشريف حسين بالاعتراف باستقلالها !

وقد اشتهر ذلك الاتفاق باسم واضعيه

اتفاق سبكي يكو

ليس المجال متسعاً لتحليل اتفاق سبكي يكو ببدأ ببدأ، وشرح مراميه وتناقضاته جملة جملة، فانه يحتاج الى مجلد مستقل، ولكننا نكتفي منه الان بالاضاءة على ما نحن في صدد، من شرح سياسة النفط التي كانت العنصر الاول في تسير دفعة الحرب في الساحة الشرقية :

نص البند الاول من ذلك الاتفاق « المبارك... » على ان حكومتي فرنسا وبريطانيا « مستعدتان... » لان تعترفا بحكومة عربية في مقاطعتي الف وباء، ولان تحميها. وهاتان المقاطعتان تشملان في الحارطة الملحقة بالاتفاق، ولايات دمشق وحلب والموصل (مقاطعة الف) وحكومة شرقي الاردن الحالية (مقاطعة باء)

وليتنبه القارىء الى نية الحكومتين في قولهما انهما « مستعدتان... » Disposes ولا نعلم السبب الذي منعهما من الاعتراف الصريح، وكان الشريف حسين، ابو الثورة القومية، قد اعلن انفصال الاقطار العربية عن حكم السلطنة العثمانية وانضم الى صفوف الحلفاء، بل الى صفي فرنسا وبريطانيا على الاصح.

على ان استعداد الحليفين الكریمتين للاعتراف بحكومة عربية في مقاطعتي « ا » و « ب » لم يكن ليعني ان هذه الحكومة، الموقوفة حياتها على « استعدادها » للاعتراف بها، ستكون مستقلة ! فقد نص

البند الاول عينه ، الذي اوجد تلك الحكومة ، على ان تكون فرنسا صاحبة الاولوية (الافضلية) في المشاريع والقروض المحلية في المقاطعة الاولى (ولايات دمشق وحلب والموصل) وتكون بريطانيا صاحبة الافضلية في المشاريع والقروض المحلية في مقاطعة « ب » المعروفة اليوم ببلاد شرقي الاردن . وعلى ان يكون لفرنسا وحدها في مقاطعة « ا » ولبريطانيا وحدها في مقاطعة « ب » حق تقديم المستشارين ، او الموظفين الاجانب ، عندما تتطلبهم الحكومة العربية
أما استقلال ... ما شاء الله !

ولا يجفلن القاريء فالهزلة لما تبدأ :

ماذا فعلت حكومتا باريس ولندره بالاقتار العربية الباقية التي « سلخت » عن السلطنة العثمانية ، وبالاقتار الاخرى التي ليست تركية اللحم والدم مئة في المئة ؟

قسموا بعضها الى قسمين ، واطلقوا على القسم الاول اسم « المنطقة الزرقاء » وعلى الثاني اسم « المنطقة الحمراء » — والعياذ بالله من اللون الاحمر فهو نذير الشرر والحرب والدم !

اما « المنطقة الزرقاء » فهي السواحل السورية جميعها من حدود عكا حتى الاسكندرونة — ولبنان منها يا غبطة البطيريك الماروني ! — ثم تمتد الى كيليكيا كلها وسيواس وكرديستان وخربوط وديار بكر . واما المنطقة الحمراء فهي العراق الحالي ... الا ولاية الموصل ، حتى

الخليج الفارسي مع خط « صغير » يمتد الى ... عكاء وحيفا
ونص البند الثاني على ان تكون فرنسا صاحبة الحق المطلق في
ادارة المنطقة الزرقاء بالحكم المباشر ، او غير المباشر ، كما تشاء ويشاء
لها هو « ا » والظروف ، والطقس الجميل ، وعلى ان تكون بريطانيا
صاحبة ذلك الحق عينه في ادارة المنطقة الحمراء

وجعلوا القسم الجنوبي من سوريا الطبيعية ، الكاملة ، التي سمعنا
تحديدتها من فم الوزير الافرنسي الكبير جورج ليغ ، ومن القائد
دي تورسي ، جعلوا القسم الجنوبي من سورية (اي فلسطين) منطقة
« رمادية » يؤسس فيها حكم دولي ... يقرر شكله فيما بعد بالاتفاق مع
الحلفاء الآخرين ومع ممثلي شريف مكة ! . (وكان اليهود يومئذ ما
تزال صناديقهم مقفلة في وجه الحلفاء)

ونص البند الرابع على ان « تمنح » Accordes بريطانيا مرفأ
عكاء ومرفأ حيفا

ونص البند الخامس على ان « تكون » مدينة الاسكندرونة
مرفأ حراً بما يتعلق بالتجارة البريطانية ، ولن ينشأ فيها اي فرق في
المعاملة المختصة برسوم الميناء ، ولا ان تمنح فرنسا افضليات خاصة
تحرّم منها الملاحة البريطانية والبضائع البريطانية . ويكون للبضائع
المذكورة (الانكليزية) حق المرور الحر (ترانزيت) من
الاسكندرونة ، وبواسطة الخط الحديدي في المنطقة الزرقاء (السواحل)

سواءاً كانت تلك البضائع واردة الى المنطقة الحمراء او الى منطقة « ب » او الى منطقة « ا » ام صادرة منها ، ولن يكون اي فرق في المعاملة يضر بالبضائع الانكليزية سواء أكان مباشراً أم غير مباشر ، في اي خط حديدي ، او يضر بالبواخر الانكليزية في اي مرفأ من مرافئ المناطق المذكورة

ونص البند السادس على وقف تمديد الخط الحديدي في منطقتي « ا » و « ب » الا باشتراك الحكومتين وحدها

ونص البند السابع على ان يكون لبريطانيا حق بناء خط حديدي من حيفا الى العراق وان تديره وتملكه « وحدها ... » وقد تدارك الدهاء الانكليزي تعذر بناء هذا الخط فاشتراط في البند السابع ان فرنسا تسمح عندئذ بمد الخط المذكور في اراض تابعة لمنطقة « ا » ونص البند الثامن على ان تظل المنكوس (الرسوم الجمركية) التي وضعتها الحكومة التركية قبل انسحابها من البلاد ، معمولاً بها في جميع هذه المناطق الملونة ، لمدة عشرين سنة ، ولا يجوز زيادة اي رسم ، او تعديله ، الا باتفاق الحكومتين . وعلى عدم ايجاد جمارك داخلية بين المناطق المذكورة ، ودفع الرسوم التي تستوفى عن البضائع الواردة الى الداخل للادارة التي تخضع لها البلاد المستوردة . (وهذه هي فكرة المصالح المشتركة)

ونص البند التاسع على ان لا تتخلى احدي الدولتين عن اي

« حق ... » من هذه الحقوق لدولة اجنبية — الا اذا كان التخلي للحكومة العربية التامة في منطقتي « ا » و « ب » — ما لم تفتح على ذلك ونص البند العاشر على تعهد الدولتين بالمحافظة على الحالة الراهنة في جزيرة العرب ، ومنع اية دولة من بناء حصن بحري في جزر الجهة الشرقية من البحر الاحمر

ونص البند الحادي عشر على ان تظل المفاوضات مع العرب لتحديد اراض الحكومة العربية المنوي الاعتراف بها في منطقتي « ا » و « ب » جارية كالسابق باسم الحكومتين

ونص البند الثاني عشر ، والاخير ، على ان الحكومتين تتفقان على اجراء تدابير تتعلق بمراقبة السلاح الذي يدخل الاراضي العربية ! » اهـ

هذا موجز اتفاق سيكس بيكو الذي وقعت عليه حكومتا لندرة وباريس في ١٦ ايار ١٩١٦ فماذا نرى فيه ؟

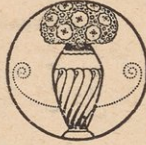
نرى ان الحكومة البريطانية لم تبر بوعدها لحليفها فرنسا ، في ان تكون سوريا الطبيعية ، الكاملة ، تحت النفوذ الفرنسي ، وقد اشار المسيو بوانكاره صراحة الى ذلك الوعد في خطبته عن علاقات فرنسا بسوريا ، في ٢١ ك ١ (ديسمبر) سنة ١٩١٢ في مجلس النواب ونرى ان رجال الحكومتين ، بريان وغراي ، و غير بريان وغراي ،

كانوا يظهرون ان الحلفاء لم يمتشقوا الحسام الا لاعلاء كلمة الحق ،
 وتحرير الشعوب المستعبدة من نير الظالمين ، وانشاء حكومات مستقلة
 تعيش جميعها ، الكبيرة والصغيرة منها على السواء ، في ظل المدنية
 والمساواة... وكانوا — رجال الحلفاء — يضمرون ان امتشاق
 الحسام هو لكل فكرة استعمارية وتبسط ، وللسيطرة على كل بلد
 وان اقتصادياً ، وان حق الشعوب في تقرير مصيرها هو للشعوب
 الاوروبية وحدها !

ونرى ان الحكومة البريطانية ، وفي الواقع رجال امارة البحر ،
 اي شركة النفط الانكليزية الفارسية ، رمت من وراء ذلك الاتفاق
 الى تأمين مطاعمها من نفط العراق ، وتأمين ايصاله من ينابيعه الى
 البحر المتوسط في اراض تكون خاضعة لها خضوعاً تاماً ، ولا ريب
 بان فرنسا لم تحرم نصيبها من ذلك النفط في الاتفاق المذكور ولكن
 الفضل في ذلك ليس لذكاء المفاوض الفرنسي بل لدهاء البريطاني
 في تخدير العقول وستر الشبهات ، وهو لم يتم على الغبن اذ تمكن ،
 بعد اربع سنوات ، من الغدر بالفرنسيين فسلبهم الموصل من منطقة
 نفوذهم بحيلة تاريخية لم يطلع الرأي العام العربي على حقيقة منهاجها
 وخططها حتى الان

ونرى اخيراً اننا كنا ، نحن العرب المقيمين في منطقة النفوذ
 الفرنسي ، ألعوبة بيد الانكليز ، وقد لعب معنا الفرنسيين ايضاً في يد

الانكليز ، وكانت حكاية الحكومة العربية في الداخل ، وهي المعروفة بمنطقة « ا » في البند الاول من الاتفاق ، أحبولة ليصطاد الدهاء السكسوني بها . وكان المغفور له الملك فيصل ، وكنامعه ، ليمونة حامض ... للعصر ، فالرمي !



استقلال العرب... الموصل

في الوقت الذي كان الروس والفرنسيين والانكليز يتفاوضون — « سرّياً » — لتوزيع نفوذهم في السلطنة العثمانية ، وقبل ان يتم الاتفاق بين السير مارك سيكس والمسيو جورج بيكو على اقتسام لبنان وسوريا وفلسطين وشرقي الاردن والعراق — كان الحلفاء يفاوضون الشريف حسيناً ، امير مكة ، لينضم والعرب الى صفوفهم لقاء اعتراف هؤلاء الحلفاء بانشاء دولة عربية ، سياسية ، مستقلة ، تنسلخ عن السلطنة العثمانية .

فاوض الحلفاء الشريف حسيناً لاعلان الثورة على خليفة المسلمين ، وكان لسانهم في تلك المفاوضات السير هنري ماك ماهون ، المقيم الانكليزي العام في مصر ، وانفق الفريقان على العمل المشترك ضد الاتراك ، فكان من نتيجة ذلك الاتفاق ان تبديل الموقف الحربي في الساحة الشرقية تبديلاً عظيماً ، أشار اليه المرحوم الشيخ فكنور يراز ، ذلك الفرنسي الحر ، في خطبته التاريخية في مجلس الشيوخ الفرنسي ، اذ قال : « ... اجل ، انه ، بفضل ذلك الاتفاق مع العرب ، لم يعلن المسلمون الجهاد (الحرب المقدسة) علينا ، في مجموعة ممتلكاتنا الاسلامية ، وبفضل ذلك الاتفاق (مع العرب) ايضاً ، تمكنا من دخول فلسطين وسوريا ... » (١)

(١) — مناقشات مجلس الشيوخ ، محضر جلسة ٢٨ تموز ١٩٢٠

ولكن الفرنسيين يزعمون ، ونحن نعرف اسباب زعمهم ، انهم كانوا يجهلون ذلك الاتفاق ، بحجة ان الانكليز هم الذين اجروه بواسطة ممثلهم السير هنري ماك ماهون في مصر ، فذمتهم بريئة ، اذن ، من وعوده !

فهل هم صادقون في زعمهم ؟

يقول البند الحادي عشر من « اتفاق سيكس — بيكو » —
وقد تم هذا الاتفاق بعد اتفاق الشريف حسين والسير ماك ماهون —
ان المفاوضات التي بدأت بين الانكليز والعرب لاجل تحديد المملكة العربية ، المنوي انشاؤها في ولايات دمشق وحلب والموصل ، وفي منطقة شرقي الاردن حتى الشمال الغربي لبغداد ، « ستظل جارية ، كالسابق ، باسم الحكومتين » . ويفهم جلياً من هذا الكلام ان الفرنسيين كانوا عارفين ، وهم يعترفون ، بان هناك مفاوضات جرت « في السابق » بين الانكليز وابي الثورة القومية ، وانهم قبلوا ، وعاهدوا حلفاءهم على القبول ، بان تظل المفاوضات جارية « باسم الحكومتين » الانكليزية و... الفرنسية !..

نستشهد بهذا القول « الرسمي » الذي اعترفت فرنسا بصحته ، بتوقيع ممثلها المسيو بيكو عليه ، ونستشهد بقول آخر ، فيه راحة رسمية ، وهو مقال لجريدة « الديلي تلغراف » اللندنية نشرته في ١١

ايلول (سبتمبر) ١٩١٩ في هذا الموضوع ، وقالت فيه : « ... ان الذين يجهلون نصوص الاتفاق المعقود بين انكلترة وشريف مكة (المرحوم الملك حسين) يؤكدون ان المسيو بيكو لم يفتبه الى وجود ذلك الاتفاق (يوم وقع على اتفاق سيكس بيكو) وهذا غير صحيح !...
 ولسنا بحاجة الى لفت نظر قرائنا الى ان جميع التفاصيل المتعلقة بتحديد خط المملكة العربية ، التي قررت مع الحسين ، عرضها الانكليز ثانية على الفرنسيين ، عملا بالواجب عليهم ، وقد قبل بها الفرنسيون في اتفاق سيكس بيكو اهـ.

وقد نقل هذا المقال الكونت دي غونتويرون في كتابه « كيف استقرت فرنسا في سوريا » وعلق عليه بقوله (١): « ان مقالات الدايلي تلغراف » كانت تكتب يومئذ بوحي الوزير الاول ، لويدي جورج ، وكانت من تعاليمه ، ان لم يكن قد كتبها بخط يده !...
 و« النكتة » في هذا التعليق هي ان الكونت دي غونتويرون المذكور ، كتب كتابه بايعاز الحكومة الفرنسية ، او تشجيعها ، وتوجه بهذه العبارة : « اودع هذا الكتاب في وزارة الداخلية سنة ١٩٢٢ » !
 ويريد الفرنسيون ان يثبتوا سوء نية حلفائهم الانكليز في اتفاق الشريف حسين والسير ماك ماهون ، فينسبون اليهم اقوالاً ، لا نعلم

مبلغ وزنها من الصحة (١) ، ليعدوا عن فرنسا شبهة الغدر ، والنكث بالعهود ، وليرهنوا على ان الانكليز لم يكونوا « اكثر » عفة منهم ، في استعباد العرب ، فن واجبنا — نحن العرب — ان نصدق كل كلمة سوء يقولها احد الاخوين في أخيه ، لانهما صادقان في تشاتمهما ، وتشهير احدهما بالآخر صحيح بدليل ان هذا النير الذي ربطه الاثنان في عنق العرب ، ما يزال يحز حزه!... وليست عمان باقل بؤساً من لبنان ، ولا دمشق باقل عذاباً من القدس !
وذلك كله لاجل ... النفط !

(١) يروي الجنرال بريمون الفرنسي في كتابه عن « الحجاز في احرب العالمية » ، وقد كان هذا القائد رئيس البعثة العسكرية الفرنسية في جده ، وله اطلاع واسع على حياة الثورة العربية في سنتيها الاوليين ، يروي القائد في هذا الصدد حديثاً دار بين السير مارك ماك ماهون ، بطل الاتفاق الانكليزي الفرنسي ، وبين الميسو ميله ، رئيس البعثة الفرنسية ، في جده ، عن الثورة العربية ، فقال الانكليزي لحليفه : « ... ولا ريب ان القبائل جميعها ستبلي البلاء الحسن في هذه الحرب ... على اتنا سنحملها على الاعتقاد بانها تحارب لاجل استقلالها... » ثم قال ماك ماهون : « لاجل القيام بعمل متقن ، يجب السعي الى الفائدة السريعة ... ولدينا متسع من الوقت لاقتسام الاراضي بعد انتهاء الحرب » — ص ١٤٢

ولا بد للقارىء ان يتساءل بحق ، وقد عرف « شيئاً » من الاسرار الرهيبة التي بنيت عليها سياسة النفط ، واطلع على بعض نواح من النضال المستمر بين المحتكرين ، المسيرين حكومات دولهم لتأييد مطامعهم في الحصول عليه ، نضال ظلم البلدان الضعيفة ، والشعوب الصغيرة ، وقتل الابرياء ، افراداً وجماهير ، ولم يغف عن دس السم لبعض الزعماء والرؤساء ، — وقد يكون بينهم ملوك — الذين كانوا يقارعون الاستعمار الاجنبي الرامي الى الحصول على النفط — بحق للقارىء ان يتساءل بدهشة واستغراب عن الاسباب التي حدت بالانكليز الى « التنزل » عن ولاية الموصل للنفوذ الفرنسي في اتفاق سيكس بيكو ، وهي المنطقة التي نظروا اليها منذ نصف قرن واكثر بعين الطمع ، ووقفت حكوماتهم سياستها الشرقية على محورها ، وبذل سفيرهم في الاستسانة السير لويس مالت ، جهداً جباراً ومساعي جمّة للحصول على « رخصة » استخراج النفط من اراضيها ، وكانت ابدأ حلقة التشاد بين الاستعمارين السكسوني والجرماني في السلطنة العثمانية ، ولا سيما في قضية خط برلين بغداد الحديدي ، ما هو ذلك « البله » الذي حمل السير مارك سيكس على « التنزل » لزميله جورج بيكو عن الموصل وجعلها منطقة نفوذ فرنسي ؟

بله ، واهمال ، وغفلة ؟؟

هكذا يظن بعض الساسة الفرنسيين ، وقد ذهب الى هذا القول

كتابهم ، فاتهموا المفاوض الانكليزي بانه كان جاهلاً خطورة شأن الموصول ، وما لهذه المنطقة الثائية من اثر عظيم في مصالح الامبراطورية البريطانية الحيوية . وتمادى الكتاب الفرنسيون في المجون ، والمجون صفة ملازمة ادباء اللاتين ، حتى في المواضيع الجدية ، وطابعهم موسوم بالنكتة ابدأ ، فقالوا ان السير مارك سيكس كان يجهل حقيقة اهمية الموصول ، ولكن مفاوضه الفرنسي ، جورج بيكو ، لم يكن اكثر « ذكاء » منه ، وكان هو ايضاً يجهل اهمية الموصول ولكن انصف جعلت « الحظ » الفرنسي يربحها — كذا !

ولكن ، هل هذا صحيح ؟

أيجرؤ انسان في الدنيا على القول بان الانكليزي الذي يفاوض اجنبياً يكون جاهلاً تفصيل ما يفاوض عليه ؟ وهل يجهل عاقل ان الانكليزي الذي يفاوض باسم جلالة الملك وامبراطور الهند ، يكون عارفاً بتفاصيل المفاوضة قبل الشروع بها ، وهو فاختوري السياسة يركب اذن الجرة حيث يشاء وتشاء مصالح امبراطوريته ؟

اجل ، كبروا عقولكم قبل اتهم الانكليز بالغفلة او البله ، و« احسنوا » الظن بالناس لئلا تصبحوا مثلنا ، اعني بحاجة الى ... انتداب !

ان سادتنا الانكليز ، يا زملاءنا الفرنسيين ، كانوا يعرفون اهمية الموصول اكثر مما يعرفها غيرهم ، ولكن لهم دهاء منطقياً ، محكما ،

وضعياً ، « رقيقاً » ، واحد وواحد يساويان اثنين — في حسابهم ، اي الحساب الذي « لهم » ... — وعندما تنزلوا عن الموصل لننفوذ الفرنسي في اتفاق سيكس بيكوا كانوا يريدون ابعاد الدب عن كرمهم ، الدب الروسي المجاور الموصل ... فقد سبق للحلفاء الثلاثة ، الروس والانكليز والفرنسيين ، ان تقاسموا السلطنة العثمانية في اتفاقهم السري المؤرخ في ١٩ شباط (فبراير) ١٩١٦ و « وهبوا » القيصر ما كان يطمع فيه من ارث الرجل المريض ، وبقيت حصّة فرنسا وانكلتره بلا تحديد نهائي لتسوى في ما بينهما ، وقدسويت في اتفاق سيكس بيكو اما حصّة الروس في ذلك الارث فقد امتدت في اسيا الصغرى حتى ... الموصل ، اذ اخذت حكومة القيصر ولايات ارضروم وطرابزون ووان وبتليس ، وبلاد كردستان الجنوبية حتى العمادية التي كانت يومئذ على حدود ايران ، والعمادية هي اليوم في لواء الموصل ، وفيها طبخ الاستعمار دسائس التيارين الاخيرة ... التي استمها صحف الاستعمار بالثورة الاثرية !!! فيتضح من هذا التحديد ان الدب الابيض ، بموجب نصوص الاتفاق السري المثلث بين الحلفاء كان يجاور الموصل ... والانكليز اكثر ذكاء ودهاء من ان يأتوا بالدب الى كرمهم ، وايس من المعقول في شيء ان يكونوا جيران الروس في منطقة هي اقرب الى روسيا منها الى انكلتره ، وليس من المعقول ان يعيشوا في ذلك الجوار مهددين ابدأً بالاصطدام ، والاحتكاك سهل

هو قريب المنال وموجع للرأس ، لذلك نصح لهم دهاؤهم السكسوني بان يأتوا بحلفائهم الفرنسيين اليها ، ليكون هؤلاء حداً فاصلاً بينهم وبين الروس ، وعندئذ يأمنون شر الاصطدام بل ربما كان عملهم ذلك لخلق المتاعب بين حكومتي بطرسبرج وباريس ، وتوتير العلاقات الودية بين العاصمتين الصديقتين . فيكون الدهاء السكسوني قد اصاب بحجره عصافير معاً : اي انه ابتعد عن خطر الاصطدام بالدب الابيض ، واورث الفرنسيين وجع الرأس !

ولكن ، ايظن القاريء ان الانكليز اكتفوا بهذه الصفقة الراجحة من تحويل اراضي النفط الى منطقة النفوذ الفرنسي قبل ان يضموا المستقبل ويؤمنوا على كامل « حقوقهم » فيها ؟

ان اتفاق سيكس بيكو قد تم بعد مكاتبات تفسيرية جرت بين السير ادوار غراي وزير الخارجية البريطانية ، والسيو بولس كامبون سفير فرنسا في لندره ، فهل تعرف ما كانت تنطوي عليه « روح » تلك المكاتبات التفسيرية ؟

بعث السفير الفرنسي كامبون الى الوزير الانكليزي غراي كتاباً في ٩ نوار (مايو) سنة ١٩١٦ مع نصوص الاتفاق المذكور يقول له فيه انه « مكلف باعلامه ان الحكومة الفرنسية قد قبلت بالحدود التي رسمت في اتفاق سيكس بيكو ، وقبلت ايضاً بالشروط الاخرى

التي اثير بحثها في اثناء المناقشات التي دارت بين المفاوضين . ولذلك فانه يرجو أن يتكرم الوزير ويعلمه في حالة موافقة الحكومة الانكليزية على تلك الشروط »

وكان جواب الوزير الانكليزي، في ١٥ نوار ، على كتاب السفير

ما يلي :

« سأشرف بالجواب الكامل في مذكرة مقبلة على مذكرة معاليكم المؤرخة في ٩ من الشهر الحالي والمتعلقة بانشاء دولة عربية ، ولكني اكون ممتناً لمعاليكم اذا تمكنتم في هذه الاثناء من التأكيد لي بان جميع الامتيازات البريطانية الموجودة ، وحقوق الملاحة ، وحقوق

الامتيازات الخاصة بجميع المؤسسات الدينية ، والمدرسية ، والطبية ، تظل معترفاً بها (تزيد) في المناطق التي تصبح فرنسية بحت ، او تكون فيها المصالح الفرنسية ذات الافضلية بموجب الشروط المذكورة في مذكرتكم . هذا وان حكومة جلالتهم مستعدة لان تقدم ضماناً متبادلاً كما يقضي الحق (لتأييد هذه الشؤون المتعلقة بمصالح فرنسا) في منطقة النفوذ البريطاني » اهـ

واصدقاؤنا الانكليز لا يطلبون شيئاً في مناطق النفوذ الفرنسي الا ... حفظ مصالحهم وحقوقهم « الموجودة » — التي كانت لهم ! — في بلاد ستنتقل من الحكم العثماني الى الحكم الفرنسي المباشر : اي المحافظة على بعض مدارس وكنائس ومستشفيات وعلى ... ماذا ؟

على امتيازات ... قديمه !

شيء تافه ، « بسيط » ، لا يصلح لان يكون سبب اخذ ورد بين الحكومتين الصديقتين المتحالفتين ، بل لا يليق بفرنسا الكريمة الجواذة ان تضمن به على حبيبها : تقبر المدارس ، والكنائس ، والمستشفيات ، والامتيازات ، فهي صناعة فرنسا ، وقد قرفت منها شعباً ، وليست انكلترة التي تراحها بالقسيسين والقسيسات ، والاطباء والمرضات وبكل شيء ينتهي بالـ « هات » — اذن ، ففرنسا الكريمة السمحة تقرر مطالب حليفها العزيزة واذن ، فالسلام على نفط الموصل والعراق !

ماذا ؟ ...

شيء تافه ، « بسيط » ، وكلمة الامتيازات « المدحوشة » بين الرهابين والمرضين والمعلمين ، ان هي الا : « امتياز » شركة « توركيش بتروليوم » ... الامتياز الناريخي الذي بذل السفير البريطاني لويس مالت جهده في الاستانة للحصول عليه ، لتتمكن الشركة المذكورة من استخراج النفط من ولايتي بغداد و... الموصل !

وما كاد المسيو كامبون يتلقى رسالة السير غراي حتى كتب اليه فوراً ... في اليوم نفسه قائلاً : « لي الشرف ان اعلم معاليكم بان الحكومة الفرنسية مستعدة لان تعترف بمختلف الامتيازات البريطانية

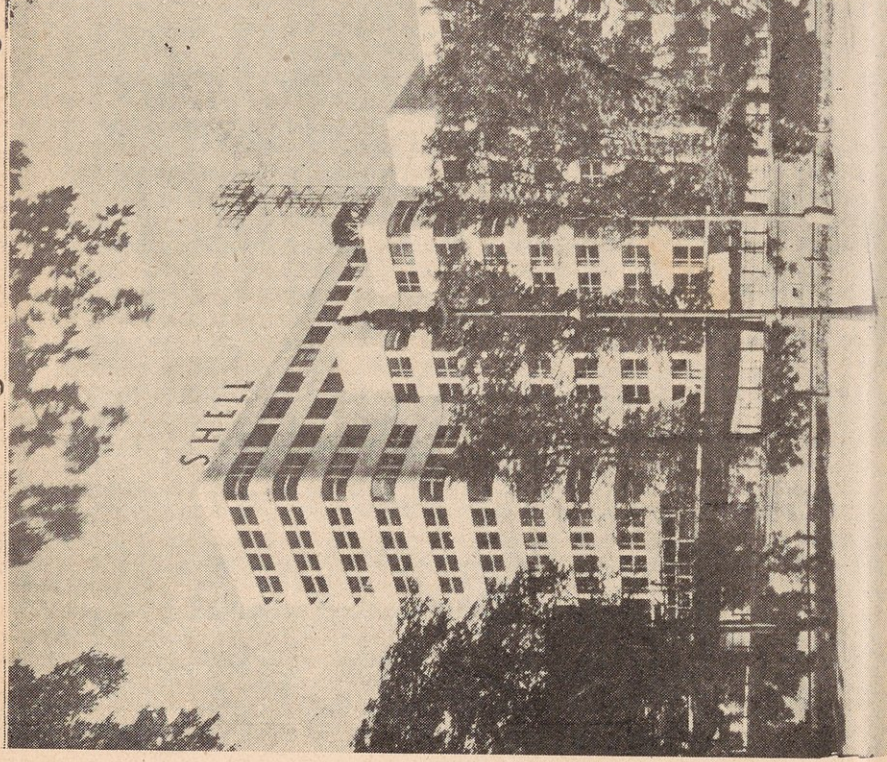
التي (منحت من السلطنة العثمانية) في تاريخ سابق لاعلان الحرب،
في المناطق التي تعطاها، او في المناطق التي ستعلق بإدارتها. اما فيما
يتعلق بالمؤسسات الدينية والمدرسية والطبية فهذه المؤسسات تواصل
عمها كالماضي، مع الاخذ بعين الاعتبار ان هذا الامتياز لا يتضمن
ابقاء الحقوق القانونية (سلطة القنصليات) والامتيازات الاجنبية
في المناطق المذكورة» اهـ

لابأس بان نقف هنا بالقارىء قليلا، قبل متابعة عرض الرواية،
لان في الكتابين المتبادلين بين الوزير الانكليزي والسفير الفرنسي
درسا نفسياً جليل الفائدة لمن تهمة معرفة الاساليب السياسية التي
تقود حكومتي لندره وباريس في سيطرتهما على الشعوب :

ان اتفاق سيكس بيكو هو « فبركة» انكليزية بحث، باعتراف
الفرنسيين انفسهم، وفي كل حرف من حروفه هدف معين، وخطة
مرسومة، قضى دهاقتهم الاخصائيون بمعرفة شؤون الشرق العربي
وقتاً طويلاً في تمحيص كل عبارة فيه، فهو اذن ابنهم، وصنيعهم،
وهم الذين حبوا بنصوصه وولدوها، وربوها، وكانت بنت عمولهم
ومع ذلك فان السير غراي ابقى كتاب المسيو كامبون ستة ايام كاملة
تحت الدرس (١) في حين انه خال من اي هدف، الا سؤال حكومة

(١) يقول المسيو اندره تارديو في هذا الصدد : « ان رجال

ادارة شل في برلين وهي واحدة من اربع
وثلاثين ناية منها تملكها الشركة المذكورة
في العالم



لندرة عما اذا كانت توافق على نصوص هي انشأتها واملتها وطبعتها ،
 و ابى الوزير ان يجيب على سؤال السفير ، في حين ان ذلك الاتفاق
 قد عرض من الانكليز على الفرنسيين ، بل اهمل الرد على حل هو
 الذي اقترحه ، و كتب يسأل السفير كامبون ان يؤكد له باسم حكومة
 باريس ان الامتيازات البريطانية الموجودة في المناطق التي ستتحول
 الى نفوذها وحمايتها ستظل بريطانية ... ستة ايام كاملة يبغي الوزير
 الانكليزي كتاب السفير تحت الدرس ، وهو خال من اي
 اقتراح او هدف فرنسي جديد لانه باق على طبيعته الانكليزي ،
 واما صاحبنا السفير كامبون فانه يسرع في اليوم نفسه ، وقد يكون
 في الساعة عينها ، فيرد على سؤال الوزير الخطير !

وبماذا يهتم ؟ هل يطلب اليه ان يرجى النظر في قضية
 الامتيازات الى بعد انتهاء الحرب ؟

ايطلب اليه ان يكون للحكومة الفرنسية حق مراقبة المشاريع
 الاوساط الصناعية والمالية في لندره اثاروا مقاومة عنيفة لذلك الاتفاق
 قبيل التوقيع عليه ، لان البنود المتعلقة بالشؤون الاقتصادية فيه
 اقلقت بال اصحاب مصالح اقتصادية عظيمة ، من المصالح النفطية ،
 فاندروا (كذا) وزارة الخارجية البريطانية بوجوب الدفاع عنها ،
 لانها كانت مهددة في نصوص الاتفاق بالانتقال الى منطقة النفوذ العربي
 الفرنسي « مجلة الاولستراسيون في ١٩ حزيران ١٩٢٠ ص ٣٨٠ »

المتعلقة بتلك الامتيازات ؟

ايطلب اليه ان يكون للحكومة الفرنسية حصتها من امتيازات ستستغل بلاداً واقعة ضمن منطقة نفوذها وتحت حكمها المباشر ؟

لا . . . ! انه لا يطلب في جوابه شيئاً من ذلك كله ، ولا يزعج خاطره الكريم في تحليل مضمون الكتاب الانكليزي ، وانما يهتم :

ان لا يكون للمؤسسات الدينية ، والمدرسية ، والطبية البريطانية — للارساليات — حق في التمتع بالامتيازات الاجنبية !

وليت صاحبنا اكتفى بذلك الاهتمام ، ولكنه ابى الا ان « يكمل النقل بانزعور » فاكّد للوزير الانكليزي تأكيّداً سريعاً ، « جازماً ،

قاطعاً : » ان الحكومة الفرنسية مستعدة لان تعترف بمختلف الامتيازات البريطانية التي (منحت من السلطنة العثمانية) في تاريخ

سابق لاعلان الحرب في المناطق التي ستعطاه ، او في المناطق التي ستتعلق بالادارة الفرنسية « . . . ومعنى هذا التأكيد — بل نتيجته

على الاصح — ان السفير الفرنسي قد جدد باسم حكومته امتيازات زعمتها المطامع البريطانية ، واتخذ سلطة امير المؤمنين و سلطان العثمانيين

فمنح شركة توركيش بتروليوم امتيازاً باستخراج النفط من ولايتي الموصل وبغداد ، مع ان ما اسمته المذكورة الانكليزية بالامتيازات لم

يكن سوى « وعد » صدر في ٢٨ حزيران ١٩١٤ من الحكومة التركية لسعاة الشركة بالحاح السياسة البريطانية وعما لها ، وقد شرحنّا

ادواره في فصل سابق

فعل السفير بولس كامرون ما فعله ولكنه لم يخرج من تلك
المفاوضة الهوجاء الا « تحت صح الباقي » فان الوزير غراي رد عليه
في اليوم الثاني (١٦ نوار) يقول له : « لي الشرف ان اعلم فخامتكم
ان القبول بمشروع اتفاق سيكس بيكو بمجموعه كما هو ماثل
الان ، يسبب افعال مصالح بريطانية عظيمة ، ولكن بما ان حكومة
صاحب الجلالة ترى الفوائد التي ستنتج لمصلحة الحلفاء العامة من
انشاء حالة سياسية داخلية في تركيا ، تكون خيراً مما هي عليه الان ،
فانها مستعدة للقبول بالتسوية التي وصلنا اليها » الخ ...

ومعنى ذلك ان الحكومة الانكليزية تقبل بالتضحية العظيمة ...
لفائدة ... الحلفاء العامة !!

اما نزاهة ، وعفة ، وتضحية ، ما شاء الله !

هذه هي حكاية « تنزل » الانكليز عن الموصل للفرنسيين في
اتفاق سيكس بيكو ، وقد رأيت فيها ان الدهاء السكسوني لم يكن
بذلك الابله الذي يفاوض بلا تبصر ، وانما هو الحكيم العاقل الذي
يعرف ما كل الكتف دون ان يثير حوله الشكوك ، بل انه يأكل
البیضة والقشور ، ويربح الناس جميله بانه ضحية ، وسترى انه لم يقف
مراميّه عند هذا الحد ، بل جر الفرنسيين الى ساحة جديدة ولم
يمكنهم من الانتفاع بالموصل حتى جغرافياً وسياسياً
وجر العرب ، و « استقلالهم » ، وجر العالم ... وراءه

مصار كوت العمارة

ما كادت الحكومة الانكليزية تستولي على حصّة الامسان من راسمال شركة « التوركيش بتروليوم » حتى كانت الحملة البريطانية على العراق قد جهزت تجهيزاً كاملاً ، مزيجاً من الهند والرؤساء الانكليز ، بقيادة امير اللواء شارل طاوزند (١) آمر الفرقة السادسة ، فاحتلت البصرة ، وبدأت زحفها برأ وبحراً ، على شاطئ دجلة والفرات ، والاتراك يتقهقرون من امامها بعد مقاومات خفيفة ، حتى وصل الزاحفون الى كوت العمارة فاحتلوها في آخر ايلول (سبتمبر ١٩١٥) بعد ان كانوا قد احتلوا العمارة في اول حزيران (يونيو)

مشت الحملة البريطانية موقنة ناجحة ، تحتل البلدان في طريقها ، واسلاك البرق تنقل الى العالم اخبارها ، فيمتلئ قلب « جلالة ملكها المحبوب بهجة وجبوراً ، وتميد انكلترة ، وايكوسيا ، وارلندة ، والهند فرحاً ، وتستحق ثناء الجميع الذين كانوا برمقونها بانظارهم (٢)

فتابعت زحفها على خط العزيزية وهي تكاد لا تلقى مقاومة حتى باتت على مقربة من بغداد ، فاضطربت الاستانة ، وجزعت برلين ، وأمر غليوم صديقه المشير الاكبر ، فيلد مارشال بارون فون در غولتز (٢)

Gl Charles Townshend (١)

(٢) الكابتن ادوارد او . موزلي (ص ٧٤ و ١١٤)

Fd. Ml. Baron von Der Goltz . (٣)

بان يسرع الى العراق ليتولى بنفسه الدفاع عن اراضي النفط، ويطرد الانكليز منها، وامرت القيادة العليا التركية الزعيم (الكولونيل) نور الدين بك (صار باشا بعدئذ) بأن يبذل جهده لوقف زحف العدو، وان كلفه عمله ابادة الجيش الثالث الذي كان مرابطاً في ولايات العراق.

وفي منتصف تشرين الثاني تابع امير اللواء طاووزند زحفه على بغداد، يقود خمسة عشر الف جندي، ووصل في ٢٢ ت ٢ الى قطيسفون، المدينة التاريخية التي لم يبق من اثارها الا بقايا ايوان كسرى (١)، وكانت طلائع الجيش التركي تنتظره فيها، فاصلته وجنوده ناراً من الجحيم، وقتل الفريتان قتال المستميت ودحر الاتراك اعداءهم وردوهم على اعتابهم حتى كوت العمارة.

(١) الايوان الجبار الفخم، الذي وصفه البحري بسينيته الخالدة، وهو على بعد ٢٥ ميلاً من جنوبي بغداد (الميل ١٦٠٩ أمتار). وعلى انقاض قطيسفون تقوم اليوم قرية سلمان (سلمان بك) وفيها جامع يزوره السياح ويقال ان سلمان الفارسي الصحابي الشهير مدفون فيه. وقد عرفت قطيسفون في كتب العرب، مع مدينة ساليق وما يتبعها، باسم «المدائن». وكانت عاصمة الفريثيين والساسانيين، ويقول تاريخ الموصل (ج ٢، ص ١٠) ان لقطيسفون «في تواريخ الكلدان شأنًا خطيراً، لانها كانت مركز اقامة بطريك المشرق»

حوصر الانكليز في كوت العمارة خمسة اشهر كاملة ، ذاقوا في خلالها أمر العذاب ، من جوع وعطش ومرض (١) ، ولم يتمكن اخوانهم من نجدتهم فاضطر قائدهم الى تسليم البلد والاستسلام ، إذ ارسل الى قائد القوات التركية الكتاب التاريخي الآتي :

« كوت العمارة في ٢٩ نيسان (ابريل) ١٩١٦ »

« يا صاحب السعادة »

« ان الجوع يرغمني على ان اخفض السلاح ، وانا مستعد لان استسلم اليكم مع جنودي الشجعان الذين قاموا بواجبهم كاملا ، كما صرحتم لي بذلك اذ قلت : « وسيكون جندكم الابي ضيفنا الاعز » فكونوا اذن كرماء لانهم قاموا بواجبهم ، وقد شاهدتموهم في معركة قطيسفون وشاهدتموهم في انسحابهم ، ثم شاهدتموهم مؤخرآ في هذه الخمسة الاشهر التي قضوها محصورين ، والتي اتممت فيها المهمة الحربية لوقف هجومكم الدفاعي ، ريثما تصل نجدات جيشنا الى العراق . لقد شاهدتموهم كيف قاموا بواجبهم واني لواطق من ان تاريخ الحرب سيثبت ذلك كله . وها اني مرسل اثنين من قوادي هما المقدم (الكومندان) غيلكرست والرئيس (الكابيتن) ميولاند للاتفاق

(١) للكابيتن ادوارد او . موزلي احد قادة تلك الحملة الانكليزية كتاب عنوانه « حصار كوت العمارة » فيه وصف رائع مؤثر لما قاسته الحملة في تلك الاشهر وقد ترجم الى الفرنسية في هذا السنة .

معكم على التفاصيل .

« اني مستعد لان اعيد الكوت حالا الى ايديكم ، واذهب الى معسكركم فارا لم حالما تتمكنون من وضع التفاصيل ، ولكني اطلب اليكم ان تسرعوا في اصال الاعاشة

« اني اقترح ان يزور رئيس ادارتكم الصحية مستشفيااتي برفقة زميله الانكليزي فيرى بام عينه حالة القسم الاكبر من الجنود ، وبينهم كثيرون فقدوا ايديهم وارجلهم ، وكثيرون مصابون بالوباء فلا اظن انكم ستأخذون هؤلاء الجرحى والمرضى للاسر ، وخير حل يكون بالسماح لنا بارسالهم الى الهند

« ان رئيس اركان الحرب العام في لندره ابرق الي بان تبادل اسرى الحرب مقبول ، فيمكن اطلاق سراح عدد من الاتراك الماسورين في مصر والهند مساو لعدد جنودي

« وتفضلوا بقبول احتراماتي الكاملة » الامضاء :

الجنرال طاووزند ، امير الفرقة السادسة وجيوش الكوت « اه ،

♦♦♦

عربنا هذا الكتاب التاريخي بحرفه ، ليعرف قراء العربية صورة صغيرة عن احوال المجزرة البشرية مرسومة بيد احد ابطالها ، وليذكروا

ان تلك الحملة كانت في اكثرها من الهنود ... فماذا كان نصيب الهند
 من « ارباح » المجزرة ؟
 الجوع ، والاضطهاد ، والعبودية !
 وعلى م ذلك العذاب وهذا الاستعباد اللذين يقاسيهما ابناء البشر ؟
 هو لاجل ... النفط !



دم الارض ودم البشر

لم يكن الطمع في الاستيلاء على ابار النفط في الشرق يثير اهتمام الانكليز وحدهم في اثناء المجزرة البشرية ، فقد كان الاتراك والالمان والروس ، هم ايضاً ، منهمكي البال في تأمين حاجاتهم من تلك المادة التي صارت عصب الحرب ، وحسب القارىء ان ينظر الى خريطة جغرافية ترسم الساحات التي دارت فيها رحى المعارك ، فيرى المسافات النائية ، والاسفار الطويلة التي كانت جنود المتحاربين تقطعها ، ليدرك اية اهمية حيوية كانت للنفط في تأمين المواصلات ، ونقل العتاد والذخائر والرجال .

ولئن صار « الذهب الاسود » متجراً عذب المورد ، يدر المن والسلوى ، وخيرات الارض والسماء ، على محتكريه ، ويجعل منهم سلاطين حقيقيين يلعبون بمقدرات الشعوب والامم ، ويسخرون سياسة الدول في سبيل منافعهم فقد بات ايضاً حاجة حيوية للحكومات في زمني السلم والحرب .

ولم تكن ساحة الحرب العراقية وحدها ملعباً لاهداف النفطيين ، بل ان اطماع المتحاربين ، من الفريقين ، طمحت في الاستيلاء على نفط القوقاس ، ونفط ايران ، فامتد شرر التقاتل الى تلك الجبال المشحجة ، وماشت المساعي السياسية ، والمفاوضات الدبلوماسية ، معارك الجيوش ،

تكدفت ارواح الالوف تزهق تحت وابل الرصاص ، لاجل . . .
النفط ، والسعاة والسماصرة يواصلون السعي للحصول على امتياز
باحثكار .

وقد رأينا الحكومة الانكليزية تحتجز ، ساعة اعلان الحرب ،
حصّة الالمان من رأسمال شركة « التور كيش بتروليوم » على انها
« ملك عدو » ، وها نحن نرى الالمان يؤلفون — في ابان المجزرة —
شركة جديدة ، مستقلة ، لاستخراج النفط من الاراضي التي يشعلها
امتياز « التور كيش بتروليوم » ويقطعون السبل على الانكليز ليصدوهم
عن الوصول اليها . فاهتمام الالمان بتمط العراق لم يكن اذن باقل من
اهتمام الانكليز به ، بالرغم من ان شبح الموت الاسود ، الاسود كالنفط ،
كان مخيماً فوق اوروبا ، يلف بجناحيه الرهيبيين ملايين الابرياء ،
والمجازيب ، والفقراء الذين مشوا الى النطع ، وهم لا يدرون انهم
يموتون ، لان قبضة من الرجال النفطيين تكالبوا على السيطرة ،
والاحتكار ، والعظمة الدنيوية انزائلة !

سعى الالمان ، وبذلوا جهداً عظيماً للاحتفاظ بنفط العراق ،
واستغلاله وحدهم ، بعد ان كان الانكليز شركاءهم فيه وغدروا بهم
ليستقلوا به ، فتألفت سنة ١٩١٦ شركة المانية باسم « برنتشوف
كومندوس ارابيه ن (١) لاستخراج النفط من ولاية الموصل ،

(١) عصابة المواد اللاهبة Brennstoff — Kommandos Arabien

بوجيء باعظم المهندسين الجيولوجيين الالمان للقيام بالعمل المنشود ،
فبدأ هؤلاء الحفر في القيارة ، وزاخو ، واستخرجوا الذهب الاسود
بغزارة تذكر ، ويقول الاستاذ سيدل الالماني ان بشراً واحدة في
زاخو كانت تدر سبعة اطنان في اليوم الواحد (١) وبينما المعمارك
تدور رحاها بين ايوان كسرى وكوت العمارة ، كانت البعثة النفطية
الالمانية تقوم بعملها ، مطمئنة ، مرتاحة البال ، في درس منطقة هيت ،
وحفر الابار فيها !

وكانت المساعي ، الحرية والسياسية ، تبذل في الوقت عينه في
ايران للاستيلاء على ... النفط ... فقد جهز الروس حملة ، وجهز
الالمان والاتراك حملة ثانية ، وباتت بلاد الفرس ، جارة القوقاز ، هدف
النفطيين من الفريقين المتحاربين . وفي شهر آذار (مارس) ١٩١٦
حصل سمسار ارمني ، من جيورجيا ، يدعى كوشتاريان ، على
امتياز من حكومة طهران باستخراج النفط والتفتيش عنه في
الولايات الشمالية الخمس ، التي لم يشملها امتياز دارسي ، وكان حصوله
على الامتياز تأثير حكومة القيصر على شاه ايران ، بل بالضغط

(١) نقل عن نيكوليسكو (ص ١٢٦) وللاستاذ سيدل بحث

قيم في اللغة الالمانية عن اعمال البعثة ، بعنوان : فحوص النفط في
العراق وفي المناطق النفطية »

والا كراه !

ولا بد للقاريء من ان يستغرب تلك المداورات ، والمسااعي ،
والسعايات التي بدت للسيطرة على منابع النفط في الشرق ، ويستغرب
انشغال النفطيين بتحقيق مطالبهم في حين ان الشعوب كانت «تستحم»
في انهار الدماء ، فكيف تتمتع الحكومات والجماهير لمشيئة افراد ،
وكيف يقود هؤلاء الافراد تلك الحكومات والجماهير الى حروب لا
شأن لها فيها ؟

والجواب هو : ان سياسة النفط محصورة في دور « القيادات
العليا » وتقصّد بكلمة « القيادات العليا » المعنى الكامل لهذا التعبير ،
لا المعنى الاصطلاحي ، ولا العسكري ، بل القيادة « الخفية » التي تملك
« آلات » الحكم ملكا حقيقية ، مستندة في تملكها الى الانظمة
الرأسمالية التي تبيح الاحتكار ، وقد تردت بوشاح الديموقراطية
المطاطة ، والنصوص الدستورية الخداعة ، التي تؤدي جميعها بالشعوب
الى الاستعباد المالي :

قد تجد رئيس حكومة دستورية (رئيس وزارة) يمشي ببلاده ،
في جميع نواحي الحكم ، على انه هو القائد لها ، ولكن الواقع
« المستور » يكذب ذلك المظهر المضلل الرأي العام ، اذ تكون
القيادة الحقيقية في قبضة بضع شركات يمثلها فريق من « النواب »
في ندوة الامة ، وبعض « الوزراء » في مجلس الحكومة ، وبعض

« الرؤوس » في سائر الدوائر الرسمية ، ويمثل هؤلاء جميعهم فريق من « المراقبين ... » في دور الصحف الكبيرة .

وقد تجد سلطاناً او ملكاً هو القائد العام لجيشه في ايام الحرب ، بموجب نصوص دستور السلطنة او المملكة ، ولكن قيادته لا تتعدى الحد اللفظي لان القيادة الفعالة تكون في قبضة بضعة اشخاص من هيئة اركان الحرب ، يعملون بالاتفاق مع الوزراء والنواب والرؤوس والمراقبين على تنفيذ الخطط التي ترسمها القيادة الحقيقية ، القيادة الحفية !

وتستطيع ان توجز هذه السطور جميعها بقولك : « ان لكل بلاد ... مفوضية ، يهبط منها ... الوحي ! »

ولقد كانت الساحة الشرقية في اثناء المجزرة البشرية « عنوان » القيادة الحفية ، فقد كان التناقض في التدابير الحربية الفنية ظاهراً للعيان ، وكانت المداورات الغامضة في تسيير دفعة الحرب تبعث على الحيرة في حين ان القواد « التكنيكيين » ، الذين كانوا يديرون تلك الدفعة في الظاهر ، هم من انبغ الضباط واكثرهم علماً وتدريباً وتمريناً ، فكيف نفسر ذلك ؟

لو حاولنا درس هذا الامر ، ساعة وقوعه ، لحكمنا على القواد بالحيانة او بالجهل ، ولكن الايام ، والحوادث ، والحالة التي وصلنا اليها ، كشفت الغطاء عن كثير من تلك الاحاجي ، والنتائج التي

اسفرت عنها صارت تساعدنا على فهم شيء منها ، وصارت برهاناً صادقاً على ان القيادة الحقيقية في الحرب الشرقية كانت خفية ... مستورة ... بعيدة عن الظهور ومظان الريب ، ولم يمثل رجال الادارة العسكرية الا الدور الظاهر ، جاهلين سياسة النفط ، واسرارها ، واهواءها كان الانكليز يزحفون على فلسطين ، وكان الجيش التركي الالمانى يزحف على ... ايران !

أعلنت تركيا الحرب ، وكان اول واجب عليها حشد قواها على الحدود القريبة من الاعداء ، فاذا بانوار ، القائد العام ، يزحف بنفسه على رأس الجيش الثالث الى .. القوقاس ... واندحر انور ، ومني باذل انكسار فلم يرجع ، بل ابرق يطلب الجيش الخامس المرابط على ضفاف البوسفور لمنع الهجوم على العاصمة ، يطلب الجيش الخامس ليلحق به الى القوقاس !

كان الالمان يطحنون عظام الحلفاء في الساحة الغربية ، وكان الانكليز يجهزون حملتهم على ... العراق

حوصر الانكليز في كوت (العمارة) خمسة أشهر ، وكانوا يحتلون العراق الجنوبي ، فلما استسلموا في آخر نيسان (ابريل) ١٩١٦ للقيادة التركية كان من الواجب على هذه القيادة ان تتابع زحفها حتى البصرة لتطهر العراق من جيش العدو وتأمين من كره ثانية على بغداد ، فمادام فعل القائد العام ، خليل باشا ، عم انور باشا ؟ انه

جمع جيشه وزحف الى ... بلاد الفرس !

كانت حملة الاتراك على ترعة السويس تهدد مصر بالاحتلال بين ساعة واختها ، فماذا كان يفكر الانكليز ساعتئذ؟ (١)

انهم كانوا يزحفون على شاطئى دجلة والفرات نحو ... بغداد ! ولولا وجود الباخرتين الفرنسيتين « ريكن » و « انتركاتو » بين الاسماعيليه والسويس واطلاقهما النار على الالمان والاتراك ، لكانت

(١) للقائد الالماني الشهير امير اللواء ليان فون ساندرس رئيس البعثة العسكرية الالمانية في تركيا ، كتاب جليل الفائدة في اكثر مواضيعه ، عنوانه : « خمس سنوات في تركيا » ذكر فيه جميع المعارك في الساحات الشرقية ، و اشار متألماً ، متبرماً ، ناظماً ، الى التناقض « الجنوني » في الحظوظ الحربية ، فتساءل مراراً عن الاسباب التي كانت تحدد بالقيادة العليا الى هذا التناقض ، فلم يستطع تفسيره الا بالهوس ، وحب الشهرة ، ولو اخر القائد ساندرس وضع مذكراته حتى هذه الايام لادرك ان ذلك الهوس كان مدفوعاً الى ... النفط ، وان القيادة الحقيقية لم تكن في يد زملائه ، بل في ادمغة النفطيين ! ... وكذلك اشار الكاتبين موزلي في « حصار كوت العمارة » الى التناقض والاسرار التي كانت تعرقل الاعمال الحربية ، وقال انه يسكت عن فضحها مرغماً لانه لا يشتغل في السياسة !

مصر غير مصر اليوم ! ...
 فاسب تلك المداورات الحريية ، والتناقض في فن الزحف
 والهجوم ، والاستقرار والدفاع ؟
 وماذا في بنماد ، والقوقاس ، وايران ؟
 ان فيها ... النفط !!!
 والنفط يدر الذهب ، والذهب حياة المحتكرين ، وعبودية
 الملايين !



الى ٠٠٠ بغداد ثانية

دحر الانكليز الى سكوت العمارة ، وباؤوا باذل انكسار ،
وحوصروا خمسة اشهر حصاراً مؤلماً ، وصفه بطله القائد طاووزند في
مذكراته بانه « اطول حصار في تاريخ بريطانيا الحربي » ، وبالرغم
من تلك الصدمة المريرة فان القيادة الانكليزية الحقيقية ، « القيادة
الحفية » لم تتشن عن غيها ، وكان رأس تلك القيادة في مركز ...
شركة ... النفط الانكليزية الفارسية ، في ... امارة البحر التي تملك
اكثر اسهم النفط العراقي ، فجددت الحملة على بغداد ثانية ، واتخذت
لها المعدات اللازمة . وكانت القيادة التركية الحقيقية « القيادة الحفية »
منهمكة في الزحف على ... ايران ! فشى الجيش الانكليزي الى
العاصمة العباسية باطشاً فاتكاً ، ودخل في ليل ١٠ — ١١ آذار
(مارس) ١٩١٧ ، واصبح البغداديون فاذا ببلاغ من قائد الحملة ،
امير اللواء مود ، يملأ الشوارع والساحات ، يخاطب فيه ابناء المدينة
العربية ، ويقول لهم باسم مليكه والشعوب التي يحكمها :
« يا اهل بغداد !

« ان الغرض من حركاتنا العسكرية ان نظهر على العدو
فنجلبه عن هذه الارض ، ومن اجل ذلك فوض الي امر مراقبة

الجيش البريطاني التي تحارب في هذه المناطق مراقبة مطلقة علينا ،
فلا يحسبن احد منكم ان جيوشنا تدخل مدنكم وبقاعكم دخلة

القاتح او العدو ، ولكن دخلة المحرر .

« لقد اصبحت مدينتكم بغداد من يوم هولاءكو هدفاً لمظالم
الاغيار ... فتساقطت قصورك خرائب ، وتصوحت رياضكم ، ورزح
آبائكم ، كما رزحتم اتم ، تحت نير العبودية ، واستيق ابنائكم الى
مواطن القتال في حروب لا علاقة لكم بها ... وابتر اموالكم قوم
غاشمون ... ليذروها في بلاد غير ... بلادكم !

« لقد بدأ الترك يتحدثون بالاصلاح ... منذ ايام مدحت ،
ولكن هذه البلاد الحراب القفار شاهد على بطلان تلك الوعود ،
فامنية مولاي الملك وشعوبه جميعاً ، وأمنية حلفائنا العظام ايضاً ،

ان ترجع بلادكم سيرتها الاولى ، يوم كانت مثلاً لشهوداً بخصبها ، واذ
كان اجدادكم يلقون على العالم بأسره دروساً في الاداب والعلوم
والفنون ، ويوم كانت بغداد — مدينتكم هذه — احدى عجائب
الزمان ...

« ان بين شعوبكم وبين ممالك مولاي الملك صلات من المنافع
مستحكمة ، ولقد كانت التجارة متبادلة خلال مئتي سنة بين تجار
بغداد وتجار بريطانيا العظمى ، وكان الامر على خير ما يكون من

الصداقة... ذلك على حين كان الالمان والاتراك يبتزون خيراتكم... ولم يقف الامر بهم عند هذا الحد، بل جماعوا بغداد منذ عشرين سنة محتشداً يجمعون فيها جنودهم ليقوموا بانكسرتا وحلفائها في العجم وبلاد العرب، وهذا ما حمل انكسرة على ان لاتعتزل ما يجري في بلادكم من الحوادث في يومنا هذا، وفي المستقبل، لانها ترى فرضاً عليها ان تدافع عن مصالح شعبها واحلفائها، وان لا تترك للالمان والترك في بغداد مجالاً يجدون فيه في مستقبل الايام ما كان منهم ايام الحرب

، يا اهالي بغداد :

، ان الحكومة البريطانية جاعلة نصب عينيها ان تسعدكم في تجارتكم، وتؤمنكم في حريتكم، بحيث لا تنالكم مظلمة، ولا ترقى اليكم همة الفتح، ولا مطمح لها في ان تنزلكم على حكم اجنبي، بل غرضها ان تحقق متمنيات فلاسفتكم وكتبتمكم، فيسترجع البغداديون سابق تراهم ويتمتعون بياسق ثرائهم، ويكون لكم من الانظمة ما يوافق روح شرائعكم وامنية عنصركم الكريم...

، يا اهالي بغداد :

، ان غاية انكسرة وحلفائها ان لا تذهب دماء هؤلاء العرب وجهادهم باطلا، بل ان الحلفاء كافة... يتمنون... للعنصر العربي

ان يستعيد ما كان له من المجد والشهرة بين امم الارض ، وهو ولا ريب منظم من اجل هذه الغاية الى دول التحالف

« ... لا يذهبن بالسكم يا اهل بغداد عما كان من مظالم الغرباء ... »

فيكم ، خلال ستة وعشرين بطناً قضيتموها بالارهاق ، والتحرش بين بيوتاتكم ، حتى اذا انشق بعضكم على بعض وذهبت ربحكم نال الترك منكم ما يريدون — تلك سياسة سافلة ... تمقتها انكلمترا وحلفاؤها كل المقت ... لانه لا يمكن ان يكون سلام ولا فلاح حيث تكون الشحنة ، وتصول الحكومة الفاشية ... » الخ

سقطت بغداد ، ولو دافع ابناؤها عنها في صفوف العثمانيين والالمان ، لطال انتظار الفاتحين على الابواب ... ولكن البغداديين ، او اكثرهم كانوا على اتصال دائم باخوانهم الابطال الذين كانوا في الثورة وساحات الحرب ، وكانوا ينتظرون الزاحفين لان هؤلاء لم يرفعوا شعار الفتح ، بل شعار تحرير العرب ، وكان في صفوفهم كثير من العرب . وما ان نقلت اسلاك البرق نبأ الاستيلاء على العاصمة العربية حتى اهتزت لندرة وبرلين : طربت الاولى لان مفتاح النفط صار في قبضة يدها ، وقد بدأت تحقق الحلم الذي كانت تمني نفسها به منذ سحر « راهبها » الجاسوس اليهودي شيخ الصحراء دارسي واخذ منه امتيازاه المعبود ، ومنذ فكرت بفتح طريق بري الى الهند يحرسه الطريق البحري

واهتزت برلين قلقاً واضطراباً وانتفض غليومها جزعاً وغضباً لان سقوط بغداد يوارى في التراب حلمه الذهبي الذي كان محور سياسته في الشرق ، وهو أن ينشيء خطاً حديدياً من برلين الى البصرة على أن يوصله في المستقبل الى ابواب الهند . وجزعت « القيادة » الالمانية — القيادة الحفية — من سقوط بغداد لان انهار النفط ستزع منها بما لها فيها من نصيب وفير ، وهي التي سعت لدى الباب العالي السعي الحثيث لحصول المهندسين الالمان على امتيازاتها .

وليس ادل على صحة ذنك الجزع والاضطراب ، وعلى اهتمام الامبراطور غليوم نفسه بالساحة الشرقية ، من اصدار الامر الامبراطوري الى القائد الاشهر فالكنهيم في ٢٨ نيسان (ابريل) ١٩١٧ باسترجاع بغداد ، وطرد الانكليز منها مهما كلفه الامر

غليوم نفسه يهتم لمصير العراق ، ويهتم لطرد الانكليز من العراق ، وغليوم نفسه يتدخل في القيادة الحربية ، ويصدر امراً شخصياً ، امبراطورياً ، بوجوب استرجاع عاصمة العراق (١)

وتصدر القيادة العليا في الاسنانه ، والقيادة العليا في برلين ، امراً الى الجيوش المربطة في ايران ، والبلدان المجاورة ، بوجوب الالتفاف نحو ... الموصل

ويؤكد امير اللواء مود ، في بلاغه الى اهل بغداد ، ان غاية
انكسرة وحلفائها هي ان لا تذهب دماء العرب وجهادهم باطلاً بل ان
الحلفاء ، كافة ، « يتمنون » — آه من التمني ! — للعنصر العربي
ان يستعيد ما كان له من المجد والشهرة بين امم الارض ، وهو ولا
ريب — وهنا بيت « القصيد » في البلاغ — منضم من اجل هذه
الغاية الى دول التحالف :

ومعنى ذلك « اللاريب » ، ايها القارئ اللبيب ، ان بحاري العرب
الانكليز في خطة الزحف على ... الموصل
فالوصل مهد المدنية ، وقدس اقداسها ، بشهادة لويد جورج ،
والموصل مستودع ... النفط

سقطت قاعدة الباسيين في اذار ، فلم يضع الانكليز الوقت ،
وكانت التعليمات والمعلومات مستمرة بين العاصمة الغربية والعاصمة
العربية القديمة ، فتابعت الحملة زحفها

وفي ٢٩ حزيران (يونيو) ١٩١٧ عقد اجتماع سياسي خطير في
مدينة غلاسكو ، وهي من امهات المدن الصناعية في الامبراطورية
البريطانية ، فالقى المستر لويد جورج ، رئيس الوزارة ورئيس الدعاة ،
خطبة تاريخية عن الحرب وشرائط الصلح ، وتكلم عن مصير
تر بيا فقال :

« ... أما بلاد العراق (ميزوبوتاميا) فليست تركية ، ولم تكن

يوماً تركية ، والتركي غريب عنها كالألماني ، وانكم تعلمون كيف سيطر عليها وحكمها : لقد كان العراق في الماضي جنة عدن ، فكيف صار اليوم ؟ عليكم ان تقرأوا هذا التقرير الرهيب (ارسله قائد الحملة مود الى حكومته) لتعلموا اي بلد جعل التركي من جنة عدن . ان تلك المنطقة التي كانت مهد المدينة ومستودعها ، بل كانت هيكل المدينة وقدر اقداسها ، اصبحت اليوم قفراً تحت الحكم التركي . فمن الواجب ان يبقى تقرير مصير العراق لمؤتمر الصلح عند انعقاده ، على اتنا نقول منذ الآن ان تلك البلاد لن ترجع مطلقاً الى البربرية التركية المخزية ، وقد كفها انها كانت حارسه لتلك البقعة الشهيرة باسم المدينة — ويالها من حراسة ! — فأخلت بواجبها ، وصار من الواجب ان يمد بحراستها الى ايد اوفر كفاية وانصافاً ، يختارها مؤتمر الصلح الذي سيسوي شؤون العالم ! . . .

ثم عرض الوزير الداهية لحالة الحرب في اوروبا ، ولاضطراب حكومته الى الوقوف موقف المدافع عن العدل والحق ، المضحي بالغالي والنفيس في سبيل تحرير الشعوب المظلومة وتقرير مصيرها فقال : « ... اجل ، ان اوروبا اليوم مخرجة من جديد بدماء خير ابنائها الابطال ، ولكن لانهن ان للقضايا المقدسة حلقة تاريخية طويلة ، وان الاستراحات في مراحل درب الصليب هي التي توصل الى تحرير الانسانية ، فعلينا ان نقوم بقسطنا من العذاب ، كما تمذب آباؤنا ،

فكل ولادة هي احتضار ، والعالم الجديد يلد من احتضار العالم القديم ! » اه

مولانا ، وولي نعمتنا ، المستر لويد جورج :

انك امير البيان ، ورب البلاغة ، ولكنه امر عجب من « فخامتكم » ان ينزلق لسانكم الى ... هوة في التعبير ، يعف عنها رجال الاحزاب الطاغية ، والمتطرفون من زملائنا الكتاب الثوريين ، ناهيك بانكم تتكلمون ، واتم تمثلون اعظم دولة في العالم ، غبرت عظمتها على عظمة الامبراطورية الرومانية ، ووزعت على الدنيا اصول الرزانة والتهذيب ، انكم تتكلمون عن ... دولة ، هي مثل دولتكم في الحقوق والواجبات الدولية جميعها !

مولانا ، وولي نعمتنا ، المستر لويد جورج :

انه امر غريب ان تنسوا مبدأ الحق المقدس ، للشعوب الكبيرة والصغيرة على السواء في تقرير مصيرها ، وهو المبدأ الذي خاض الحلفاء غمار الحرب لتحقيقه ، غريب منكم ان لا تشيروا الى حق العراق العربي بالاستقلال ، بل تحولون امره الى مؤتمر الصلح ، وقد كان كثير من ابناؤه المغاوير يحاربون في صفوفكم لتحقيق ذلك الحق المقدس في تقرير المصير !

مولانا ، وولي نعمتنا ، المستر لويد جورج :

بورك فيك يا صاحب المبادئ الشريفة ، وبورك في مراحل درب

صليبه «ك» ! إنك لانبيل الساسة في غضبك لمصير العراق ، لجنة عدن
وقدس اقدس اقدس المدينة . ولكنك ادهى الساعة في تفكيرك بنفط
العراق !

...

في الشهر عينه الذي دخل الجيش البريطاني عاصمة العباسيين ،
وفي الساعة التي كان الحلفاء ينتظرون من الجيش الروسي البلاء .
الحسن في جبال القوقاس ، وكان الانكليز خاصة يرتقبون انهماك
العثمانيين والالمان برد غارات الدب الابيض ، ووقف زحفه على
الاستانة ، فتخف وطأة الدفاع عن العراق في وجه حملة مود - في ذلك
الشهر ، بل في ذلك الاسبوع شبت الثورة الشعبية في روسيا وارغم
القيصر على التنزل عن العرش ! ...

وتبدل موقف المتحاربين تبديلا عظيما
ولو لم تكن الولايات المتحدة الاميركية قد خاضت بدورها غمرة
القتال قبل شهر واحد من سقوط بغداد ، لكان مصير الحرب
غير مصير ، ولكان للحلفاء شأن اخر ...

— ٣ —

وكذلك تفعل بالمجرمين ، ويل يومئذ للمكذبين

— صدق الله العظيم —

قالوا ... *

« ولقد تركت الحكومة (الروسية) الموقفة لارادة الشعب امر التسوية النهائية لجميع الشؤون التي لها مساس بالحرب العالمية وبانهاؤها ، الا انها ترى من واجبها ان تعلن منذ اليوم : ان روسيا الحرة لا تبغي السيطرة على الشعوب الاخرى ، ولا سلبهم سيادتهم الوطنية ، ولا ان تستولي بالقوة على اراض اجنبية ، ولكنها تهدف الى بناء سلم ثابت ، يرتكز على حق الشعوب في حكم نفسها بنفسها »

(من بيان الحكومة الروسية الموقفة في ٩ نيسان (ابريل) ١٩١٧ عن رأي الشعب الروسي في مصير الحرب)

—*—

« ... اتنا نريد سلماً قائماً على العدل ، وعلى العواطف النبيلة ، وعلى احترام الضعاف ... وبعدئذ نستطيع بناء السدود في وجه الحروب المخربة المدمرة ، كالحرب الحالية »

(من خطاب للورد روبرت سيسل في مجلس العموم الانكليزي في ١٦ نوار (مايو) ١٩١٧)

—*—

(*) خير الله (فصل ١ قسم ٢) وماندلستام (فصل ٢ قسم ٤)

«...ان الحكومة (الروسية) الموققة تعلن ، بالاتفاق مع الشعب كله ، انها ترفض في سياستها الخارجية اية فكرة ترمي الى السيطرة على شعب ما من الشعوب ، او سلبه سيادته الوطنية ، او الاستيلاء بالقوة على اية ارض اجنبية ، وانما تريد سلاما بدون ضم ، (استعمار) او تعويض ، يرتكز على حق الشعوب في حكم نفسها بنفسها »

(من بيان ثان للحكومة الروسية الموققة في ١٨ — ٥ نوار (مايو) ١٩١٧ عن سياستها في مصير الحرب)

—*—

«...ان موقف الحكومة الامير لية من هذه الحرب قد اعلن مراراً بوضوح تام فلا عذر لاي انسان في جهله : ان الولايات المتحدة لا تسعى في هذه الحرب الى النفع المادي ولا الى التبسط من اي نوع كان ، وهي لا تحارب لاغراض شخصية وانما تبذل دماء شبابها لتحرير الشعوب جميعها من تعديات القوة الاستبدادية ، اية كانت تلك الشعوب ...»

«...اتنا نخوض الان غمار القتال لاجل الحرية ولاجل تمتع الشعوب باستقلالها ، ولاجل ازدهار جميع الشعوب بدون تعدد ... واما السلم فيجب ان يبنى على المبادئ الاتية : لا يجوز منع اي شعب من العيش في ظل السيادة التي توافقه ، ولا يجوز نقل ارض من حكم الى حكم ، الا اذا كانت غاية هذا النقل تأمين

السعادة والحرية للذين يسكنونها . »

(من رسالة الرئيس ويلسن الى الحكومة الروسية الموقفة في ١٠
حزيران (يونيو) ١٩١٧ يقترح عليها فيها متابعة التضامن بين
الحلفاء حتى الفوز النهائي)

—*—

« ... وقد صرحت لكم منذ ايام ايها السادة ان العدل رائدنا
والسلام هدفنا في هذه الحرب ، وقلت لكم ما اردده الان على
مسامعكم حرفياً : ان فرنسا لا تريد ظلم اية قومية حتى وان
كانت امة من اعدائها . بل هي تطلب حرية العالم بأسره
واستقلال الشعوب جميعها ، وستستند في اعمالها يوم النصر الى
العدل لا الى الانتقام وليس لي الان الا تكرار هذا القول ..
ان صلحاً وطيئاً ننشده لا يتم الا اذا شدنا على دعامة العدل
وعلى حق الشعوب ، ولن نفوز بذلك الصلح الا بشرط
آخر يجب ان لا ننسا : وهو ان نقضي على الاستبداد العسكري
فلا تتركه مستمراً في قسوته وتهديده . »

(من خطاب الميسور ريبو رئيس الوزارة الفرنسية امام مجلس النواب
في ٢٢ نوار ١٩١٧)

—*—

«... ان مجلس النواب ، وهو الذي يمثل سيادة الشعب الفرنسي وارادته تمثيلاً مباشراً ، يبعث الى الديموقراطية الروسية والى الديموقراطيات الحليفة الاخرى بسلامه ... وهو يرجو ، مبتعداً عن اية فكرة ترمي الى الفتح واستعباد شعوب اجنبية ، ان تتمكن جيوش الجمهورية الفرنسية والجيوش المحالفة ، بعد قهر روح التسيطر الجرماني ، من الحصول على الاسس الثابتة لتوطيد السلام ، واستقلال جميع الشعوب الكبيرة والصغيرة ، في ظل مؤسسة عصبة الامم التي تهيأ منذ الان ،
(من القرار الذي اصدره مجلس النواب الفرنسي في ليل • حزيران ١٩١٧ لتحية الحكومة الروسية الموقته)

— * —

«... تقول الحكومة الروسية في مذكرتها انها لا ترمي الى السيطرة على شعوب اخرى ، ولا الى تسليم بلدانهم ، ولا الى احتلال اراض اجنبية بالقوة . والحكومة البريطانية تشاطر الحكومة الروسية هذه المواظف من صميم الفؤاد ، فهي لم تخض هذه الحرب لاجل الفتح ، ولن تتابعها لهذه الغاية ، وانما الهدف الاصلي الذي رمت اليه في البدء هو الدفاع عن بلادها وجعل اليهود الدولية محترمة . وقد زيد اليوم على ذلك الهدف الاصلي هدف جديد هو تحرير الشعوب المستعبدة من النير الاجنبي »

(من جواب الحكومة البريطانية على بيان الحكومة الروسية الموقفة
في ١١ حزيران ١٩١٧)

—*—

« ... ان فرنسا لا تفكر في استعباد اي شعب في الارض ، ولا
اية امة حتى من اعدائها الذين تحاربهم اليوم ، ولكنها تود
ايضاً ان يقضى القضاء الكامل على الارهاق الذي مد جناحه
على الدنيا طويلاً ، وهي في هذه السياسة التي تترك فيها لاعدائها
روح التبسط والفتح والطمع ، تعلن انها لن تعزم يوماً على
سلب ارض ما من اصحابها الشرعيين . ولقد اضطرت الى
امتناع الحسام لاجل الدفاع عن حياضها وتأمين احترام
استقلال الشعوب وحرّياتها في العالم »

(من جواب الحكومة الفرنسية في ١٣ حزيران ١٩١٧ على بيان
الحكومة الروسية الموقفة عن مصير الحرب)

« ... ولتلك الاسباب عينها نعلن خصامنا لكل سياسة ترمي الى الفتح
او استملاك اراض اجنبية ، واذن فانتا نرفض اليوم كما رفضنا
بالامس سياسة الفتح الاستعماري لان الاستيلاء على اية
مستعمرة ، ومنع سكانها الاصليين من استقلالهم الاداري ، إن
هو الا « استملاك » رجال غير احرار ، وهذا معناه الاستعباد
الذي لا يتفق مع مبادئنا . وفي الواقع : ان حق السكان في

تقرير مصيرهم بحرية لا يكون محترماً في وقت الاستيلاء على المستعمرات ولا في وقت مبادلتها.. فنكون ، والحالة هذه ، اشد الان منا في الماضي فضلاً ضد الاستعمار ، أظاهراً كان أم مستوراً»

«... من مذكرة الحزب الاشتراكي الالماني المستقل (حزب الاقلية) في ١٨ حزيران ١٩١٧ الى اللجنة الاشتراكية الهولندية السكندنافية في ستوكهولم ردأ على اسئلتها عن رأي الاشتراكيين في مصير الحرب)

—*—

«... اما الاهداف التي نرعي اليها في جميع اعمالنا السياسية فبريئة من مطامع الفتح ، ونيات الاستعمار والسيطرة ، وانما ننشد سلاماً وطيداً ، واشتراكاً حراً في بناية الحضارة واسسها المعنوية والمادية... ولنسأببعيدين عن فكرة الضغط على الشعوب واستعبادها فحسب ، بل انتا لانستصغر اي قوم واية دولة قريبة كانت أو بعيدة ، كبيرة او صغيرة.»

«(من تصريحات السنيور سوندينو وزير خارجية ايطاليا امام مجلس النواب الايطالي في ٢٠ حزيران ١٩١٧)

—*—

«... ونحن الان تجاه اشد الحروب هولاً وفظاعة ، فقد تحذونا

بالمبادئ الانسانية السامية ، مبادئ الحرية والاخاء والمساواة .
ليس بين الرجال بل بين الائم ، الكبيرة والصغيرة ، والقوية
والضعيفة ، والمتغطرة والمتواضعة ، فعلى الشعوب جميعها التي
تحارب معنا لاجل هذه المبادئ ان تثبت حتى نصل الى تحقيق
العدل بين الدول وتحطيم البربرية ، فيعيش مبدأ الحق بسلام !»

(من خطبة للمسترلويد جورج رئيس الوزارة الانكليزية في ٢٩
حزيران ١٩١٧ في مدينة غلاسكو)



« ... ليست المانيا هي التي سعت الى الحرب ، ولا هي التي تبسط
وامتدت املاكها وراء البحار بقوة الفتح والمدفع والسيف ...
ولا نرغب بمتابعة النضال يوماً واحداً عندما يعرض علينا
صالح شريف ، ولكن الذي نريده هو عقد الصلح على اننا
احرار في عقده ، وعلى انه يقضي على الشعب الذي يثيره الحصار
الاقتصادي بين الائم . اجل اننا نريد السلم بشرط ان يحميننا
من تبدل اعدائنا من عصبة عسكرية بعصبة اقتصادية ضدنا . »
(من بيان وزارة المستشار ميكائيلس امام مجلس النواب الالماني في
١٩ تموز (يوليو) ١٩١٧ بعد انخزال المستشار دي تمان
هولويغ)

الثورة الروسية

عصفت ، وفي زئيرها صدى اجيال طويت على العسف والاضطهاد ،
ما ومض في يوم منها قبس حق ، الا وتردى بسنوات ظلم وارهاق !
عاش الشعب اجيالاً عبداً ذليلاً ، ومات عبداً ذليلاً : روسيا
بلاد القيصر ، وشعبها من مواشيه السائمة ! جلالة الامبراطور ظل
الله على الارض ، والشعب موطىء قدميه !

لاسلطان الا لصنم العرش ، والامة للطاعة والخدمة .
الشعب يدفع الضرائب ، ويقوم باود الجيش ، ومعاش الاتباع ،
ونفقات القصور . ولا مدارس ، ولا ملاجىء ، ولا مستشفيات .
الشعب يدفع الضرائب ، ولا محاكم ، ولا قانون ، ولا عدل !
الامة تقوم بجميع الواجب عليها نحو الدولة ، والدولة طاغية ،
مطلقة السلطان : لاحرية للكلام ، ولا للكتابة ، ولا للاجتماع !
عاشت روسيا اجيالاً تحت النير ، لم يرتفع في يوم منها صوت
للدفاع عن الامة البائسة ، المضطهدة ، المستعبدة ، الا وبات صاحبه
في منافي سيبيريا ، فكان الظلم مهمازاً لها ، افاقها من سكرة الذل ،
فرأت اشلاء بنينا مبعثرة في كل سجن ومنفى ، مرتفعة صعداً
حتى السماء !

واستعادت في ضميرها احلام الدموع ، والعذاب ، والاوجاع ،

فوثبت هوجاء ، واندلعت نيرانها ، تستقم للملايين من ... الانظمة
والقوانين التي تسكنت تحت نيرها ، ولا يزال شررها متطيراً ، في
الدنيا باسرها ، يلقيح زملاء الروس في اجيال العسف والاضطهاد
واخيراً ، يانيقولا ، الم تسمع بيوم عبد الحميد ؟ ألم تقرأ في
تواريخ العالم ان الامم لا تموت من الظلم والاستعباد ، مادام
ضميرها حياً ؟

واخيراً ، يانيقولا ، لقد وقف الدولاب : وهذا يوم الثورة ،
تعصف ريحها غضبي ، وفي زئيرها صدى انات الملايين ، المشردين تحت
كل كوكب ، وفي كل بلد هائمين . فاذا كر ان الدهر يومان ، وان
يومك لعصيب !

تنزل القيصر نقولا عن العرش في ١٥ اذار (مارس) - بعد
خمسة ايام من سقوط بغداد ، اي ان الاقدار رمت كل فريق من
المتحاربين بحجر من سجين - وفي ١٧ ، اذاع وزير الخارجية بلاغاً
الى سفرائه وقناصله في الخارج يعلن لهم فيه رأي الحكومة الجديدة
— رأياً جديداً — في اسباب الحرب ، وفي مصيرها اذ قال :
« ان نظام الحكم الجديد في روسيا عازم على ان يستند الى المبادئ
الديموقراطية في وجوب احترام ارادة الشعوب ، الكبيرة منها
والصغيرة على السواء ، واحترام حريتها في استقلالها »

وهذه النعمة الجديدة التي لم يسمعها العالم من حكومة روسية

قبل الثورة الشعبية الخالدة ، كانت اول معول في ذلك الحصن الخبيث الذي بنته سياسة الكذب والتضليل والتدجيل

ومضت ثلاثة اسابيع على البلاغ ، فادلى صاحبه ، وزير الخارجية المسيو ميليو كوف نفسه ، ببيان جديد الى مراسل « الطمان » في ٩ نيسان (ابريل) يشرح فيه بلاغه بقوله : « ان الحلفاء لا يحاربون لاجل الفتح ، وليست غايتهم التحرير الشعوب . — ثم قال — : ومن تلك الغاية التي نحارب في سبيلها ، ان نحرر الشعوب التي تسكن آسيا الصغرى وتحرير ارمينيا والبلاد العربية و ... سوريا »

... وتشعبت الآراء ، وتباينت اهداف الثائرين في مصير المجزرة ، وكان الرأي الغالب يؤيد المبادئ التي اعلنتها ساسة الدول المتحاربة في ان الحرب يجب ان تكون ركناً وطيداً لحرية الشعوب ، غير ان نزعة الثوار الى هذه المبادئ الانسانية ، السامية ، كانت نزعة صادقة ، برهنت السنون والحوادث على انهم لم يظهروا الا ما كانوا يضمرون ، وعلى انهم لم يضلوا الرأي العام ، ولم يخدروا الشعوب ، ولم يكذبوا ، ولم يحملوا يمينهم انجيل الحرية والسلام ، وبشاهم سيف الفتح ومدفع الاستعمار !

لم يبق رجال الثورة تلك النزعة الانسانية في صدورهم ، بل بشوها في الصفوف ، واصلوها في الخطب والصحف ، وارغموا افئدة الحكومة الموقنة على اعتنائها بالرغم من ان تلك الحكومة لم تكن

لتمثل امانهم التمثيل الكامل ، وانما كانت همزة الوصل بين العهد
القيصري الاقطاعي الفظيع وبين المستقبل المنشود ، فاذاغت في ٩
نيسان بياناً جديداً قالت فيه :

«... ولقد تركت الحكومة الموقته لارادة الشعب امر التسوية
النهائية لجميع الشرّون التي لها مساس بالحرب العالمية وبانهاؤها، الا انها
ترى من واجبها ان تعلن منذ اليوم ان روسيا الحرة لا تبغي السيطرة
على الشعوب الاخرى ، ولا ان تسلبهم سيادتهم الوطنية ، ولا ان
تستولي بالقوة على اراض اجنبية ، ولكنها تهدف الى بناء سلم ثابت ،
يرتكز على حق الشعوب في حكم نفسها بنفسها » اهـ

وتبلغت حكومات الحلفاء البيان الرسمي الجديد في اول ايار ،
ولكن وزير الخارجية ميلور كوف ، ارفق البيان بمذكرة تفسيرية ،
اشتم الثوار منها رائحة « النعومة الحبيثة » في المرامي التي عبرت عنها
المذكرة بتعبير ذي وجهين ، فتمامت قيامتهم ، ولا سيما الشيوعيين منهم ،
وارغموا الوزارة على ان تبلغ الحلفاء ان البيان وحده هو الذي
يعرب عن امانى الشعب

ولما يكمل الاسبوعان حتى حدث تبدل في الحكومة الموقته ، اذ
انضم اليها عناصر جديدة متطرفة ، فاذاغت بياناً جديداً عن رأيها في
مصير الحرب ليطمئن الثوار الى مساعيها ، وقد استهلته بما يلي :

« ان الحكومة الموقته ، بالاتفاق مع الشعب كله ، ترفض في

سياستها الخارجية اية فكرة ترمي الى عقد صلح منفرد مع الاعداء، وتعلن — على المكشوف — هدفها بانها تروم اعادة السلام العام غير رامية الى السيطرة على شعب ما من الشعوب، او سلبه سيادته الوطنية، ولا الى الاستيلاء بالقوة على اية ارض اجنبية، وانما تريد سلاما بدون « استعمار » او « تعويض » يرتكز على حق الشعوب في حكم نفسها بنفسها » اهـ

ولسنا بحاجة الى القول اي وقع كان لهذا البيان بين الشعوب المتحاربة، واي تأثير تركه في نفوسها، وكيف استقبلته الاحزاب التي كانت قد بدأت تتدمر من ويلات الحرب طالبة انتهاءها، ويكفي ان يعلم القارىء انه اثار مناقشات عنيفة في المجالس النيابية في اكثر الدول، ولا سيما في لندرة وباريس، وكانت جلسة النواب الانكليز خطيرة في الاقوال التي القيت فيها، اذ طلب النائب الاشتراكي شنودن، وهو الذي تولى وزارة المال في حكومة العمال السابقة، وهو نفسه الذي اهان الميسو شيرون وزير المال الفرنسي في صيف ١٩٢٩ وكان كلاهما وزيراً يمثل حكومته في مؤتمر لاهاي لانشاء مصرف التعويضات الدولية، فكادت تلك الاهانة تقيم فرنسا وتقعدها واضطرت الشيخ شيرون للانسحاب من جلسة المؤتمر احتجاجاً على « كلام... » زميله الانكليزي، — طلب شنودن في ١٦ ايار (مايو) ١٩١٧ من الحكومة البريطانية ان تذيع بياناً كبيان الحكومة الروسية عن

مصير الحرب ، وأيده في طلبه النائب ليس سميث ، وخطب كلاهما خطبة ضافية عن فواجع المجزرة البشرية ، فوقف اللورد روبرت سيسيل يرد عليهما باسم الحكومة وأكد ان انكلترة لم تشارك في الحرب لاجل اي هدف يرمي الى الفتح الاستعماري ، ولكن التعبير عن « السياسة الجديدة ... » التي لا تريد « الضم » او التعويض هو تعبير يحتاج الى تحديد معناه ... ثم قال اللورد سيسيل :

« هل يجب ان نعتبر الاستقلال الذي تطالبه بلاد العرب نوعاً من « الضم » ؟ وان نعيد تلك البلاد الى السيطرة التركية ؟ ... ان ذلك لن يساعد انكلترة على تحقيقه . اما الارمن الذين هلك منهم مليون ومئتا الف نفس ، فكل تغيير في مصيرهم ، حتى اذا كان ضمّاً كاملاً يعد احساناً لهم . وحالة سوريا وفلسطين هي حالة الارمن عينها ، فقد رمي السوريون واللبنانيون في انياب المجاعة ، وفي لبنان وحده مات ثمانون ألفاً جوعاً ! » اه

وكأني بالمستر اسكويث ، رئيس الوزارة البريطانية يومئذ ، لم يكتف « بتفسير » اللورد سيسيل ، التفسير الناعم الملمس ، بل رغب في زيادة الايضاح فوقف « يفسر » — بدوره — تفسير زميله لبيان الحكومة الروسية ، قال :

« اذا كان من الواجب ان تنتهي هذه الحرب على اساس صلح شريف وثابت فيمكن ان يحدث ، بل سيحدث « ضم » بلدان »

وسيكون هذا «الضم» قائماً على تحرير شعوب مظلومة من الظلم الذي اضطرت لان تخضع لنيره وعذابه حتى اليوم ، وليس هذا «الضم» مشروعاً فحسب ، وليس هو بالواجب الذي يثقل على ضمائرنا وعقولنا فقط ، ولكن الاهداف التي امتشقنا الحسام لاجلها في هذه الحرب لن تتحقق ، او ينقص تحقيقها ، في ما اذا لم يضم الحلفاء اليهم بلداناً لاجل تحريرها من النير الظالم .

«ويخيل الي ان هناك غاية ثانية تجعل «الضم» واجباً اضطرارياً اكثر منه مشروعاً ، وهي توحيد القوميات التي فرقت بينها الاهواء .. وكان تفريقها مصطنعاً (١)

«ثم ان هناك معنى ثالثاً يخيل الي انه يجعل «الضم» مشروعاً ، وهو الحاجة الى المواقع الحربية المعروفة بانها ضرورة ماسة للدفاع

عن النفس .

«فهذه الانواع الثلاثة من الضم هي مشروعة جداً ، ولكن الحكومة الروسية عند ما تطلب منا ان نعلن مثلها ، ونؤيدها في رفض «الضم» فهي تقصد ، ولا ريب ، ضما من النوع الرابع : اعني الفتح لاجل التبسط الاستعماري ، والتوسع السياسي والاقتصادي ... واعتقد ان ليس من شخص في هذه الندوة ، او في هذه البلاد ، واني لو اثنق

(١) مسكين فخري البارودي في قوله : بلاد العرب اوطاني ! ...

من انه لا يوجد ايضاً حكومة بين الحلفاء ، مستعدة لاجراء مثل هذا « الضم » المعرض للخطر ، او مستعدة لتبريره » اه...

لم يجرء وزير انكليزي على معارضة البيان التاريخي الذي اذاعته حكومة الثورة الروسية ، ولكن جواب روبرت سيسل ، وجواب اسكويث في « تفسيره » ، كانا ينطويان على تعبير « مكيفيالي » تأتية الظنون من كل جانب ... ولا سيما في تفسير معاني « الضم » ، فكان المستر اسكويث ، وهو يشير صراحة الى ان بعض البلدان المشمولة بالحكم العثماني ستسلخ عن جسم السلطنة ، وستكون تحت حكم الحلفاء ، - ولم تكن مخيلة الجنرال سمث قد اخترعت كلمة « انتداب... » - كأن المستر اسكويث ، الذي اشار صراحة في « تفسيره » البيان الى الانتدابات المقبلة ، يريد ان يقول ان السلطنة العثمانية كانت تحكم الاقطار العربية بالسيف والنار والبارود ، وهذا النوع من الحكم هو الوحشية ، والبربرية ، والفظاعة ، والهمجية بعينها ، لان الاتراك كانوا يستثمرون موارد هذه البلاد ، ويرهقون سكانها ، ويحرمونهم حرياتهم ، واما حكم الحلفاء المنوي تطبيقه على البلدان العربية ، المظلومة بنير الاتراك ، اما حكم « الانتداب » فسيكون برداً وسلاماً ! هذا هو التفسير الوحيد الذي يستطيع المستر اسكويث ان يفسر به « تفسير ! » بيان حكومة الثوار في روسيا ، وهو المعنى الوحيد الذي يستطيع كل منا ان يستنتجه من اقوال الوزير الكريم

اما ان القول شيء ، والعمل شيء آخر ، وان الحكم العثماني هو كيت وكيت ، وحكم الانتداب هو المن والسلوى ، فلسنا نحن الذين نشرحه في هذه الفصول ، ولكسنا نترك امر شرحه لسكان البلدان المشمولة بنعم هذا المن والسلوى ... فعلى قلوبهم قد « طبع » الجواب !

ولكن مهما يكن من معاني كلام المستر اسكويث ، فاقترى فيه قبساً من « الصراحة » في النية ، ونلمس منه بعض الطلائع في الاتجاه ، ذلك لانه يعلن ان هناك بلداً ستسلخ عن جسم السلطنة وقد تضم ، بل ستضم ، الى حكم الحلفاء ، فهو اذن كلام جلي ، وان كان باطنه قامضاً و... « خبيثاً ! »

ولكن ، بماذا نفسر جواب الحكومة الفرنسية والبرلمان الفرنسي على ذلك البيان ؟

لقد ثارت المناقشة في مجلس النواب بباريس في ٢٢ نوار ، اي بعد ستة ايام من مناقشة مجلس النواب الانكليزي ، فوقف المسيو ريبو رئيس الوزارة الفرنسية والقى خطبة بليغة عن موقف الحلفاء من مصير الجزرة ، ثم عرض لبيان الشوار الروسيين وما تضمنه من مبادئ انسانية فقال : « ... لقد صرحت لكم منذ ايام ايها السادة ان العدل رائدنا والسلام هدفنا في هذه الحرب ، وقلت لكم ما اردده الان على مسامعكم حرفياً : ان فرنسا تريد ان لا تظلم اية قومية ، حتى

وان كانت قومية من اعدائها ، بل هي تطلب حرية العالم بأسره ، واستقلال الشعوب جميعها ، وستستند في اعمالها يوم النصر الى العدل لا الى الانتقام ... وليس لي الآن الا ان اكرر هذا القول ...

« ... ان صلاحاً وطيداً ننشده لايتم الا اذا شدناه على دعامة العدل ، وعلى حق الشعوب ، ولن نفوز بذلك الصلح الا على شرط آخر يجب ان لا ننساه ، وهو ان نقضي على الاستبداد العسكري فلا نتركه مستمراً في قسوته وتهديده ! .. » اهـ

وكأني بمجلس النواب الفرنسي لم يكتف بتصريح الرئيس ريبو فبعد جلسة في ليل ٤ — ٥ حزيران واصرر القرار الآتي :

« ... ان مجلس النواب ، وهو الذي يمثل سيادة الشعب الفرنسي تمثيلاً مباشراً ، يبعث الى الديموقراطية الروسية ، والى الديموقراطيات المحالفة الاخرى بسلامه

« ... وهو يرجو ، مبتعداً عن اية فكرة للفتح واستعباد شعوب اجنبية ، ان تتمكن جيوش الجمهورية الفرنسية والجيوش المحالفة ، بعد قهر روح التسيطر الجرمانى ، من الحصول على الاسس الثابتة لتوطيد السلام واستقلال الشعوب الكبيرة والصغيرة على السواء ، في ظل مؤسسة عصبة الامم التي تمهياً منذ الان » اهـ ...

أرايت البون الشاسع في التعبير بين الحليفين ؟

الانكليز يؤيدون بيان الحكومة الروسية في مصير الحرب ،

ولكنهم في الوقت عينه يفسرون معانيه في القالب الذي يضمن لهم تحقيق مطامعهم الاستعمارية ، دون ان يشعر السامع بان هناك مطامع ... ، وعلى افتراض شعوره بمعارضة روح البيان ، فانه يسمع كلمات العدل ، والشرف ، والانسانية ، تتخلل تلك المعارضة ، فيخيل اليه ان نية الانكليز في « الضم ... » انما هي اشرف النيات البشرية . وأما اصحابنا الفرنسيون ، فانهم يركضون ركضاً في الجواب ، حكومة وشعباً ، ولا ريب بان الشعب الممثل بمجلس نوابه صادق في تمنياته ونياته

ولقد جرى الاستاذ ويلسن نواب فرنسا في ركضهم ، فبعث الى الحكومة الروسية الموقته بتصريح يؤيد فيه بيانها قال فيه : « ... اتنا تناضل في سبيل الحرية ، وفي سبيل الحكم الديموقراطي ، وفي سبيل تسمية الاستقلال الذاتي لجميع الشعوب ... لا يمكن ان يرغم اي شعب على الحياة تحت حكم يرفضه ، ولا يمكن ان ينقل اي بلد من حكم الى حكم الا في حالة ضمانه الراحة والحرية للسكان الذين يعيشون فيه . وعندئذ ، وقد صارت الشعوب حرة ، تسير الانسانية متضامنة لتوطيد السلام والعدل في العلاقات الدولية ، فيجب على الامم ان تفهم قيمة التضامن الذي يجمع بينها ، وان تشترك في جعل هذه المنافع الحيوية بمأمن من التعدي ، والظلم ، والاستبداد الفردي ... اتنا لهذه المبادئ الانسانية تناضل ، ولاجلها نرضينا بسفك دماثنا وبتضحية

ثرواتنا ، ولقد آن الاوان لان نتصر او نقهر ! » اه...

ويضيق بنا المجال في تسجيل كل ما قيل في هذا الصدد ، وهو قول غمر العالم بموجة التنفس والامل ، وهز الدنيا بأسرها طربة ورجاء ، ولكن سمعت شيئاً ، ايها العالم ، وقد فاتتك اشياء : « فالذي ضرب ضرب ، والذي هرب هرب » ، والاتفاق بين الحلفاء على اقتسام الاقطار العربية كان قد تم — سرّاً — ، وهما انك تسمع اللورد ، النبيل القلب ، روبرت سيسل يعطف في خطابه على الارمن واللبنانيين ، والسوريين « المسلمين ! » ، وعلى فلسطين ، ولكنه لا يشير بحرف الى العراق في ذلك العطف ! وهما هي وزارة لندرة ، وزارة غراي ، وسيسل ، واسكويث ، ولويدجورج ، وزملائهم الذين غنوا لسكاري الموت ، في المجزرة ، انشودة الحرية والاستقلال ، هاهي وزارة لندرة تكتب ، بعد خطب اقطابها ورجالاتها ، مذكرة (١) الى حكومة الثورة الروسية ، جواباً على بيانها ، ترحب فيها بمبادئها الجديدة ونياتها ، وتؤكد لها انها لم تدخل الحرب الا لاجل تلك الاسس المذكورة في البيان ، ثم تختتمها بهذه ... « الرشوة ... الكريمة » فتقول :

« ... والحكومة البريطانية تظن ان الاتفاقات التي عقدتها

(١) نشرتها جريدة « الطان » الباريسية في ١٤ — ٦ — ١٩١٧

بينها وبين حليفاتها ، من وقت الى آخر ، تتفق في نقاطها العامة مع تلك الاسس .

« على انه — وليتبه القارئ الى « الرشوة » في هذا الاستدراك الناعم — على انه في اي حال ترغب الحكومة الروسية في فحص تلك الاتفاقات ، فان الحكومة البريطانية وحكومت حلفائها مستعدة لتعديلها اذا كان ذلك ضرورياً » اهـ

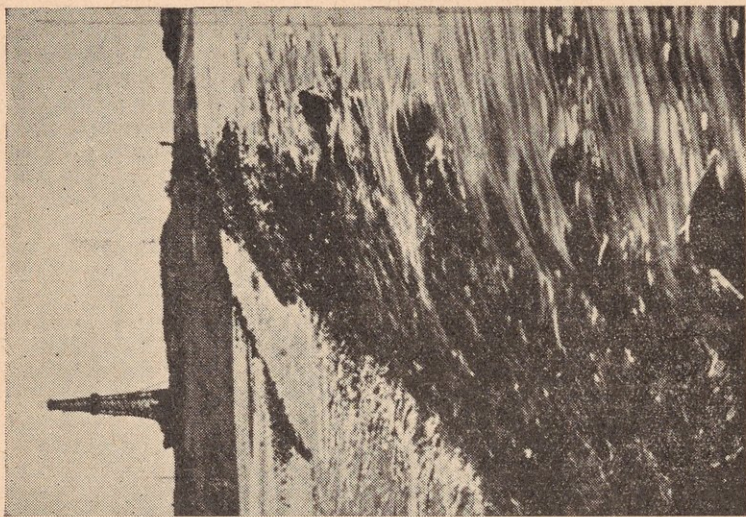
تكرمت حكومة لندرة بتلك الرشوة ولكن الثوار الروس رفضوها ، وابوا الا ان يكونوا اشرافاً في العمل ، كما كانوا اشرافاً في القول ، فأعلنوا ان حكومة العمال الجديدة تنزل عن كل امتياز كان لحدومة القيصر السابقة ، في اي بلد كان ! وقالوا : ان الحكومة الشريفة ، كالرجل الشريف ، لا تحقر ميدها القبر لكلام ينطق به لسانها : اذا كان المتحاربون صادقين في اقوالهم فعليهم ان يقضوا على جميع الاتفاقات السرية ، ويتنزلوا عن جميع الامتيازات التي يتمتع بها مواطنوهم في البلدان المستضعفة ، ويعلموا حالا استقلال جميع الشعوب ، ويعترفوا ، مثلنا ، بذلك الاستقلال ... وإلا فهم : كذابون ، مراوغون ، مجرمون !

اعلن الثوار الروس تنزلهم عن جميع الامتيازات التي كانت تتمتع بها حكومة بطرسبرج بقوة السيف والاكرام في بلدان كثيرة .

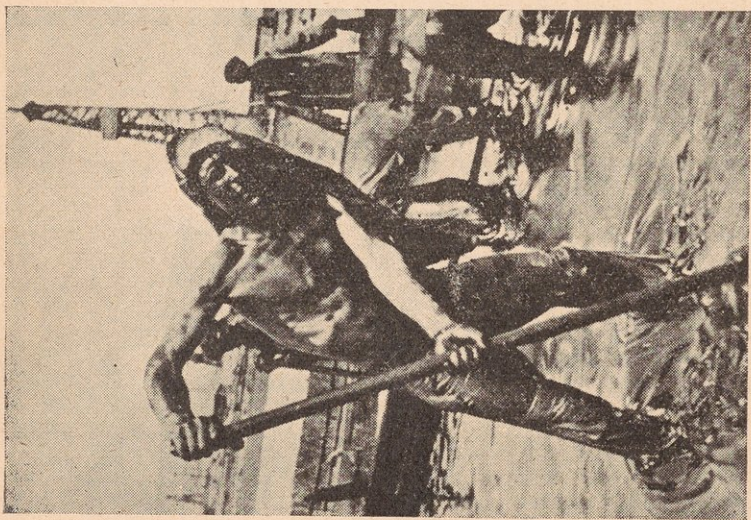
ولا سيما في الشرق ، وانسحبوا من منطقة النفوذ الروسي في إيران ،
بعد ان احتلها الطغيان القيصري وظلمها وارهبها بموجب عهدة ١٩٠٧ ،
واعترف الشوار باستقلال تلك البلاد ، فاذا بالجيوش الانكليزية
ترحف الى . . . المنطقة التي كان يحكمها الاستعمار القيصري ،
وتواصل زحفها الى . . . القوقاس ! واذا بشركة « الانكلو برشيان »
تراود السمسار الارمني كوشتاريان ، وتغره بالوعود ، ثم تخيفه
بالتهديد ، فتشتري منه امتياز النفط الذي حصل عليه من حكومة
طهران بضغط السفير الروسي والجيش الروسي سنة ١٩١٦
وكان لهذا الشراء « قصة » — واية قصة ! — بعد انتهاء الحرب ،
في مصير الاقطار العربية



نبع جديد في حوار باكو يدفق عشرين ألف طن يومياً



والصبا « غاطسون » فيه



«... واظن ان التعبير الجديد «صلح، بلا ضم بلدان ولا تعويض» الذي نسمعه في بعض تصريحات الحكومة الروسية الموقته، لم يفهم الفهم الكامل بسبب النقص الذي يعتور المعجم الدولي، اظن ذلك لان ضم بعض البلدان بعد الحرب سيكون حتماً، بل هو واجب»
(من بيان لرئيس الوزارة الانكليزية اسكويث في ١٦ نوار ١٩١٧ امام مجلس العموم)

—*—

«... وهناك عصبة ثالثة من الامم القديمة التي كانت مستقلة، وصارت ضحية تحت نير الاستعمار، وهي مؤلفة من ارنلدة ومصر وطرابلس الغرب ومراكش والهند والتبت وكوريا، يؤكدها الاشتراكيون الالمان اصدق العطف وأحره، لما بذلته من جهد في سبيل استعادة حرياتها الوطنية. واننا لنغبط بان يرفع اشتراكيو الدول التي تحكمها اصواتهم لتحرير تلك الامم من الارهاق الاجنبي»

(من مذكرة الحزب الاشتراكي الالماني (حزب الاكثرية) في حزيران ١٩١٧ رداً على الاسئلة التي طرحها عليه اللجنة الاشتراكية الهولندية السكandinافية في ستوكهولم عن رأي

—*—

« ... ويجهل دعاة السلم في بلادنا ، السابحون في عالم الخيال ، ان الدولة التي اعلنت الحرب للتبسط والاستعمار انما هي الدولة الالمانية . (من خطبة للوزير الانكليزي بونارلو في ٢٦ تموز ١٩١٧ امام مجلس العموم)

—*—

« ... وان لفرنسا وحلفائها مشروع استعمار خطيراً ، يقضي بالسيطرة على بعض الشعوب بعد الحرب ، وقد وضعوا خطته سرّاً ، وها اني اتحدى الحكومة الفرنسية علناً ، واسألها عما اذا كانت تستطيع نكران الموقف الحرج الذي وقفه رئيسها المسيو بريان والمسيو ريبو وزير الخارجية ، في الجلستين السريتين اللتين عقدهما مجلس النواب الفرنسي في ١ و ٢ حزيران ١٩١٧ ، وهاجما فيها بعض النواب الاشتراكيين فاضطرا للاعتراف بان فرنسا اتفقت مع حكومة القيصر الروسية ، وذلك قبيل اندلاع ثورة الشعب الروسي ، على خطط استعمارية متراصة الاطراف ؟؟ لا تستطيع الحكومة الفرنسية نكران ذلك ، ولا تستطيع نكران الحملة العنيفة ، التي هوجم بها المسيو بريان في تينك الجلستين ، وان المسيو

ريبو الذي انكر في بدء المناقشة وجود اتفاق سري بين
حكومتى باريس وبطرسبرج، اضطر لان يعترف بعد الحاح
النائب رينوديل بوجود الاتفاق، ثم وقف المسيو بريان
وكشف القناع عن وجه فرنسا المستعمرة قائلا: «ان على
حكومة الثورة الروسية ان تفي بالعهود التي قطعها القيصر،
وان فرنسا لا تبالي بالجماهير الروسية الوضيعة...» مما حمل
نواب المعارضة على مقاطعته بحق، صارخين في وجهه: «هذا
عيب، هذا عار»

«ان الحوادث التي جرت بعد الجلستين السريتين، والاقوال التي
وصلت الينا منهما، كل ذلك يدل بجلاء على ان الحلفاء هم
اصحاب فكرة الفتح، والاستعمار، واستعباد الشعوب، وهم الذين
يرمون بدائمهم وينسلون...»

(من تصريح ادلى به المستشار الالماني ميكائيلس في ٢٨ تموز (يوليو)
لرجال الصحافة الالمانية في برلين)

—*—

«... ان في رواية المستشار ميكائيلس عن الاتفاق السري بين فرنسا
وروسيا اخطاء فادحة واكاذيب صريحة... اتنا نكذبه بحق،
لانه سمح لنفسه بتزوير معنى الرسائل التي تبودلت بيننا وبين
حكومة بتروغراد في شباط ١٩١٧ والتي يعرفها حق المعرفة»

(من خطاب للمسيو ريبو في مجلس النواب في ٣١ تموز ١٩١٧)
يرد فيه على تصريح رئيس الوزارة الألمانية المنشور سابقاً)

—*—

« ... ان هذا المؤتمر يستنكر اية متابعة لاية سياسة سرية ، ويرفض
« التسويات » التي تمت على غير معرفة الامة بها ، ويطلب ان
تطلع الامة على الشرائط التي يمكن بواسطتها عقد صلح ثابت وعادل
« ويدكر الدول بأنه :

« ١ — لا يقبل باي ضم ارضي (استعمار)

« ٢ — يجب ان يكون للشعوب حقها في حكم نفسها بنفسها » الخ ...

(من مقررات مؤتمر حزب العمال الفرنسي (سي . جي . تي .)

المنعقد في مدينة كليرمون فران في ٢٥ ، ١٢ ، ١٩١٧)

—*—

« ... ولقد تسلموا كثيراً عن اتفاقات عقدت بيننا وبين حلفائنا

على تلك القضايا (اقتسام السلطنة العثمانية) ، وجل ما

استيع قوله في هذا الصدد اننا مستعدون ، وقد كنا

مستعدين دائماً ، لمناقشة حلفائنا في تلك الاتفاقات

« ... واذا سئلنا : على م نحارب ؟ فالتنا نجيب كما اجبنا دائماً ، بالتنا

نحارب لاجل صلح عادل وثابت ... ولجل الحصول على

هذا الصلح يجب ان يجري الاتفاق على تسوية الاراضي ، بناء

على حق الامم في حكم نفسها بنفسها ، اي بناء على موافقة
المحكومين .

« ... والشعوب البريطانية مستعدة لتقديم تضحيات جديدة ، اكثر
من التي قدمتها في الماضي لتحقيق هذه الشروط » اه
(من خطبة للرئيس الانكليزي لويد جورج امام وفد العمال في لندره
في ٥ ك ٢ (يناير ١٩١٨)

— * —

« ... ان عهد الفتوحات والتبسط الارضي قد مضى ، ومضى
ايضاً عهد الاتفاقات السرية التي عقدت لفائدة بعض الحكومات ،
وباستطاعتها ان تقضي على سلام العالم في ساعة غير منتظرة »
(من خطاب الرئيس ويلسن في البرلمان الاميركي في ٨-١-١٩١٨)

وفي ٢١ شباط (فبراير) ١٩١٨

اذاعت جريدة « برافدا » الروسية

نصوص الاتفاقات السرية التي عقدتها

فرنسا وروسيا وانكلترا

لاقتسام السلطنة العثمانية !!

الوطن اليهودي في ٠٠٠ فلسطين

في اي يوم وقف اللورد روبرت سيسيل في مجلس النواب الانكليزي يخطب عن عطف بريطانيا العظمى ، وحلفائها ، على الشعوب الرازحة تحت النير التركي في لبنان ، وسوريا ، وفلسطين ؟ في اي يوم قل اللورد النبل روبرت سيسيل ، وغير اللورد روبرت سيسيل ، ان الحلفاء يحاربون لاجل تحرير الشعوب الكبيرة والصغيرة على السواء ، ولاجل تأييد حقها في تقرير مصيرها ، واستقلالها ؟

في ذلك الوقت عينه كان موظفو الحلفاء يستقبلون في دواوينهم جماعة من الاسرائيليين ، و « يفاوضونهم » في انشاء وطن قومي لليهود في ٠٠٠ فلسطين !

وفي شهر شباط (فبراير) ١٩١٧ صرحت الوزارة البريطانية تصريحاً جازماً بتأييدها هذا المشروع

وفي ٤ حزيران (يونيو) ١٩١٧ ، وبعد مفاوضات ومداورات ، ومساع و « سعايات » ، قام بها رجل اسرائيلي يدعى سو كولوف لدى موظفين في وزارة الخارجية الفرنسية ، نذكر منهم السادة كامبون ومارجيري وبيكو ، في ٤ حزيران بعث المسيو جول كامبون ، امير السر العام في وزارة الخارجية ، بكتاب « تكميلي » الى

سوكولوف ، يعلمه فيه ان الحكومة الفرنسية لا تستطيع بعد « ان
يصبح استقلال الاراضي المقدسة مضموناً ، الا العطف على القضية
الصهيونية المربوط بنجاح الحلفاء » (١)

وفي ٢ ت ٢ (نوفمبر) ١٩١٧ كتب السيد ارثور بلفور ، وزير
خارجية بريطانيا العظمى ، كتاباً الى اللورد روتشيلد رئيس العصبة
الصهيونية في اوروبا ، هذا نصه :

« يسرني كثيراً ان ابعث اليكم من قبل حكومة صاحب الجلالة
بالتصريح الآتي ، الذي يعطف على الاماني اليهودية الصهيونية ،
وهو تصريح عرض على مجلس الوزارة فاقره :

« ان حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين الاستحسان الى انشاء
« وطن قومي » في فلسطين ، للشعب اليهودي ، وستستخدم جهودها
كلها لتحقيق هذا المشروع ، على ان يفهم جلياً انه لن يؤتى باي
عمل من شأنه ان يمس الطوائف غير اليهودية الساكنة في فلسطين ،
سواء أفي حقوقها المدنية ام الدينية ، ولا ان يمس الحقوق والانظمة
السياسية التي يتمتع بها اليهود في اي بلد آخر » اه... »

وفي ١٣ ك ١ (ديسمبر) سأل النائب الانكليزي المستر لينتش
Lynch وزير الخارجية في مجلس العموم السوآلين الآتي نصهما :
« هل راعت الحكومة ، في ما يتعلق بشكل الحكم المقبل في فلسطين ،

مصالح فرنسا التاريخية في تلك المنطقة ؟ وهل كانت التدابير التي اتخذت حتى الان ، والوعود التي اعطيت ، لا سيما باقامة اليهود في اورشليم (القدس) ، على اتفاق كامل مع ممثلي الجمهورية الفرنسية ؟ «
فرد عليه السيد بلفور : « يجب ان لا يخامر نفس الجنتلمان النبيل اقل خشية من اننا نحاول ، بسياستنا في فلسطين ، التقصير في اخذ اراء حلفائنا باتم الاعتبار »

فسأله النائب لينتش : « اذا اعترفنا بذلك ، في الوقت الذي يسعى الحلفاء فيه الان لتوطيد التعاون بينهم في هذه القضية ، فنحن نتساءل : هل عقد اتفاق (على مصير فلسطين) ياترى ؟ »

فاجاب بلفور : « نعم ، اتنا نعمل في اتم التفاهم » (١)
وفي ١٠ شباط (فبراير) ١٩١٨ نشرت صحف باريس بياناً رسمياً هذا نصه : « استقبل هذا الصباح المسيو ستيفان بيشون (وزير خارجية فرنسا) المسيو سو كولوف ممثل المؤسسات الصهيونية ، وكان (الوزير) سعيداً في ان يؤكده ان التفاهم تام بين الحكومتين الفرنسية والبريطانية على قضية انشاء وطن يهودي في فلسطين » اه
وفي ١٤ شباط كتب الوزير بيشون الى سو كولوف رسالة يؤكده فيها « تأكيداً رسمياً » ماجاء في ذلك البيان !!

ما معنى هذا ، يا جماعة ... « الخير » ؟ وما فعلتم بالوعود والعهود التي قطعتموها للعرب ؟
الوعود ؟ :

انها « ارخص من الترمس » ! وما دامت لا تكلف سوى كلام بعد كلام ، فخذ ما شئت منها :

في ٨ شباط (فبراير) ١٩١٨ ، بعد جميع ما كتبه الحلفاء لليهود ، بعث الزعيم (الكولونيل) رابست Cl Rabst ممثل الحكومة البريطانية في جده ، بكتاب الى « صاحب الجلالة ملك الحجاز وشريف مكة واميرها الخ... » يبلغه فيه نص البرقية التي طيرتها وزارة الخارجية في لندرة الى صاحب الجلالة الهاشمية ، وقد جاء فيها مانعربه حرفياً : « ... ولا ريب بان السياسة التي تتبعها تركيا ترمي الى خلق الشكوك والريبة بين دول الحلفاء وبين العرب الذين بذلوا جهود عجيبة تحت امرة جلالتمك العالية وادارتكم ، لاستعادة حريتهم السابقة .

« والسياسة التركية لا تنقطع عن زرع هذه الشكوك ، وايهام العرب بان لدول الحلفاء مطاعم في اراضيهم ، وحمل الحلفاء على الاعتقاد بانها تستطيع نهى العرب عن الحطة التي قرروا اتباعها » ولكن مزاعم الدسائسين لن تتمكن من زرع الخلاف بين الذين يتجه فكرهم نحو هدف واحد وفكرة واحدة

« ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، تستمر بالاتفاق مع حلفائها ، في اتباع خطة العطف على كل حركة ترمي الى تحرير الشعوب المظلومة ، وهي مستعدة لتأييد الامم (كذا) العربية في جهادها ، لاعادة بناء امبراطورية عربية يسود فيها الحق والشرعية بدلا من الظلم التركي ، ويختفي من بين العرب ، النزاع المصطنع الذي اثارته السلطات التركية الرسمية

« ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية تكرر وعودها السابقة المتعلقة بتحرير الامم (كذا) العربية وهي قد عازمت ، بعد ارتباطها بهذه السياسة ، سياسة التحرير ، على الاستمرار في هذه الخطة بشرف ، وقررت عدم السماح باعادة العرب المحررين الى لجة الاستعباد ثانية ، وعلى مساعدة العرب الباقين تحت النير على نيل حريتهم . » اهـ

ولا بد للقارىء من ان يتساءل عما كان يدفع الحلفاء عامة ، والانكليز خاصة ، الى التناقض بين الاقوال والاعمال ، والاهتمام بمصير فلسطين والعراق على الاخص

والجواب سهل : ففلسطين جزء من سوريا التي تطمع بها فرنسا ، والتي « مُنحتها » في اتفاق سيكس — بيكو ، وفي فلسطين مدينة حيفا التي هي ميناء شرقي الاردن وبغداد ، وفي العراق ابار ... النفط .

فانشاء دولة عربية واحدة ، في هذه الاقطار ، تجاور مصر ، يهدد طريق الهند بخطر مستطير . والسماح لفرنسا بضم فلسطين الى سوريا يقطع على الانكليز في العراق وشرقي الاردن ، طريق البحر ، وتصبح ينابيع النفط التي تملكها في ايران والتي تطمع بها في الموصل وبغداد ، تحت رحمة الفرنسيين .

وكان الحلفاء بحاجة الى ... المال ، والى الدعاية في الايام السوداء ، والمال في صناديق اليهود ، والدعاية على السنة خطبائهم وتحت اقلام كتائبهم ، فان ثلاثة ارباع صحف الاخبار في العالم يملكها اسرائيليون ، فكان خير حل لهذه المشكلة ان يأتوا باليهود من اطراف الدنيا ليحلوهم ارض الميعاد ، فيربحوا مساعداتهم المادية والمعنوية ، ويؤسسوا « دولة فاصلة » بين الاقطار العربية ، ويبعدوا الفرنسيين عن ميناء النفط !

وبعد ، فكلمة تعليق :

ان اللواء مود قائد الحملة الانكليزية ، اذاع بلاغه التاريخي ، يوم دخل بغداد ، باسم مليكه والشعوب التي يحكمها ، ولم يقف وعده الامة العربية بالاستقلال ، وباستعادة ما كان لها من المجد والشهرة ، على رغبة الحكومة الانكليزية وحدها ، بل قال اللواء « المحرر » ان الحلفاء جميعهم مشتركون في تلك الرغبة ، و « متمنون .. » ذلك ، وهي ولا ريب ، اي الامة العربية — وقد سمعت الوعد

الشريف من دول شريفة تحارب لاجل الشرف — « ستنضم من اجل هذه الغاية الى دول التحالف » . وفي هذا الوعد وحده ، وهو صادر من شريف ، ومبني على فكرة شريفة ، حجة للامة العربية على انها « وعدت » بالاستقلال لقاء « جهادها ولقاء الدماء التي هدرها العرب » الى جانب الحلفاء لرفع النير الاجنبي عن عاتقها

اقول : ان وعد اللواء مود وحده كاف لان يكون حجة على القول بان العهود التي قطعها الحلفاء جميعهم للعرب بالاستقلال لم تكن لاقليم واحد من بلادهم ، ولا لقطر واحد من وطنهم ، كما يريد ان يزعم الصهيونيون والمتصهيونون ، واذنباهم وحلفاؤهم ، وانما كان ... للعنصر العربي كله ، ولقد اعلن ذلك الوعد على أهل بغداد على انهم عرب ، وجزء من كل ذلك العنصر ، وليس على انهم عراقيون . يسكنون ارض الاشوريين والكلدانيين ... ومهما قيل في « جنسية » ذلك الواعد وجنسية حكومته ، فالواقع الذي لا ريب فيه هو ان اللواء مود كان قائداً من قواد الحلفاء ، وان نطق بالانكليزية ، وقد تكلم باسم الحلفاء ، وان توج بلاغه باسم جلالة ملكه . وحجة ثانية للعرب في تأييد هذا الحق لهم ، هي ان سبق للحكومتين الانكليزية والفرنسية واتفقتا في عهدة سيكس بيكو على ان المفاوضات التي تجري مع العرب لاجل حدود الدولة ، أو اتحاد الدول العربية ، —

لبنان ، سوريا ، فلسطين ، شرقي الاردن ، العراق — تستمر جارية ، مع العرب ، في السبل عينها التي جرت فيها سابقاً باسم الحكومتين معاً ، اي باسم فرنسا وانكلتره . (البند الحادي عشر من عهدة سيكس بيكو) — فاذا لم يكن للعرب اي مستند في الدفاع عن حقهم في الاستقلال إلا هذا البند وحده ، من اتفاق لم يكن لهم فيه اي رأي ، لكفاه مستنداً « قانونياً » يعمل به في القول ان الحلفاء كانوا يفاوضون أبا الثورة القومية — رحم الله الحسين ! — على انه يمثل العنصر الذي يملك الاقطار المذكورة في العهدة ، وليس لانه شريف مكة فقط ...!

ثم هذه برقية وزارة الخارجية ، باسم حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، الى جلالة الملك حسين ، بعد وعد بلفور ، تنفي « مزاعم الدسائين الذين اوهموا العرب بان لدول الحلفاء مطامع في اراضيهم » و « تكرار الوعود السابقة المتعلقة بتحرير العرب ، مع العزم على الاستمرار في هذه الخطة ، خطة التحرير ، بشرف . — « بشرف » — وبما ان الحجاز والعراق قد تحررا من النير التركي فان الحكومة البريطانية ستساعد العرب الباقين تحت النير (في سوريا التاريخية) على نيل حريتهم !

فماذا يقولون بعد ؟ وماذا نقول ؟

ايها الاقوياء !

اتنا نخشى ان يأتي يوم ، يكتب فيه احد ادباء الامم المستضعفة
ما يرد به على الفيلسوف العربي الجليل ، الاستاذ امين الريحاني ،
فيقول :

انا الغرب : عندي طيارات ، ودبابات

وغواصات ، ونسافات

واختراعات واكتشافات

انا الغرب : عندي نفط ، عندي مال

علم ، فن ، واستقلال

فمن يبغني بها كلها ، بها ... كلها ...

ذرة ... صغيرة ... من الشرف !

انا الغرب ! ...



الهدية

تطائر شرر الثورة الروسية الى صفوف الجيش ، فنشبت ثورة شعبية ثانية في ٦ و ٧ ت ٢ (نوفمبر) تولى الشيوعيون على اثرها الحكم ، وبعثوا الى الدول المتحاربة بندااء جديد يدعونها فيه الى التفاوض في عقد الصلح ، قائلين : « ... ان حكومة مجالس العمال والفلاحين والجنود في روسيا ترى ان متابعة الحرب ، لاقتسام الدول الصغيرة المغلوبة على امرها ، بين الدول الغنية والكبيرة ، هي جريمة

كبرى على الانسانية . والحكومة تصرح علناً بعزمها على عقد صلح ينهي الحرب ، ويكون عادلاً لجميع القوميات » الخ ...

ولكن المتحاربين ، المتبرمين بويلات المجزرة ، والمتدمرين من فكباتها ، اصابوا بالصمم فلم يجيبوا ... انهم بكم ، صم ، لا يفقهون ! فاضطرت الحكومة الروسية الى عقد صلح منفرد في بريست ليتوفسك ، وتراجعت جيوش الروس من ميادين القتال

وكان نزاماً ان تنتشر الفوضى بعد تلك الثورة الاهلية الداخلية ، ولا سيما في اطراف المملكة ، فافقت الاطماع السكامة في صدور « قادة » الاتراك والالمان للاستيلاء على القوقاس ، منبع النفط الذي لا ينضب ، فكانت الثورة الروسية « حظاً » على الانكليز إذ ألهمت اعداءهم عنهم ، وقد اشار امير اللواء الالماني ليان فون

ساندرس في مذكراته الى ذلك الطمع الجنوني في فتح القوقاس ،
 في حين ان الخطر كان يهدد الاتراك في ساحاتهم ، في عقر دارهم ، فقال :
 « ... واعلمتني البعثة العسكرية الالمانية في الاستانة ، في مطلع ايلول
 ١٩١٨ ، ان الصحافة التركية كانت تعالج بلهجة قاسية جداً الاتفاق
 الذي عقده الالمان مع الروس في ما يتعلق بباكو (عاصمة ازربيجان ،
 وفتح القوقاس ، ومستودع النفط) وان تركيا تطلب توسط المانيا
 لتكون ازربيجان دولة فاصلة مستقلة ... ثم أنبت أيضاً بان
 مشاريع السياسة التجارية التي تقوم بها المانيا في بلاد القوقاس اخذت
 تصطدم بمضامع الجامعة الاسلامية التي ترمي اليها تركيا ، فخلقت
 تشادداً عنيفاً بين الامتين ... »

« ... وكانت الحكومة التركية تستند في مزاعمها الواسعة الى
 مذكرة من السفير البارون فون فانجنيم ، ما تزال صحتها تحت الريية ،
 ويرجع تاريخها الى سنة ١٩١٤ ، يستخلص منها اننا (الالمان) وعدنا
 الحكومة التركية باعطائها باطوم وخرس وقردين ثمناً لدخولها
 الحرب ، وهي تطلب الان ، بعد الانهيار الروسي ، اراضي اوسع في
 تلك المنطقة ... »

« ... ان تركيا لم تكن مهددة اقل تهديد بهجوم الاعداء ، لا
 في ازربيجان ولا في بلاد القوقاس ، ولقد اساءت اختيار الساعة في
 ايجادها جبهة جديدة تحارب الانكليز في ايران الشمالية ، مما سبب

ضعاف الجبهة التركية الثنوية بين الموصل وبغداد ... (١) الخ

وكان الصيف

وجرت فيه افطع المعارك الرهيبة التي عرفها التاريخ البشري ،
واخذ الموت يحصد مئات الالوف ، من جميع الصفوف ، وفي كل
مكان : في السماء والفضاء والماء ، واضطرت الدول المركزية لطلب
الهدنة ، الواحدة تلو الاخرى ، فعمدها الاتراك في ٣٠ ت ١ (اكتوبر)
بموجب عهدة مونديروس ، وكان امير البحر الانكليزي اللورد
كالثورب يمثل الحلفاء . فاين كان الجيش الانكليزي يومئذ ؟

انه كان في بلدة شرقا ، القائمة على انقاض مدينة اثور
التاريخية ، على بعد ١٣٥ كيلومتراً من ... من الموصل » ... وكانت
القوات البريطانية في خط قد ترك الموصل ، واربيل ، والسليمانية ،
خارج منطقة احتلالهم ... ولكن القائد مرشال (الانكليزي)
زحف الى هذه البلدان واحتلها ... بالرغم من ان الهدنة كانت قد
اعلنت ... وبالرغم من ان الواجب كان يقضي على كل جيش بالبقاء
في المكان الذي كان فيه ساعة اعلانها ! ... (٢)

(١) — خمس سنوات في تركيا : ص ٣١٠ و ٣١١

(٢) — من بيان فتحي بك ممثل الحكومة التركية امام مجلس

عصبة الامم المنعقد في بروكسل في ٢٧ و ٢٩ ايلول ١٩٢٤

يا عجباً !! ما بال الانكليز يعقدون الهدنة مع الاتراك ويتابعون زحفهم ، اي اعمالهم الحربية ، في الايام التالية حتى وصلوا الى الموصل واحتلوها ، وهي ليست « لهم » بموجب اتفاق سيكس بيكو ، فلا يحترمون توقيهم على ذلك الاتفاق ، ولا على عهد الهدنة ، في حين انهم صاروا في ساحة آمنة ، وفي عهد سلام ؟

بل ما بالهم يقيمون في فلسطين ويستأثرون بحكمها ، وكانوا قد اتفقوا مع الفرنسيين على جعلها منطقة رمادية تؤسس فيها ادارة دولية ؟ بل ما بالهم يلحقون بالجيش العربي في دمشق ويشاركونه ادارة « الاحتلال » ؟

بل ما بالهم يسبقون القائد الاعلى لجيوش الحلفاء ، امير اللواء الفرنسي فرانشي ديسبري ، فيدخلون الاستانة قبله ، ويستأثرون بالحكم فيها ؟

لانهم ... « يفهمون ! » ، وفي مناهجهم « مستقرون » ، ولان سياسة النفط ستكون الميزان لمصير هذه البلدان ، والنفط حياة الانكليز ، كل الحياة ، فلا أقل من وضع يدهم عليها ويثمايقرر مصيرها . ولا بأس ، ونحن على عتبة عهد جديد ، من أن نستعيد سريعاً بعض اعمالهم السياسية في هذه الاقطار :

وعد الانكليز العرب بالاستقلال واقتسموا وحلفاءهم الفرنسيين ، بعد سنة من ذلك الوعد ، بلاد

هؤلاء العرب الذين وعدوهم بالاستقلال !
 وكانت الموصل من الاراضي التي تتألف منها الدولة العربية
 المنوي تأسيسها
 ثم فكر الانكليز في الاستيلاء على الموصل لتكون من ممتلكاتهم
 المباشرة

ثم « تنزلوا » عنها للفرنسيس في اتفاق سيكس بيكو
 وكانت سوريا الجنوبية (فلسطين) من البلاد التي تتألف منها
 دولة العرب المقبلة
 ثم جعلوها في اتفاق سيكس بيكو « منطقة رمادية تؤسس فيها
 ادارة دولية ... يقرر شكلها بعدئذ بالاتفاق مع الحلفاء الآخرين
 ومع ممثلي شريف مكة »
 ثم اعلن الوزير الانكليزي بلفور وعده المشؤوم في ٢ ت ٢
 (١٩١٧) بجعلها وطناً قومياً لليهود
 ولما تم فصول المأساة !

واضطرت المانيا الى طلب الهدنة ، ورضيت مكروهة بالشروط التي
 املاها عليها الحلفاء ، فوقع عليها مندوبو المتحاربين ، في ١١ ت ٢
 (نوفمبر) ١٩١٨ في غابة كومبيين الفرنسية ، وكان يمثل الحلفاء
 قائد جيوشهم الاعلى المرشال فوش ، ورئيس اركان حربه القائد

ويغاند ، وامير البحر البريطاني السير روسلين ويميس (١) وسوام
من القواد البريين والبحريين ، وعبثاً حاول الوفد الالماني تخفيف
الشروط القاسية فلم يفلح ، فتقدم رئيسه الوزير ماتيا ارزبرجر من
الطاولة المطروحة عليها الهدنة ، وتناول القلم ، وقال لفوش عبارته
التاريخية : « ان شعباً من سبعين مليون رجل يستطيع ان يتعذب ،
ولكنه لا يموت ! »

ووقع على صك الهدنة . وسكت صوت المدفع في جميع الميادين !

صمت الموت ، وافتر ثغر اوروبا ، لأول مرة بعد عبوس اربع
سنوات ، عن بسملة الراحة ، والسرور ، و... الامل ! فذرفت
دموع الفرح ، وغمر العالم خيال الاحلام ، يقبل الايامى والايتم ،
ويعزي المنكوبين !

وبعد عشرة ايام على التمام (في ٢١ ت ٢) كان ملوك النفط
مجتمعين في لندره يحتفلون بختام « مؤتمر النفط بين الحلفاء »
اذ أدبت لهم الحكومة البريطانية وليمة عشاء في « لانكستر هوس »
حضرها الشيخ هنري بيرنجه ممثل فرنسا في المؤتمر ، واللورد

(١) ليحفظ القاريء هذا الاسم فان صاحبه لعب دوراً خطيراً
في السياسة العربية منذ الثورة الاولى في الحجاز وهو من اقطاب
النفطيين في العراق وستحدث عنه في الكتاب الثاني

كوردن وزير الحرب الانكليزي ، والسيد ولتر لونغ وزير المستعمرات
البريطانية والنفط ، وشارل غرينوي ، وديتردينغ ، وشريكه
الاسرائيلي مرقس صموئيل (عم السير هربرت صموئيل) وسواهم
من رجال الملاحة البريطانية والجيش والطيران الخ فالتقى اللورد
كوردن خطبة « انكليزية » عن اهمية السائل الاسود ، والدور
الخطير الذي قام به في سنوات القتال ، وذكر الصعوبات التي ذلها
النفطيون في طريق الحلفاء ، مشياً عليهم (١)

ووقف الشيخ بيرنجه ممثل فرنسا ، يتكلم بدوره ، فقال بعد
مقدمة طويلة : « . . . أجل لقد انتصر الحلفاء ، في هذه المجزرة ،
انتصاراً كبيراً يضاهي كبر مبادئهم ووسائلهم ، ولكن النصر لم يكن
ليتم لولا ذلك العنصر الحيوي الذي ساعدنا على قهر الجرمان ، لقد

(١) في منتصف سنة ١٩١٧ ألف الحلفاء جمعية نفط مشتركة
برئاسة الاستاذ السير جوهن كادمان الانكليزي ، لتأمين جيوشهم
من الحصول على المواد اللاهبة على اختلاف انواعها ، وكان على هذه
الجمعية ان تمول اساطيل الحلفاء البحرية والجوية والنقالة بالمبشرين ،
وتمول المصانع الحربية ، والاهلين في جميع مدن الاحلاف ، بما تحتاج
اليه من النفط . فليحفظ القاريء اسم السير كادمان لانه احد ابطال
تقرير مصير العرب ، ومن ملوك نفط في العراق

انتصر الحلفاء بدماء جنودهم ، ولكن النصر لم يكن ليتم لولا ذلك
الدم الاخر الذي اسمه : النفط

« ... وكان الفضل في ذلك للشركات الكبيرة كشركة الشل ،
وشركة النفط الاسيوية ، والسندارد اويل ، والمكسيكان ايفل ،
والانكلوبر شيان ، واخواتها وشريكاتها في البر والبحر ... وسيدكر
التاريخ ، باعجاب وتقدير ، مساعيها لاجل القضية البشرية ، ويذكر ،
بشرف ، مديرها العظام : ديتردينغ ، وغولبنكيان ، وبدفورد ،
وكوردي ، وغرينوي ، الذين سيدكرهم اطفالنا ابدأ في مقدمة
محرري المدنية ! ... »

وبعد ان خص الخطيب كل شركة وكل مدير بما قام به من
« خدمات » نفطية للحلفاء ، وقد اسهب في الاطراء ، نظر الى من
حوله قائلاً : « ... والان ، ايها السادة ، يجب علينا ان نظل
حلفاء واصدقاء ، في الهدنة كما في الحرب ، لان الهدنة لم تنه الحرب
بعد : ولا يزال المنتصرون بحاجة ... الى النفط .

« ... ان فكرة عصبة الامم هي فكرة سامية ، وخيال نبيل ،
ولكني من الذين يعتقدون بان هذه الفكرة لا يمكن تحقيقها الا
بعصبة ثانية من الحلفاء تضم «اصحاب المواد الاولية » ، فيجب علينا
ان نظل حلفاء في انتاج هذه المواد واقتسامها ، كما كنا حلفاء في
التضحية والبطولة ، لاجل عدل اعظم ، واستقلال اسمي ، بالرغم من

سيطرة البعض (تصفيق)

«... واذا كان النفط دم الحرب، فاحر به ان يصير دم السلام،
وانى لارفع كأسى على شرف سياسة الحلفاء النفطية ، التي يحققها
تضامن حكوماتهم وصناعيهم » ! الخ (تصفيق طويل)

ما هذه النعمة الجديدة يا اخا العرب ؟
علام يطلب الشيخ بيرانجه استمرار تضامن الحلفاء ، حكومات
وصناعيين ، في السياسة النفطية ؟
علام ذلك الخوف الذي يبدو جلياً من خلال قوله : « يجب
علينا ان نظل حلفاء واصدقاء في الهدنة كما في الحرب ، وان نظل
حلفاء في انتاج المواد « الاولى ... » واقتسامها كما كنا حلفاء في
التضحية والبطولة ؟ »

هل من خطر على الحلفاء ، وهم الان في قلب ميدان الانتصار ؟
نعم انهم ، بل ان فرنسا في خطر ، قاتل الله محتكري النفط !

الوطن الاثوري في ... الموصل

دخل الانكليز الموصل وتولى الزعيم العسكري ليشمان حكمها باسم صاحب الجلالة الملك جورج الخامس (وليس باسم الحلفاء!...) وكان العالم بأسره في فوضى ، فليس من يهتم لاعمال زعيم في اطراف المعمور ، او يراقب ادارة مدينة نائية عن العالم ، فشى الرجل الى تحقيق فكرة جديدة لم تكن لتخطر ببال أحد ، ولم يسمع بها أحد حتى في اوروبا

خيراً ، ان شاء الله ؟

وهل من الانكليز غير « الخير » ؟

كان عرب الموصل يرتقبون دخول الجيش الحليف بفارغ الصبر ، لان فيه احرارهم ، ولان الموصلين كانوا سيف البعث العربي . يوم كان احرار العرب يفكرون في الثورة قبل المجزرة ، وحسبنا ان نذكر نوري السعيد واخوانه من تلك السيوف لنعلم اي قسط حمله احرار الموصل في الجهاد القومي يومئذ

وفيما عرب الحدياء يعملون النفس باستعادة مجد الرشيد والمأمون ، اذا بالزعيم (الكولونيل) ليشمان يفاجئهم بنعومة وابهام ، بخطط الفكرة الجديدة التي لم تكن لتخطر ببال احد :

صدرت في الموصل جريدة باسم « الموصل » على انها لسان

الاحتلال ، فكانت تنشر الاوامر والانباء المتعلقة بإدارة البلاد ،
وتنقل الى الموصلين برقيات مؤتمر الصلح ، وتنشر من وقت الى آخر
ابحاثاً واخباراً عن ... وطن الاثوريين ! ...
ماذا ؟

وطن ... الا ... ثو ... ر ... يين !

وما هذه النعمة يا جماعة ... الخير ؟

وطن ... الا ... ثو ... ر ... يين !

وما معنى هذه الكلمة ايها السادة ؟

اوه ... عجيب امركم يا ابناء الموصل ! عجيب جهلكم ياسكان
فينوى ! ألا تعلمون انكم احفاد اولئك الجبابرة الذين بنوا أقدم المدن
في العالم ، وشيدوا اروع المدنيات ؟ اوه ... ياسكان الموصل ، عجيبة
غفلتكم ، وعجيب جهلكم تاريخكم - « القومي » - انتم احفاد
الاثوريين والسكديانيين الذين شادوا مجد نينوى ، فهلا تذكرون ؟
... ولكن ايها الحلفاء ، ايها الاصدقاء الذين « دخلتم بلادنا

محررين لا فاتحين ، وقد جعلتم نصب اعينكم ان لا تذهب دماء
العرب الذين حاربوا في صفوفكم هدرأ ، وجهادهم باطلا ، بل انكم
... جميع الحلفاء ... تتمنون للعنصر العربي ان يستعيد ما كان له
من المجد والشهرة بين امم الارض » ، ايها السادة الذين خاطبنا قائد
حملتكم مود يوم دخل بغداد بتلك اللغة الانسانية الشريفة ، وارتقبنا

تقدومكم على ذلك الرجاء ، نحن هم « العرب الذين تغنيتم بفلاسفتنا
بوشعرائنا ، وسابق تراثنا ، وباسق تراثنا » - نحن هم العرب

— لا ... اتم : ائو ... ر... يون

ولكن ، ايها السادة ، نحن ، والله العظيم ، عرب ! نحن احفاد
الحزرجيين ، والازديين ، وبني تميم ، وتغلب ، وبني قيس المضريين
الذين رحلوا الى هذه البلاد منذ الفتح العربي (الاسلامي) وسكنوها ،
ولم يكن في الموصل يومئذ « الا محلتان ، يسكن احدهما المجوس من
الفرس ، والاخرى يسكنها الجرامقة النصارى » (١) وهذه لغتنا
ولهجتنا ، الا تسمعون فيها الكشكشة ؟ (٢)

— لا ... اتم : ائو ... ر... يون

— ولكن ، ايها الحلفاء الاصدقاء ، نحن ، بالله الكريم ، عرب !
مننا الحمدانيون اصحاب السيف والقلم ، وبنو عقيل ، ومننا الاعشى
التغلي احد شعراء الدولة الاموية ، وابو نؤاس ، وابو فراس ،
والخالدian ، و ... و ...

— لا ... اتم : ائو ... ر... يون

(١) تاريخ الموصل ، ج ١ ، ص ٥١ و ٥٢ ، وتاريخ الكامل

لابن الاثير ، وابن خلدون ج ٢ ، ص ٦٨

(٢) زيادة الشين بعد اللام المكسورة ، وهي اللهجة التي عمت

الموصل من بني تميم ، وما يزال يلفظها ابناؤها حتى اليوم .

— ولكن ايها السادة ، نحن مسلمون ، مؤمنون بالله ، مؤمنون
بكتبه ورسله ، مؤمنون باليوم الآخر !

— شت اب ! ... اتم جهلة ، حمير ... لا تعرفون تاريخ
بلادكم ... نحن عملنا الحرب ونفهم اكثر منكم !
اللهم حنانيك ، فقد حسبنا كل حساب الا هذا الذي اتونا به في
آخر يوم !

عندما سافرت الى العراق في ختام هذا الصيف ، وزرت مناطق
النفط ، لفت نظري وجود ما يسميه الاستعمار « اثوريين » في
جميع تلك المناطق : في كركوك « اثوريون » ، وفي الموصل
« اثوريون » ، وفي خانتقين « اثوريون » ، وفي كل منطقة نفط
أثر من اثور . فلما وصلت الى الموصل زرت كاهناً عالمياً جليلاً ، هو
مسيحي كاثوليكي ولكنه ... وطني عراقي يؤيد الفكرة العربية ،
وله مؤلف في تاريخ بلاده ينم عن تفكير صحيح وشعور قومي
يأبى ذل الاستعباد ، زرت هذا العالم الفاضل راغباً في ان يكون
مرشدي في الشؤون التي جئت الموصل من اجلها ، ومنها قضية
الاثوريين « فكان خير مرشد أمين . وزارني يوماً في المنزل وتحدثنا
عن الاقليات المسيحية في مملكة مسلمة ، وبحشنا في الطرق التي
يجب على النصارى اتباعها ليكونوا عنصراً كريماً في هذه المملكة ،

ليكونوا نافعين ومشتفعين ، فسمعت منه نعمة أشهد بالله بانها من انبل ما سمعته في هذا الموضوع الدقيق . ولقد ذهب الكاهن الكاثوليكي المسيحي الى القول بانه يرى ان على النصارى في الشرق العربي ان يخلصوا لبلادهم حتى ... التضحية !

فقلت لزميري الكريم : ولكن المار شمعون يا محترم لا يذهب مذهبك الشريف في تفكيرك الوطني فاجاب الكاهن الجليل بما لا اذكره (...) ولكني انتقل عنه حادثة تاريخية رواها لي في صدد حديثنا عما اسماه الاستعمار البريطاني بالوطن الاثوري ، قال :

« عند ما صدرت جريدة « الموصل » كان الكولونيل ليشمان يوعز الى محررها بان يعني عناية خاصة بنشر « اخبار اثورية » ، وان يطلق على الانسة سورما ، عممة الفتى المار شمعون ، لقب صاحبة السمو الاميرة الاثورية (S. A. La Princesse Assyrienne)

« وطلب الزعيم الانكليزي ذات يوم محرر الموصل وقال له :
« انشر في العدد الاتي ان صاحبة السمو الاميرة سورما موجودة الان في لندرة ، قد زارت المراجع الحكومية العليا وقابلت اولى الشأن فيها ، طالبة منهم تحقيق الوعود التي قطعها الانكليز لمواطنيها في اثناء الحرب ، بانشاء وطن قومي للاثوريين الكلدانيين في العراق

الشامي (الموصل وجوارها)

« واستغرب الصحافي — وهو كلداني المذهب — اقوال الزعيم
 ليشمان فنفي وجود قوم باسم الاثوريين ، ووجود اميرة عليهم ،
 واخذ يشرح له حقيقة هؤلاء الاكراد المتصرين بالمذهب النسطوري ،
 وانهم ليسوا من الاثورية الكلدانية في شيء ولكنهم اكراد... ونصح
 للزعيم ليشمان بوجوب السكوت عن هذه النعمة لانها توجد شقاقاً
 بين سكان الموصل من مسلمين ومسيحيين ، ومن مسيحيين فيما بينهم ،
 لان نصارى الموصل انفسهم كانوا منذ القدم حتى الان ينظرون الى
 هذه الفئة من الاكراد المتصرة بشيء من الاحتقار ، فابى القائد
 الانكليزي الا الاصرار على رأيه . » اهـ

—*—

ليس في هذه السطور متسع لشرح حوادث التيارين المعروفين
 خطأ باسم « الاثوريين » ، ولا يفسح المكان لتحليل تلك الحوادث ،
 والرجوع بها الى اسبابها ومصادرها ، وعرض غاياتها ، لان مثل
 هذا البحث يتطلب مجلداً ضخماً ، ولكننا مضطرون الى ذكر شيء
 عن التيارين في معرض كلامنا عن النفط ، لانهم والنفط ركن
 من اركان الاستعمار في العراق ، ولا ريب بانهم مكرهون على ذلك
 ومسيرون فيه ، عامتهم لا خاصتهم ، شأن الجماهير الجاهلة من الاقليات في العالم :
 لقد لعب الاستعمار أدهى لعبة في حوادث التيارين ، وكاد ينجح

فيها على طول الخط ، وذلك انه صور تلك القبائل الكردية
النسطورية للرأي العام العالمي بانها : « امة » ذات تاريخ قومي مجيد ،
ولم يكتف الاستعمار النفطي بنسبة هذه القبائل الى الاثوريين
والكلدانيين ، اصحاب التاريخ الابليج في الحضارة ، يوم كان العالم
يتسكع في دياجير البربرية والظلام ، بل انه مسحهم بزيت الميرون
المقدس ، ورسم على صدورهم شارة الصليب العزيز ، وقال للرأي العام
المسيحي في الدنيا : « ان هؤلاء الاثوريين هم اخوتكم في المسيح ،
انهم مظلومون ، مضطهدون ، تدبجهم الاكثرية المسلمة تعصباً وبغضاً
وانتقاماً ! »

ولعمري ، لا اعرف سبباً يدفع بالاسلام للتعصب والبغض والانتقام ،
وقد كان باستطاعته ان يأتي ذلك منذ عشرات القرون ، وهذه تعاليمه
صريحة لقوم يعقلون .

ولكنه الاستعمار ايها القاريء ، الاستعمار الذي يحلل لنفسه ما
يحرمه على الشعوب الضعيفة ، الاستعمار الذي يبيع لنفسه ما يأبأه
علينا ، يجعل له من الاسود ابيض ، ويقول عن ابيضنا اسود ! ...
اما القبائل التيارية ، تلك القبائل الساذجة التي ظلمها الاستعمار ،
وجعلها حطباً لموقدة مطامعه ، فهي لم تكن يوماً بوارثة الامة الاثورية ،
ولا تعرف اثور وكلدية . وانما هي كردية لحماً ودماً ، وقد اعتنقت
المذهب النسطوري فكانت مسيحية بقدر ما تكون قبائل البدو

الرحل مسامة ... واذا كان الاستعمار الغربي لا يثق بصحة اقوالنا
 لاننا عرب « متأخرون ، جاهلون ، متعصبون » فاننا نأتيهم ببرهان
 منهم ، وهم المتمدنون ، المثقفون ، المتساهلون ، ونستشهد باحكام
 مستشرقينهم ورسلمهم الذين اوفدتهم حكومات الغرب الى الشرق
 خصيصاً لدرس احوالنا ، و ... « لغير » درس احوالنا ، على ان
 القبائل التيارية التي « أثوروها » انما هي كردية :

في النصف الاول من القرن التاسع عشر جاء الى الشرق عالم
 غربي مشهور ، اسمه ميشو ، ليدرس البلاد التي دخلها الصليبيون
 وعاشوا فيها ، وقد وضع هذا الرحالة العالم كتاباً عنوانه « رسالة
 الشرق » ثم جاء على أثره رحالة آخر يدعى باتيستان بوجولا فطاف
 بالبلدان التي لم يتمكن سلفه من زيارتها ودرس شؤونها ، ووضع
 بوجولا كتاباً في مجلدين ، تمة لكتاب الاستاذ ميشو ، طبعه في
 بروكسل سنة ١٨٤١ ، وهو مؤلف قيم يهم كل من يعني باتجاه
 الاستعمار الغربي في السلطنة العثمانية . ولقد زار الرحالة بوجولا من
 جملة البلدان التي زارها ، جبال الاكراد في العراق ، وكان الاكراد
 يومئذ في حرب ضروس مع الاتراك ، فكتب عنهم فصلاً مسهباً في
 مؤلفه قال فيه :

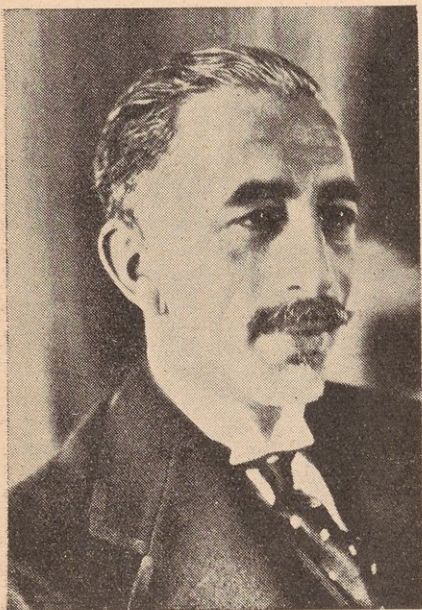
« ... والشعب الكردي يبلع ثلاثة ملايين نسمة ، منهم مئة الف

نصارى نستوريين ... يخضعون لبطيركين وراثيين ، يطلق دائماً

على احدهما اسم مار شمعون ... وابن الاخ البكر هو الذي يرث
 عمه في الكرسي البطريركي .. ويتفق بعض الاحيان ، بحكم نظام
 هذا الارث ، ان يتولى البطريركية طفل في الثانية او الخامسة عشرة
 من طفولته ... واساقفتهم يعيشون في جهل مطبق ، واما عامة
 الاكليروس فتكاد تستطيع القراءة ... ولم يكن لهؤلاء الاكراد
النصارى علاقة كبيرة بالحرب التي اثارها (اخوانهم) الاكراد
المسلمون على الاتراك « اه (١)

وليس في كلام الرحالة بوجلا عن الاكراد النصارى موضع
 للعجب ، لانه حقيقي ومبني على العلم الصحيح ، ولكن العجب كل
 العجب ان يأتي احفاد بوجلا فينقضوا كلامه العلمي الصحيح
 ويجعلوا من الاكراد النسطوريين « امة » لها تاريخها القومي ...
 اهدافها وامانيها القومية

ولا بأس ان استشهد في هذه المناسبة بعبارة لكاهن كاثوليكي
 عالم ، قالها لي ونحن على انقاض نينوي في شرقي الموصل ، وقد كنا
 في تلك الزيارة برفقة الوجيه الكريم احمد بك الجليلي نائب الموصل
 ورئيس بلديتها السابق ، وكنا نتحدث عن مطوحات الاستعمار في
(١) رحلة بوجولا في الشرق الادنى ، طبعة بروكسل سنة

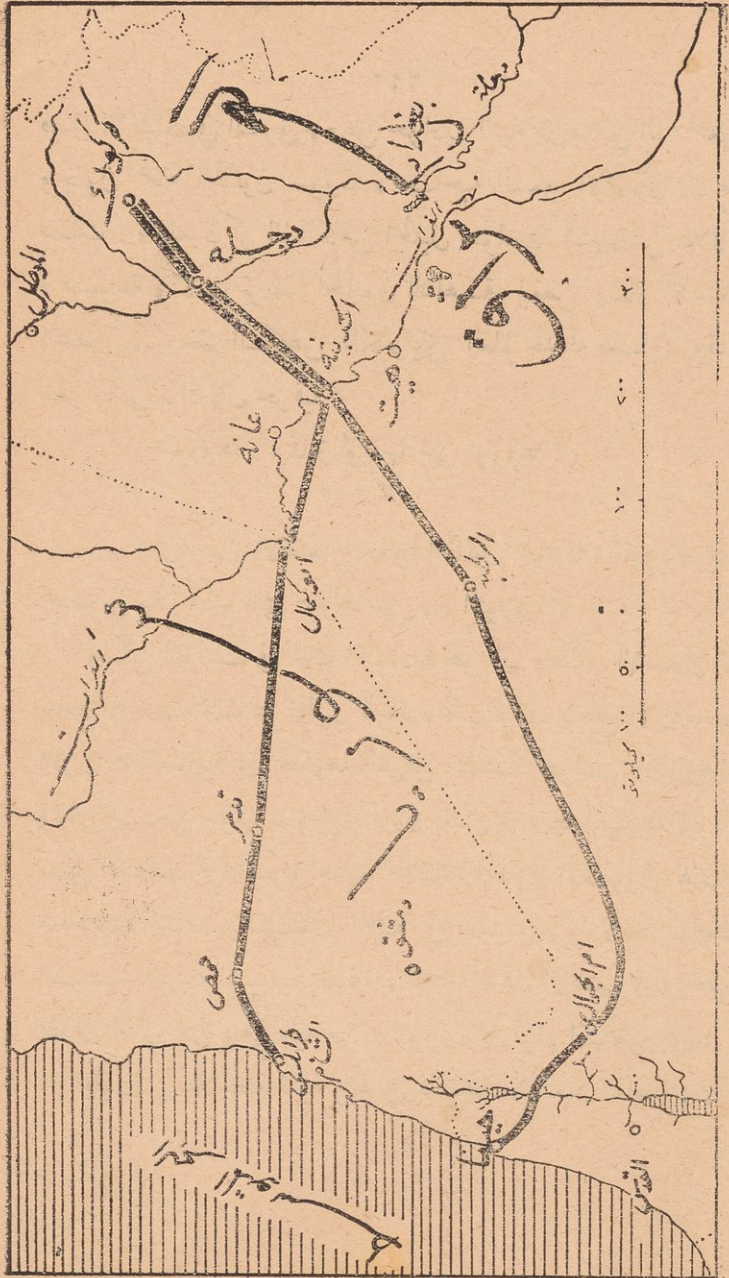


جلالة الملك فيصل الذي منحت في عهده
امتيازات النفط في العراق



المهندس دريسكل يحفر الابار في كركوك
وهو من اعظم مهندسي النفط في العالم

خط الانابيب من كركوك الى البحر المتوسط ، وفي الحديثة يفترق الخط الانكليزي
 عن الفرنسي ليصب الاول في حيفا والثاني في طرابلس



قضايا الاقليات في الشرق ، وعن حوادث التيارات وحرق المار شمعون وجنون عمته الخاتون سورما « صاحبة السمو الاثوري — من فضلك ! » فقد ذكر لنا الكاهن الجليل حوادث كثيرة عن علاقات « مشبوهة » كانت تربط الخاتون الداهية ببعض رجال الاستعمار النفطي ... وختم الكاهن الكاثوليكي العالم حديثه بعبارة اوقفت شعر رأسي ، اذ قال حرفياً :

— « اثوروها ، وما زالوا بها حتى ثوروها ! »

— ؟ ؟

— « ان رجال الاستعمار جعلوا الخاتون سورما « اثورية » وظلوا يحقنونها بهذا السم حتى حملوها على ... الثورة ! »
ولكن المؤسف في تلك الحوادث هو ان دهاء الاستعمار كاد ينبجح في لعبته تلك على طول الخط ، قلت « كاد ينبجح » لان صحفه اثارت حملة صليبية على حكومة العراق بمناسبة حوادث التيارات ، واخرجت من جوفها ما « يليق » بان تغسل به وجه اسيادها ، وتأثر بعض الصحف في الشرق بتلك الحملة ، فجارى المتعصبون هنا ، معلمهم هنالك ، واستيقظت الفتنة في النفوس ، ولولا جرأة بعض الصحف العربية المسيحية العاقلة ، لنجح الدهاء الاستعماري في تحقيق الهدف الذي كان يرمي اليه من « ثورة » الاكراد النسطوريين ! .. بقيت لي ملاحظة ثانية تزيد في فضيحة الاستعمار الداهية :

ان الاكراد « اثيروا » - ولا اقول ثاروا - على الحكومة
 « الوطنية » في العراق مراراً وكادت تنحصر ثوراتهم في المناطق ...
 النفطية ، او في المناطق القريبة من ينابيع النفط ! ومن يتتبع
 حوادث التاريخ بدقة وروية يلاحظ ان تلك الثورات كانت تعلن
 دائماً في مناسبات لها علاقتها بـ... النفط !! وقد اثرت تلك القبائل
 مراراً وكانت حوادثها خطيرة ، ولم يبال بها الرأي العام المتمدن ، في
 حين ان القائمين بها كانوا ذوي عدد ضئيل ، وكانت لهم معارك
 وملاحم مع الجيش ، ولكن الاكراد لا يهتمون بالرأي العام « المتمدن »
 على ما رأينا في تلك الحوادث ، ولا وزن لهم في ما تقول له تعاليم
 الغرب « وجدان البشرية ! ... » ولكن دهاء الاستعمار عرف
 — متأخراً — كيف يقيم الارض ويقعدها على الحكومة العراقية
 وعلى دعاة الفكرة القومية العربية إذ « أثور » القبائل التيارية
 الكردية النسطورية ، واستغاث بالاساقفة والقسيسين ، وبجيوشهم في
 سائر انحاء الارض ، ليعطفوا على « بقايا اشرف امة في تاريخ الحضارة
 القديم » وما ذلك الا ليشوهوا سمعة الحكم الوطني في العراق
 وليحملوا اوربا واميركا على الاعتقاد بان العرب قوم متعصبون ،
 متوحشون ، لا يستحقون الاستقلال ! ...

ونتيجة تلك الاعمال كلها ان يتمكن الاستعمار من حكم البلاد
 مباشرة ، والاستيلاء على كنوزها وخيراتهم ، واثن تلك الكنوز: النفط !

كيف تكون النفط

لقد اختلف العلماء كثيراً في اصل نشوء هذه المادة فمنهم القائل بانها تكونت داخل الارض بنتيجة تفاعل كبريدات المعادن (١) مع الماء ، ولكن الثقة بهذه النظرية ضعيفة جداً . والمتعارف الان هو ان النفط نشأ عن اصل عضوي ، والنظرية الحديثة والشائعة عن اصل تكون هذه المادة هي ان البترول نتاج التقطير الاتلافي الذي يصيب البقايا الدهنية من الحيوانات البحرية المنشرة في الطبقات السفلى من القشرة الارضية ، ومما يؤيد هذه النظرية اكتشاف آثار عديدة لبعض المتحجرات الحيوانية (Fossils) بالقرب من الطبقات النفطية . ولدى شركة النفط العراقية متحف صغير لبعض المتحجرات الحيوانية المختلطة والتي عثر عليها اثناء البحث عن النفط في بعض جهات العراق . ولو اخذ شيء من الطبقة الطينية ، والتي تأتي قبل الطبقة النفطية بقليل ، وفحصت بمجهر قوي لامكن

(١) الكبريد هو مركب لاي عنصر مع الكربون اذ ان الكربون يكون مركبات عديدة باتحاده مع العناصر المختلفة وفي هذه الحالة يشابه الاوكسجين حيث ان الاخير يكون باتحاده مع اموال كبات تعرف بالاكاسيد

مشاهدة اشكال متحجرة لحيوان بحري يعرف بالفورا مينيغرا بكل وضوح ولما كانت القشرة التي تكسو جلد هذا الحيوان البحري تتكون من كبريتات الكالسيوم (الجفصين) فوجود هذا المركب في انحاء عديدة من القطر العراقي وبصورة خاصة في المناطق النفطية من المملكة لدليل قاطع على ان النفط العراقي يتكون من هذه الحيوانات . ومما يعتقد علماء الجيولوجيا الذين قاموا بالتنقيب عن النفط في المملكة العراقية ان هذه البلاد كانت في قديم الزمان مغمورة بالماء حيث كان الخليج الفارسي يمتد الى شمال العراق ، وكانت هذه الحيوانات المجهرية (الفورا مينيغرا) موجودة بكثرة في هذه المياه . فكانت تكون على بعضها وعلى عمر الازمان بموتها التدريجي المستمر متراكمت عديدة . وبانسحاب البحر بقيت هذه المتراكمت الحيوانية مع سائر الحيوانات البحرية الاخرى ، فاندثرت في التراب ، وبتأثير حرارة الارض وضغطها تقطرت وتحولت الى قطرات نفطية صغيرة اخذت تنساب في القشرة الارضية ، كلما وجدت وسيلة للنفوذ ، حتى وصلت الى طبقة مائية بقيت عائمة فوقها ، وهذا ما يجعلنا ان نجد النفط فوق الماء دائماً عند الحفر للبحث عنه

استخراج النفط

عملية حفر البئر النفطي من اعم العمليات واشقها في صناعة النفط ،

وتحتاج الى شيء كثير من الدقة والمهارة ، والتي لا يمكن الحصول عليها الا بكثرة الممارسة ، وذلك ما يجعلنا ان نشاهد الحفارين غالباً يتقاضون اضعاف الرواتب بين عمال الشركات النفطية . وتلخص عملية الحفر بما يلي :

بعد ان يعين جيولوجي الشركة البقعة التي يجب ان تباشر عملية الحفر فيها — بدراسة سطح المنطقة النفطية والتربة في اعماق مختلفة من القشرة الارضية — يتقدم الحفار ويركب عدته . وتكون هذه العدة من هرم ناقص مرتفع ، في اعلاه « بكرات » تمر عليها اسلاك تحمل آلة الحفر ويتصل طرفها الثاني بالآلة البخارية التي تقوم بتحريك الحفارة ، والحفارة على انواع اشهرها يتكون من اسطوانة من الحديد الصلب تنتهي بنهاية حادة — كحافة القدوم — مشروحة من الوسط ومثقوبة ثقباً طويلاً . اما طريقة الحفر فيشرع بها بحفر حفرة واسعة دائرية قطرها نحو ٢٤ انجاً ، ثم يركز فيها « انبوب » من الحديد الصلب يبلغ قطره نحواً من ٢٠ انجاً وارتفاعه بارتفاع انبوب الماء الاعتيادي اي ١٨ قدماً وتمر داخل هذا الانبوب الحفارة المذكورة اعلاه ، ويحكم السد من اعلى بحيث لا يدع مجالاً للهواء لان يدخل من بين فوهة الانبوب ورقبة الحفارة . اما السطح الخارجي من الانبوب فيحيط به اطار يثبت في الارض تثبيتاً

محكماً بواسطة السمنت (التراب الافرنجية) وتتصل الفوهة العليا ،
 ثقب الحفارة الطولي ، بمضخة تكبس خليطاً من الماء المسخن
 والتراب ، وتوصل مضخة ماصة كابسة بفتحة اخرى كائنة في الاطار
 المحيط بالانبوب من الخارج . وتجري العملية برفع الحفارة الى اعلى ،
 واسقاطها ، وتحريكها حركة نصف دائرية بعد السقوط ، بواسطة
 ما كنة بخارية ، فتتخلخل اذ ذاك الطبقات الارضية ، ويختلج
 التراب الناتج من ذلك مع خليط الماء الحار والتراب المكبوس ، ثم
 ينسحب الى الخارج بواسطة المضخة الماصة الكابسة ، وبهذه الطريقة
 يفتح مجال للانبوب للسقوط الى اسفل تدريجياً بحكم ثقله ، وكما
 انتهى انبوب ربط به انبوب آخر اضيق منه حتى تصاب الطبقة
 النفطية . وقد يعثر على النفط احياناً في اعماق لا تتجاوز بضعة مئات
 من الياردات ، كما انه قد يحتاج احياناً الى الحفر لا اقل من الف
 يارد للحصول عليه . اما في العراق فتتراوح اعماق الآبار من الف
 وخمسمائة الى الف يارد ، ويستغرق حفر البئر الواحدة بين الاربعة
 والستة الاشهر ، على ان تستمر العملية ليلاً نهاراً

خواص النفط الخام

النفط الخام سائل غليظ لونه اصفر او اسمر ويكسبه الضياء
 المعكوس على سطحه لوناً مخضراً في عين الناظر ، وهو اقل كثافة

من المساء حيث يطفو فوقه . والنفط خليط من ايدرو كاربونات (ايدروجينات مكرنة) متفاوتة في الكثافة ، فمنها ماهي غازية سريعة الالتهاب ، ومنها ماهي سائلة او صلبة ، ولذا لا يمكن استعماله في حالته العادية لاي غرض من الاغراض . ولا بد من فصله الى اجزاء مختلفة وتصفيته قبل الاستعمال

التصفية

تلخص عملية التصفية بما يلي :

١ — تجزئة النفط الخام الى اضعاف مختلفة ، ويكون ذلك بتقطيره من اوعية حديدية في درجات حرارة مختلفة ويجمع القطر على اجزاء . والمتقطر بين درجتي ٧٠ — ٩٠ مئوية يعرف بزيت الطيران (بنزين الطيارات) والمتقطر بين درجتي ٨٠ — ١٢٠ مئوية يكون بنزين السيارات العادي . والمقطر بين درجتي ١٥٠ — ٣٠٠ مئوية يعرف بالكيروسين او نفط الاضاءة . وما يبقى من ذلك يعرض للبيع كسفت اسود يستخدم للوقد في الآلات ، او يفصل الى اجزاء اخرى كدهان الآلات والفازلين والبارافين وغير ذلك

وعلاوة على عملية التقطير ، يجب اجراء عمليات اخرى في حالة السوائل الثلاث الاولى (اي بنزين الطيارات والبنزين العادي وبنفط

الاضاءة) وذلك لازالة اي اثر لمفعول قلوي او حامضي مما قد يؤثر
في الآلات فيتلغها (١) .

(١) كان من الواجب علينا ان نستهل كتابنا بهذا البحث ،
ولكن خوفنا من تبرم بعض القراء بالابحاث العلمية والتكنيكية
اضطرننا الى تأخيرها الى الخاتمة . وقد نقلناه عن كتاب « الكيمياء »
للمربي الفاضل الاستاذ تحسين ابراهيم ، مفتش المدارس المتوسطة في
العراق ، وقد وجدنا ابهاماً وبعض اخطاء في المقدمة التاريخية التي
كتبها الصديق الكريم لهذا الفصل ، نرجو ان يصححها في الطبعة
المقبلة .

امتياز دارسي

جرى هذا العقد بين حكومة جلالة شاء ايران الفريق الاول
ووليم دارسي الملاك المقيم في لندن في ساحة كروسفة نور رقم ٤٢
ويسمى بعد هذا صاحب الامتياز الفريق الثاني وقد قررا
واتفقا على ما يأتي :

المادة (١) تمنح حكومة جلالة الشاه صاحب الامتياز الخاص
والمنحصر في البحث والتقيب عن الغاز الطبيعي والبتول (النفط)
والاسفلت (القير) والاوزكة ريت (حجر الشمع) في جميع انحاء
المملكة الايرانية واستحصال هذه المواد والاستفادة منها وتنميتها
وجعلها صالحة للتجارة وتصديرها وبيعها الى مدة ستين سنة تبتدىء
من تاريخ هذا العقد .

المادة (٢) يشمل الامتياز الحق المنحصر لمذ الانابيب اللازمة
لهذه الاعمال من الاماكن التي قد يوجد فيها مادة واحدة او عدة
مواد المذكورة اعلاه الى خليج فارس مع ما يتفرع على ذلك من
التشعبات الضرورية للتوزيع وكذلك يشمل حق حفر آبار وبناء
خزانات ومحطات واستعمال مضخات للاذخار والتوزيع وتأسيس
معامل وسائر الاعمال والمؤسسات التي تقضي الحاجة اليها .

المادة (٣) تمنح حكومة ايران صاحب الامتياز حق التصرف

تجانباً لجميع الاراضي غير المزروعة العائدة للحكومة التي يراها مهندسو صاحب الامتياز بانها ضرورية لبناء الاعمال الآنفة الذكر او قسم منها واما الاراضي المزروعة والعائدة الى الحكومة فيجب على صاحب الامتياز ان يشتريها ببدل المثل الرائج في تلك الولاية .

وكذلك تمنح الحكومة صاحب الامتياز حق استملاك جميع الاراضي الاخرى والابنية اللازمة لنفس المقصد وتتعهد بموافقة اصحاب الاملاك على الشروط التي تقرر بينه وبينهم بدون ان يسمح لهم بطلب قيمة فاحشة تزيد على القيم الاعتيادية الرائجة لمثل هذه الاراضي في مناطقهم المخصوصة

وتستثنى من ذلك بتاناً الاماكن المقدسة وجميع متعلقاتها مع ما يحيط بها من الاراضي حول نصف قطر طوله ٢٠٠ ذراع ايراني

المادة (٤) لما كانت منابع البترول الثلاث الكائنة في شستر وقصر شيرين (في ولاية كرمانشاه) وداليكي القرية من بو شهر قد اعطيت بالالتزام لبعض الاشخاص وكانت تنتج للحكومة دخلاً سنوياً قدره الفاً تومان انفق على ان تكون هذه المنابع الثلاث داخلة في الامتياز وفقاً للمادة الاولى بشرط ان يؤدي صاحب الامتياز الى الحكومة المبلغ المقطوع وهو الفاً تومان سنوياً فضلاً عن الستة عشر في المائة الوارد ذكرها في المادة العاشرة

المادة (٥) تعيين الخطوط التي يراد مد الانابيب في استقامتها من قبل صاحب الامتياز ومهندسيه

المادة (٦) رغباً عما ذكر اعلاه ان الامتياز الممنوح بهذا العقد لا يشمل ولايات اذربايجان وغيلان وما زندان واستراباد وخراسان ويشترط مقابل ذلك ان لا تمنح حكومة ايران شخصاً آخر حق مد انابيب الى الانهر الجنوبية او سواحل ايران الجنوبية

المادة (٧) تعفى من الضرائب والرسوم جميع الاراضي المنوحة بموجب هذا العقد لصاحب الامتياز او التي تشتري من قبله بالصورة المبينة في المادتين ٣ و ٤ من هذا العقد وكذلك المحصولات المصدرة اثناء مد هذا الامتياز وتعفى ايضاً من الرسوم والمكوس الكمركية جميع الآلات والمساكن التي تجلب الى ايران اللازمة للتنقيب عن طبقات المعادن المذكورة واستثمارها وتسميتها والتي يحتاج اليها في بناء وتوسيع خطوط الانابيب

المادة (٨) يجب على صاحب الامتياز ان يرسل حالا الى ايران على نفقته اخصائيا او اخصائيين لاجل البحث في المناطق التي يعتقد صاحب الامتياز وجود منابع المواد المذكورة فيها واذا تبين ان البيان المعطى من قبل هؤلاء الاخصائيين يطابق رأي صاحب الامتياز فعليه ان يرسل على الفور الى ايران على نفقته ايضاً جميع الاشخاص الفنيين مع آلات الاستثمار والمساكن اللازمة لحفر الابار وبيان قيمة المعادن

التي فيها

المادة (٩) تخول حكومة ايران صاحب الامتياز الحق ان يؤسس شركة او شركات لاستثمار هذا الامتياز لصاحب الامتياز ان يعين اسماء هذه الشركات ونظامها ورأس مالها وتنتخب مديرها ويشترط عند تأسيس كل شركة ان يقدم صاحب الامتياز الى الحكومة اشعاراً رسمياً عن هذا التأسيس بواسطة قوميسر الحكومة مع بيان نظام الشركة وتعيين المحلات الذي ستباشر اعمالها فيها

فهذه الشركة او الشركات ستستمتع بجميع الحقوق والامتيازات الممنوحة الى صاحب الامتياز غير انه يجب ان تأخذ على عاتقها جميع هذه العهود والمسؤوليات

المادة (١٠) يجب ان يصرح في المقابلة بين صاحب الامتياز والشركة انه على الشركة ان تدفع للحكومة الايرانية مبلغاً يساوي عشرين الف ليرة انكليزية ذهباً في خلال شهر واحد بعد تأليف اول شركة تبدأ بالعمل واسهما خالصة القيمة من اسهم الشركة التي تتألف بموجب البند السابق تساوي قيمتها عشرين الف ليرة اخرى وعليها ايضاً ان تدفع سنوياً الى الحكومة المذكورة ما يساوي ١٦ في المائة من صافي ارباح جميع الشركات التي تؤسس بحسب المادة المذكورة

المادة (١١) للحكومة الحرية في تعيين قوميسر من قبلها ليكون

مشاوراً لصاحب الامتياز ومديري الشركات التي يراد تأسيسها
وعليه ان يقدم ما باستطاعته من المعلومات المفيدة ويرشدهم الى الطريقة
الحسنى لاتباعها في سبيل منفعة هذا المشروع وعليه ان يجري المراقبة
التي يحكم بلزومها لاجل صيانة منافع الحكومة وذلك يكون بالاتفاق
مع صاحب الامتياز

فهذه الوظائف المسندة الى القوميسر المذكور يجب ذكرها
في نظامات الشركات التي ستألف وعلى صاحب الامتياز ان يدفع الى
هذا القوميسر لقاء خدماته مبلغاً سنوياً قدره الف ليرة انكليزية
ابتداء من تاريخ تأسيس الشركة الاولى

المادة (١٢) يجب ان يكون العمال المستخدمون في الشركة
من رعايا جلالة الشاه ويستثنى من ذلك الموظفون الفنيون كالمديرين
والمهندسين والثقابين ورؤساء الحرف

المادة (١٣) اذا تحقق في اي مكان كان ان سكان ذلك المكان كانوا وما
زالوا يحصلون على النفط لاستعمالهم الخاص فعلي الشركة ان تقدم
لهم مجاناً كمية من النفط بقدر التي كانوا ينالونها انفسهم ويجب ان
تقدر هذه الكمية بمقتضى مدعيات السكان المذكورين تحت نظارة
الحكومة المحلية

المادة (١٤) ان الحكومة مكلفة باتخاذ الوسائل اللازمة لضمان
وضع هذا الامتياز في حيز العمل وهي مكلفة ايضاً بالمحافظة على الآلات

والمكان التي ستستعمل باتمام مشروع الشركات وحماية مثلها ووكلائها
ومستخدميها. واذا اجرت الحكومة هذه التعهدات فلا يمكن
حينئذ لصاحب الامتياز او الشركات المؤسسة من قبله ان يطلبوا من
الحكومة الايرانية تعويضاً ما يزعم انهم تكبدوا ضرراً وخسائر

المادة (١٥) عند ختام مدة هذا الامتياز تصبح جميع الابنية
والآلات والمكان التي كانت تستعمل من قبل الشركة مع الانتفاع
من صناعتها ملكاً للحكومة ولا يحق للشركة ان تطالب تعويضاً
عن ذلك

المادة (١٦) اذا لم يؤسس صاحب الامتياز في ظرف سنتين
من تاريخ هذا العقد الشركة الاولى من الشركات التي اذن له
بتأسيسها وفقاً للمادة التاسعة من هذا الامتياز فيصبح هذا الامتياز
ملغياً لا حكم له

المادة (١٧) كل مسألة او خلاف ينشأ من الفريقين بسبب
التباين في تفسير مواد هذا العقد وكذلك الاختلاف في المسائل
المتعلقة بالحقوق والمسؤوليات العائدة للفريقين يجب ان تعرض على
حكمين في طهران ينتخب كل فريق واحداً منهما وعلى حكم ثالث
ينتخبه الحكمان الاولان قبل الشروع في الحكم. فاذا لم يتفق الحكمان
الاولان بينهما فحينئذ يعرض الخلاف على الحكم الثالث وقرار هذا
الاخير هو القطعي

المادة (١٨) كُتِبَ صك هذا الامتياز بنسختين باللغة الافرنسية
وترجم الى الفارسية في عين المعنى
ولكن اذا اريد حسم اي خلاف يقع في تفسير معنى مواد هذا
الصك فالمتن المكتوب في الافرنسية هو المرجع الوحيد لذلك
كُتِبَ بطهران في ٩ من شهر صفر سنة ١٣١٩ و ٢٨ مايس
سنة ١٩٠١

التواقيع : وليم نو كس دارسي ، النائب عنه : الفردل . ماريوث .
اصدق ان هذه التواقيع هي الخ
جورج كراهام ، نائب القنصل . (١)

(١) نشرنا امتياز دارسي وبروتوكول الاراضي المحولة بنصيبها ،
نقلا عن النسخة الرسمية الموجودة لدى الحكومة العراقية والمطبوعة
في مطبعتها

الاراضي المحولة

البروتوكول المؤرخ في ٤ — ١٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٣
المتعلق بتعيين الحدود بين تركيا وايران

بما ان كلا من الحكومة العثمانية وحكومة جلالة شاه ايران
ترغبان في المحافظة على الحقوق والتعهدات المنوعة المعطاة لشركة
النفط الانكليزية — الفارسية المحدودة في الاراضي المحولة من ايران
الى تركية مع تنفيذ هذه الحقوق والتعهدات التي احدثت بالامتياز
الممنوح اياها من قبل الحكومة الايرانية بموجب الاتفاقية المؤرخة
في ٢٨ ايار سنة ١٩٠١ (٩ صفر سنة ١٣١٩ هجرية) فقد اتفقتا
على ما يأتي :

(١) يعترف الباب العالي بأن الامتياز نافذ ومعمول به في
الاراضي المحولة وان الحق الممنوح في المادة الاولى من الاتفاقية
يكون انحصاراً مطلقاً للحقوق الممنوحة به في جميع أنحاء الاراضي
المحولة ولا يمنح اي شخص او شركة او مؤسسة كانت اي امتياز
من هذا النوع مما يسبب ضرراً لامتياز شركة النفط الانكليزية —
الفارسية المحدودة او اجحافاً بحقوقها .

(ب) جميع الحقوق والميزات والاعفاء وغيرها من الفوائد
لممنوحة الى شركة النفط الانكليزية — الفارسية المحدودة من قبل

حكومة ايران وفقاً للاتفاقية او التي تتمتع بها فعلاً الآن يجب ان تكون محترمة ومعتبرة من قبل الباب العالي في الاراضي المحولة طبقاً لاحكام الاتفاقية .

(ج) للدولة العثمانية ان تتمتع في الاراضي المحولة بجميع الحقوق والميزات والفوائد المحفوظة او التي حصلت عليها الحكومة الايرانية طبقاً لاحكام الاتفاقية سوى ما جاء في الفقرتين (د) و (هـ) من هذه المادة

(د) بما ان شركة النفط الانكليزية — الفارسية المحدودة قد دفعت الى حكومة ايران وفقاً لاحكام المادة العاشرة من الاتفاقية المبلغين المذكورين فيها وهما ٢٠٠٠٠٠ ليرة انكليزية نقداً — واسهاماً خالصة القيمة بقيمة ٢٠٠٠٠٠ ليرة انكليزية فلا يحق للباب العالي ان يطالب بشيء من شركة النفط الانكليزية — الفارسية المحدودة عن هذا الخصوص

(هـ) لا يحق للحكومة الايرانية ان تطلب من شركة النفط الانكليزية الفارسية المحدودة وفقاً للعبارة الاخيرة من المادة العاشرة من الاتفاقية دفع اي مبلغ كان من الربح الناتج من الاستثمار في الاراضي المحولة والمبالغ المقننة الناتجة من الاستثمار التي ستدفعها الشركة بموجب الفقرة الاخيرة من المادة العاشرة يجب دفعها الى الدواة العلية العثمانية ولا يحق للحكومة الايرانية ان تطلب

من الشركة او من تركية شيئاً من هذه الارباح

(و) لاجل تنفيذ نص مواد الاتفاقية المتعلقة (بمد الانايب) يعترف الباب العالي بان هذه المواد تمنح شركة النفط الانكليزية — الفارسية المحدودة حقاً لمد انايب في اراض تركية بالصورة التي تربط منابع النفط في الاراضي المحولة بنقطة اخرى موافقة لاجل تسهيل اخراج نتائج الشركة بطريق خليج فارس وستعين هذه النقطة للاتفاقية الذي يلزم اجرائه بين الحكومة العثمانية وشركة النفط الانكليزية — الفارسية المحدودة بعد التوقيع على هذه المعاهدة بالسرعة الممكنة .

(ز) يعترف الباب العالي بان احكام المادة التاسعة من الاتفاقية تنص على تأسيس شركة جديدة اختيارية وفقاً لما جاء في هذه المادة للاستثمار في الاراضي المحولة وفي حالة تأسيس هذه الشركة فانها ستتمتع بعين الحقوق الممنوحة الى شركة النفط الانكليزية — الفارسية المحدودة وتأخذ على عاتقها التعهدات المعطاة من قبل الشركة المذكورة ايضاً وستتوب عنها في جميع الشؤون .

(ح) كل مسألة او خلاف من اي نوع كان يحدث بين الحكومة العثمانية وشركة النفط الانكليزية — الفارسية المحدودة يجب ان تعرض على حكمين في الاستانة ينتخب كل منهما من قبل احد الفريقين وعلى حكم ثالث يعينه الحكمين قبل الشروع في الحكم .

واذا لم يتفق الحكمان بينهما فتعرض المسألة حينئذ على الحكم الثالث وقرار هذا الاخير هو القطعي .

(ط) ان الحكومة الايرانية مكلفة بجعل شركة النفط الانكليزية — الفارسية المحدودة تتمسك بمنطوق هذه المادة اما الطرق الدالة على هذا التمسك والتي سيبلغ الباب العالي بها فتقرر بعد ذلك بالاتفاق .

في ١٧ تشرين الثاني ١٩١٣

التواقيع : لويس مالت ، احتشام السلطنة محمود ، ميشه ل ده كيرس ، سعيد حليم

انظر في الصفحة التالية الى خارطة الامتياز ، وفي الشمال : الولايات الخمس التي لم يشملها . والشحطات السوداء المفصول بينها بصلبان ، هي حدود الامتياز ، والنقط السوداء تدل على الاراضي النفطية المحفور فيها . والشحطات السوداء تدل على حدود ايران



كنا نظن، يوم بدأنا بكتابة هذا المؤلف، ان باستطاعتنا
تسجيل حوادث النفط جميعها، والكشف عن اسرارها المتتالية
حتى سنة ١٩٣٣ في كتاب واحد. ولكن الادوار الخطيرة
التي مثلت على مسرح السياسة الدولية في سنتي ١٩١٩
و ١٩٢٠، وهي من اعظم الحوادث التاريخية التي غيرت
وجه الارض، ولا سيما بلادنا العربية، اذ قام النفطيون
بالقسط الوفير منها - اضطررنا لقسم كتابنا الى جزئين،
انتهى اولهما - هذا - مع انتهاء الحرب .

اما الفصل الاتي فهو عرض سريع، صغير جداً،
تختصره عن القسم الاول من كتابنا الثاني، ليكون بمثابة
مقدمة وجيزة للطور الذي دخلته الاقطار العربية بعد
المجزرة :

« واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيباً اليه
ثم اذا خولّه نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل »
— صدق الله العظيم —



جورج كليمانسو الذي تنزل الانسكلير
عن الموصل قبل اتفاق سان ريمو



اسكندر ميلران الذي وقّع على
اتفاق سان ريمو



جورج بيكو صاحب الاتفاق
المعروف باسمه

الاقوياء في الصلح

دعيت الدول المنتصرة الى باريس لوضع شرائط الصلح ، وتسايق الى العاصمة الجميلة رجالات الشعوب الصغيرة والاعمم المستضعفة ، يحملون امانى المظلومين والمقهورين الذين ناموا في سنوات البؤس والشقاء على الوعود المعسولة ، تغذيم خيالات الشرف ، واحلام الوفاء ، ووقف العالم باسره صامتاً ، خاشعاً ، يرتقب ما سينطق به رجال الساعة :

ولكن الاقوياء ضعفوا في اقتسام الارباح ، وكشف الطمع عن حقيقة ما كانوا يسترون ، وارغم الرؤساء على تأليف اللجان الاختصاصية ، والفرعية ، في مؤتمر الصلح ، لكثرة الاعمال ، وتناقض الاهواء ، وانشأوا مجلساً اعلى من الدول الخمس القوية ليصدر المقررات الاخيرة ، وتألف هذا المجلس من السادة : الرئيس ويلسن ووزير خارجيته لانسنغ (يمثلان الولايات المتحدة)

رئيس الوزارة لويد جورج ووزير خارجيته ارثور بلفور (انكلترا)

رئيس الوزارة كليمانسو ووزير خارجيته بيشون (فرنسا)

رئيس الوزارة اورلاندو ووزير خارجيته البارون سونينو (ايطاليا)

والبارون ما كينو والفيكونت شيندا (يمثلان اليابان)

ومرت الايام ، تعقبها الاسابيع ، ولم يصدر من باريس امر حاسم ،

ولا عمل خطير ، فقد سادت الفوضى ، وتعاكست المطامع ، وغرق رجال الصلح في محيط من القضايا الطارئة ، قضايا جديدة ، وشعوب جديدة ، ودول جديدة ، لا يعرفون من امرها الا ما كان لهم فيه منفعة او مطمح ، او عطف او حقد ! صارت كل دولة تسعى لتحقيق اهدافها ، غير عابئة بالمبادئ السلمية التي بشرت بها قبيل الهدنة وتبادل المؤتمرون في تماقشهم وتشادوا ، وتناشوا وتجاوزوا ، وكان بعضهم « يعرض » في كلامه اقب الآخرين ، واعضاء اللجان الفرعية ، والخبرون و « الفنيون » والعسكريون يزيدون في الطين بلة . . . وبات الصلح على شفير الهاوية !

اختلفوا على اللغة الرسمية للمؤتمر ، وعلى عدد الاعضاء ونسبتهم الرقمية ، واختلفوا على تقدير قيمة التعويض الذي تدفعه المانيا ، وعلى حدود الرين الحربية ، وعلى تحديد بولونيا ، وعلى ممر دانتريغ ، واثارت حدود الرين نقاشاً عنيفاً بين كليمانسو وويلسن ولويد جورج ، انسحب الاول على اثره من الجلسة لان الآخرين عارضوا في احتلال اراض المانية بحث ، وفصلها عن المانيا . . . وكان الجوهرى في نظر الفرنسيين الاستيلاء على معادن الفحم — ابن عم النفط — في السار ، لان الالمان هدموا معادنه في شمالي فرنسا . وكان كليمانسو بحاجة الى الفحم الحجري فاصرّ على الاستيلاء على تلك المنطقة الغنية ، وذهب « خيرو التاريخ » في قولهم الى انها كانت

فرنسية منذ القدم ، وكفى دليلاً على فرنستها ان المرشال الفرنسي الشهير ني ، Ney قد ولد فيها ! .. » (١)

في ابان تلك العاصفة التي كانت تهدد المؤتمرين بالخطر ، دعا كليمانسو (٢) وهو رئيس مجلس العشرة ، بعض اعضاء هذا المجلس الى المنزل الذي كان يقيم فيه لويد جورج في شارع نيتو ، ولكنه لم يقل للرئيس ويلسن حرفاً من جدول الاعمال ، وفي ذلك يقول الكاتب النمسوي كارل فردريخ نوهاك :

« ... افتتحت الجلسة و اشار الرئيس الى وزير خارجية فرنسا بان يتكلم ، فعرض المسيو بيشون على الحاضرين اتفاق سيكس ييكو ليقره المؤتمر . وكان لويد جورج قد اتى بقائدين انكليزيين وبوزير خارجيته لحضور الاجتماع ، وكذلك فعل كليمانسون ، ورافق رئيس الوزارة الايطالية اورلاندو وزير خارجيته البارون سونينو ، وما ان بدأ في البحث حتى ظهرت للجميع حقيقة هذا الاجتماع الذي خلا

(١) فرساي ، ص ١٠٦

(٢) صرح المسيو بريان رئيس الوزارة الفرنسية في مجلس النواب ، يوم اثيرت قضية الموصل في ٢٥ حزيران ١٩٢٠ ، بان الذي دعا الى ذلك الاجتماع هو لويد جورج وليس كليمانسو ..

من كل تمهيد، وعقد بعد الظهر كانه وليد الصدف، وودعي اليه الاعضاء بالقوة تقريباً... — بانت حقيقة الاجتماع بجلاء، وشعر الحاضرون بان القصد منه تقسيم تركيا. وكان الرئيس ويلسن يصغي الى المتكلمين وهو شبه مدهوش، مذعور، لا ينبس بكلمة... فانه لم يسمع قبل تلك الجلسة بان بين حلفائه مثل هذا الاتفاق الذي يعطي الفرنسيين سوريا والانسكلين العراق، ويفرض على العرب حالة اتفقت عليها الدولتان القويتان منذ امد بعيد... وظهر له ان لاطاليا علاقة في الموضوع، والا لما حضر وزيرها هذا الاجتماع السري وكان الرئيس ويلسن قد بدأ يرتاب منذ مدة بعيدة بما يحيط به من نيات مستورة تهدد مشاريعه ومبادئه الانسانية، في توثيق عرى الاتحاد بين الشعوب، وتعتور عمله في الظلام فلا يستطيع معرفتها، او لا يستطيع الثبت منها، وما كانت تلك العقبات لتبدو جلية بل كانت تتوارى في العتمة عندما يخيّل لاصحابها ان صوتاً نطق بها، أو أشار اليها، انها موآمرة من اناس مجهولين على فكرته السلمية، وعلى ما ينتويه من مشاريع تتعلق بايجاد عصبة الائم التي توطد اركان السلام في العالم. شعر بذلك كله، وها هو الان يسمع، باذنيه، الفرنسيين والانسكلين يتناقشون ويتطاحنون على اشياء يطلبها كل منهم لنفسه بكل صراحة، فدهش الرجل منها لا كانت غريبة عنه، ولم يسمع بها قبل الان، بل كانت، بالتعبير الصحيح، سرقة اراض

واغتصابها بقوة السلاح، مما يناقض مبدأ عصبة الأمم التي كان يبشر بها،
 ومما تشوهها تشويها واضحا، فرفض الاشتراك في ذلك العمل لانه
 رأى ان هذا الموقف لا يوصل الى ايجاد النظام الذي يربط العالم...
 وكان لا يستطيع، بل يرفض، التدخل في مناقشات بين الدول
 الكبيرة، الا اذا طرحت على بساط البحث قضية تتعلق باهداف
 مؤتمر الصلح وبمقرراته، واذا طلب منه ابداء رأيه الشخصي فيها،
 فهو يتقيد عندئذ بما اعلنه في مبادئه، وفي الفكرة التي نادى من
 اجلها بايجاد عصبة الأمم. واذن، فالواجب يقتضي بان يوفد المؤتمر
 خبيرين (لجنة استفتاء) الى تركية اسيا، اسوة بالبلدان الاخرى التي
 شملت بالانتدابات... وبما ان مبادئ الرئيس تقول بان يبدأ كل عمل
 «بالثبوت من حالاته» فلا يمكن بسط قضية الانتدابات على بعض
 الاراضي التركية الا بعد ذلك الثبوت، فمن الواجب الانتظار، اذن،
 لمعرفة ما اذا كان السوريون يرضون بالفرنسيين، والعراقيون يرضون
 بالانكليز...

«ايقن لويد جورج وكليمانسو ان ويلسن ما يزال على شيمته لم
 يتبدل، وانه سيخالفهما في مشروعهما هذا ايضا، فاكتفيا مؤقتا بما
 كان منه، ولكنهما فكرا بوجوب ايجاد اسلوب جديد لمتابعة الحملة
 لانهما لم يقنطا من الفوز، لا سيما وانهما لم يناقشا في هذه القضية الا
 مرة واحدة، والمنطق يقتضي بان لا يبتأ فيها دفعة واحدة، ولا

يأمل بالفوز كله من الاستعراض الاول ، فرضيا بايفاد لجنة للتحقيق .
ولكن كليمانسو طلب « عرضياً » بعض الضمانات في تقرير « الحالات
التي يراد التثبت منها » لانه يعتقد بان « التحقيق المطلوب ، ايا كان
شكله ، هو مسألة في غاية الدقة » . وكان لويد جورج ، في اثناء هذا
الحديث بين كليمانسو وويلسن ، قد انقلب فجأة الى رجل يظهر ان
لا ناقة له في الامر ولا أجل ، وانما يود التسوية والتفاهم بين الرئيسين ،
فلم يبد على محياه شيء من اليأس ، بل اكتفى بإبداء هذه الملاحظة ،
في عرض الحديث ، اذ قال : « على افتراض ان البراهين ستكون
مرهقة لطرد الامبراطورية البريطانية من العراق ، فان الانكليز لن
يحرّموا ، ولا ريب ، حق الدرس لمعرفة ما اذا كانوا يرضون بانتداب
ما على مكان آخر من تركيا » ...

« ختمت الجلسة ، وقد روعيت فيها الاحاديث المهدبة السوية ، فلا
رئيس الوزارة الفرنسية فجر ، ولا حاد لويد جورج عن الجمالة الشامة ،
ولم يفه احد بكلمة جارحة (على عكس الجلسات السابقة) ، ولكنهم
افترقوا وهم على خلاف لا يُجبر كسره ، وان ستروه بثوب من الجمالة
المصطنعة ، وكيف لا ينشأ ذلك الخلاف وقد تعارضت معتقدات
العالم المتباعد ؟؟

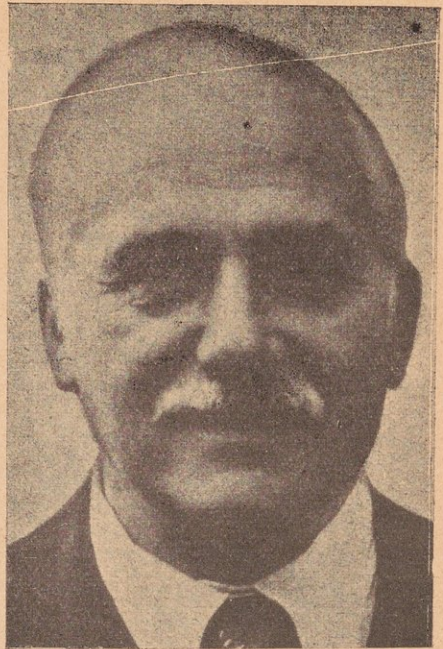
« اما الرئيس ويلسن فيخرج من المنزل وهو كثير الاضطراب ،

واخذيتعد عن شارع نيتو وقد ظهرت عليه دلائل الاشمزاز!!! (١)

دخل الحلفاء البلاد العربية ، وسفروا عن حقيقة وجوههم ، فاذا هم غاصبون ، « فاتحون » ، مستعمرون ، يطمع كل منهم في الاكلة التي تسيل لعابه ، فاصطدمت المطامع ، وتطاحت الالهواء ، وظهرت النيات علنا ، فصارت البلاد مسرحاً لاحط مهزلة عرفها التاريخ ، واستصرخ ابناؤها الحلفاء قائلين :

ايها الاصدقاء ، هذه التربة هي من الوطن العربي الذي حارب بنوه في صفوفكم في ميادين الغرب والشرق ، وطن الذين وعدتموهم بالحرية والاستقلال ، وغذيتهم احلامهم وامانيهم باستعادة مجدهم الغابر ، وسلطانهم المندثر : انها ليست المسانية ، ولا تركية ، ولا نمسوية ، ولا بلغارية ، ولا شيطانية ، ولا ... حول الا بالله ! فعلام تقييد الحريات فيها ، وتجزئة اراضيها ، وارهاق سكانها ، والتشكيل بهم ؟ انكم لم تفعلوا ذرة في الاراضي الالمانية ، واراضي اعدائكم الاخرين مما تفعلونه هنا . فما هذا التقلب في سياستكم ؟

— « ... لان لنا في السلطنة العثمانية حقوقاً قاطعة ، يجب ان نحافظ عليها ... ان لنا في سوريا ولبنان وكميليكيا وفلسطين حقوقاً ، قائمة على حوادث التاريخ ، وعلى اتفاقات ، وعقود ... وسنبذل



السير هنري ديتريبنغ ، نابوليون
النفط في العالم ، وملك الاقطار
العربية غير المتوج... والمسيطر على
نصف حكومات الدنيا



لويد جورج رئيس الوزارة
البريطانية يوم اقسام الحلفاء بلدان
العرب ليستولوا على نفطها

جهدنا لجعلها مشروعة » (١)

قال الميسو بيشون ذلك القول ، واعترف بان المسألة تجارية ، « مربوطة بكونترا تو » ، كالسلع للبيع ! بعد ان اشتد التطاحن بين الحلفاء في البلاد العربية وتأزم الموقف ، والهدنة مع الاعداء لم تفتحه بعد ! ... وصدى خطبة الميسو بيرانجه في مؤتمر النفط في لندره ما يزال يدوي في الاذان ، مستصرخاً ان يظل الحلفاء حلفاء في الهدنة وفي السلم كما كانوا في ايام الحرب ، فسافر كايانسو الى العاصمة الانكليزية ليفاوض زميله لويد جورج في اسس الصالح الذي ينتظره العالم ، وللتفاهم على الخلاف الناشب بين موظفيهما في الشرق ، وفي تلك السفارة يقول الميسو اندره تارديو الذي كان يمين كايانسو ، وامين سره ، وقد كتب مقاله في مجلة « الاولستراسيون » اذ اثرت قضية الموصل في البرلمان الفرنسي ، وحملت الصحف الباريسية ، بايعاز من شركة ستندارد اويل الاميركية ، على كايانسو — قال تارديو ما نعر به حرقياً : « ... وكانت ثلاث مصالح تشغل يومئذ بال رئيس الحكومة الفرنسية : الاولى ، وقد تناساها الناس ، هي وضع المبادئ العامة ، قبيل انعقاد مؤتمر الصلح ، للاتفاق مع رئيس الوزارة البريطانية

(١) من خطبة للميسو بيشون ، وزير الخارجية الفرنسية ، في

مجلس النواب في ٢٩ ك ١ (ديسمبر) ١٩١٩

على القضايا الأوروبية ، التي هي حيوية لفرنسا . والمصلحة الثانية كانت تتعلق بسوريا ذاتها ، وبالعراق ، اذ كان على الرئيس كليمانسو أن يضع حداً ، من جهة ، للخلافات الخطيرة التي جرت في الاسابيع الاخيرة (بين الانكليز والفرنسيين في سوريا) ويحمل لويد جورج على تنفيذ اتفاق سيكس بيكو بدون اصطدام ، وأن يضمن من جهة ثانية تأييد بريطانيا العظمى في اي تعديل يؤدي اليه رأي اميركا في شكل الانتدابات ، او ينجم عن معارضة من الرئيس ويلسن الذي كان قليل الارتياح الى اتفاق ١٩١٦ ، وهذه القضية قد تنوسيت ايضاً من الرأي العام ، واما المصلحة الثالثة فهي مسألة نفط الموصل ، اذ كان من الواجب المحتم عليه ان يعيد النظر في الاتفاق المذكور ، ويضمن لفرنسا حصتها من استثمار ابار النفط ، وهي الحصة التي بسط اهميتها الجهورية المفوض العام الفرنسي لادارة المواد اللاهبة في مذكرته المؤرخة في ٢ ت ٢ (نوفمبر) ١٩١٨

« وبدأ الحديث ، فقال كليمانسو للويد جورج : « لنسو هذه المسألة » وقل لي فكرك كله » فاجاب الرئيس الانكليزي حالاً بأنه يطلب ان يكون الانتداب على فلسطين بريطانياً بدلاً من الانتداب الدولي ، وان تصير الموصل في منطقة النفوذ الانكليزي العربي بدلاً من وجودها في منطقة النفوذ الفرنسي العربي . وشعر المسيو كليمانسو بأن عليه ان يتنزل لمفاوضه عن شيء لئلا يتمكن من الوصول الى اتفاق كان ضرورياً ،

ولا غنى له عنه ، فوضح رأيه في الايام التالية في ما يطلبه من ثمن لقاء تلك المسائرة ، وقال انه على استعداد ، مبدئيا ، لارضاء لويد جورج في مطلبه ، ولكنه يشترط في ذلك ثلاثة امور : الاول : ان تحصل فرنسا على حصتها من نفط الموصل ، وذلك بتعديل اتفاق ١٩١٦ (سيكس بيكو) . والثاني : ان تساند بريطانيا العظمى ، بدون تحفظ ، فرنسا في مؤتمر الصلح على اسس ذلك الاتفاق الكاملة (الا الموصل) وأن تضمن لها تأييدها التام في حالة اعتراض اميركا . والامر الثالث : ان يطبق الانتداب الفرنسي ، اذا وافق المؤتمر على مبدأ الانتدابات ، بشكل واحد في المنطقتين اللتين ميز بينهما ذلك الاتفاق ، اي أن تصير

حلب ودمشق تحت انتدابنا كما هي بيروت والاسكندرونه . واي رجل كان في مثل تلك الساعة وتلك الحالة ، مكان الميسو كايانسو ، لاجاب مثله بالاجاب .

« وكانت المفاوضة المتعلقة بنفط الموصل بدء المفاوضات ، وانتهت في اقل من ستة اسابيع بشكل مرضٍ ، فوقع الميسو هنري بيرنجه في ٨ نيسان (ابريل ١٩١٩) ووزير المستعمرات والنفط الانكليزي المستر ولتر لونج على اتفاق يضمن لفرنسا الحصة الالمانية من شركة النفط التركية (توركيش بتروليوم) اي خمسة وعشرين من المئة من استثمار جميع النفط المستخرج ، والذي سيستخرج ، من ولايتي الموصل وبغداد ، وخمسين من المئة من جميع الابار التي تستطيع فرنسا وانكلترا الحصول

عليها في غاليسيا ورومانيا وروسيا ، واربعة وثلاثين من المئة من جميع
الينابيع الممكن استثمارها في مستعمرات التاج البريطاني الغنية بالنفط ،
وحصلت انكلترة لقاء هذا الاتفاق الاخير على أربعة وثلاثين من
المئة اي النسبة عينها ، من جميع الينابيع الممكن استثمارها في المستعمرات
الفرنسية ، وان يكون لها حق مد انابيب تمر في بلدان الانتداب

الفرنسي ، من الموصل الى البحر المتوسط (١) ... » الخ

وبعد ان ذكر المسيو تارديو مقاومة النفطيين الانكليز لذلك
الاتفاق قال : « ... وبقيت معضلة الاراضي التي ظننا ان حلها من
ايسر الامور ، ولكن الادعاءات الجديدة التي اتت بها بريطانيا
العظمى منعت اولي الحل طيلة عشرة اشهر ، وحتى استقالة المسيو
كليمانسو ، من اية تسوية لشؤون سوريا ، سواء أكانت اقتصادية ام
سياسية ، ذلك ان حكومة لندره رغبت في ٨ شباط (فبراير) ١٩١٩
بتغيير التوازن في الاتفاق الذي تم بين الرئيسين (لويد جورج
وكليمانسو) في شهر كانون الاول السابق ، طالبة تهشيم سوريا من
الجهة الشرقية ، ومن الجهة الجنوبية على الاخص ، مما لم تكن فرنسا
لترضى به ، فبذلت حكومتنا جهوداً مضاعفة لحل الموظفين البريطانيين
على اتخاذ وجهة نظر اعدل ، ولكنها لم تفلح ، فبعثت اليهم في ٩ شباط

(١) الاولستراسيون في ١٩ حزيران ١٩٢٠ ، ص ٣٨١

بالمذكرة الاولى تذكرهم فيها بان الانتداب الانكليزي على فلسطين ،
وتحاي فرنسا عن الموصل ، لم يكونا تحت شرط تسوية مسألة النفط
فقط « بل تابعين ايضاً للتأييد الذي تقوم به بريطانيا العظمى ، بلا
تحفظ ، لحقوق فرنسا في سوريا و كيليكييا وفقاً لاتفاق ١٩١٦ ... »
وفي ١٧ اذار (مارس) بعثنا الى لندره بالمذكرة الثانية ، وقد جاء فيها
عن قضية الحدود المقترحة ما نصه : « لا يمكن الحكومة الفرنسية ان
ترضى دققة واحدة ، بمثل هذا البتر ... ولن تتأثر بمزاعم لا ترى
فيها الا وجهة المستعمرين الانكليز ... واذا كانت الحكومة
الانكليزية تنوي معاملة المسيو كليمانسو بمثل هذه الاراء فهو يفضل
التمسك بنصوص اتفاق ١٩١٦ »

« وفي ٢١ و ٢٢ نوار (مايو) جرت مناقشتان عنيفتا الالهجة جداً
بين الرئيسين . ولم يتم الاتفاق ... » اه
فماذا « قيل » في تينك المناقشتين اللتين اشار اليهما المسيو تارديو
في مقاله ؟

اسمعوا ، ايها العرب الذين آمنوا باقوال السلام وحرية المصير ،
وحقوق الشعوب في حكم نفسها :
التأم مجلس الصلح الاعلى في باريس في ٢١ نوار ١٩١٩ وجرى
الحديث الاتي بين كليمانسو ولويد جورج وهو مسجل في محضر
الجلسة :

« كليانسو : — عندما ذهبت الى لندره في الحريف الماضي ، قلت لك : « اعلمي عما تطلبه في اسيا ، انتقضي على كل سبب للخلاف بيننا » .. فاجبتني : « اتا نريد الموصل التي وضعها اتفاق سيكس بيكو في منطقة النفوذ الفرنسي »

« فوعدتك بتسوية المسألة ، وقد انجزت وعدي بالرغم من معارضة السكي دورسي (وزارة الخارجية الفرنسية) »

« لويد جورج : — اجل ، اني طلبت اليك في لندره نقل الموصل الى منطقة النفوذ البريطاني فوافقت على طلبي ، وكانت فرنسا موعودة بسوريا ، وبريطانيا موعودة بالعراق ... » اه

وفي اليوم الثاني (٢٢ نوار) كرر المسيو كليانسو هذه الرواية في جلسة المجلس الاعلى فقال : « عندما ذهبت الى لندره في الحريف الماضي ، وكان بين الانكليز والفرنسيين خلافات ناشبة في سوريا والعراق ، مما لا ارغب في اعادة ذكرها ، سألت المسيو لويد جورج ان يقول كلمته الاخيرة في الموضوع فلم يتردد بالتصريح بانه يرغب في ان تكون الموصل في المنطقة الانكليزية ، فاجبته بانني مستعد لان املي هذا الحل على وزارة الخارجية الفرنسية ... (١) ولو انك قلت لي يومئذ يا مسيو لويد جورج ، ان بطلبك الموصل كنت تطالب تسماً كبيراً من شرقي سوريا ومن جنوبيها ، لرفضت منذ تلك الدقينة ان اعطيك

الموصل ... (١)

تتأفر كلمانسو ولويد جورج وتنازدا، ولا نقول تشاتما... وكان رجال الاستعمار البريطاني يحرضون رئيسهم ، ورجال الاستعمار الفرنسي يثيرون رئيسهم ، ووقف الرئيس ويلسن مدعوراً ، مضطرباً ، قرفاً ، مما بدا له من حقيقة امر حلفائه الذين حملوا قبل الهدنة اغصان الزيتون لتأييد السلام في العالم ، وهم الان يتطاحنون علناً على اغتصاب اراضي الشعوب المستضعفة... وطارت وفود العرب كريشة في مهب الريح ، بين لندن وباريس ، تدق ابواب اولئك المبشرين بانجيل المحبة والحق ، فلا تلقى الا المراوغة والتسويق ، ولا تسمع الا كلام الطمع والاستعمار !

تناز المستعمرون ، ولكن رؤساءهم الحقيقيين ، رجال احتكار النفط في العالم ، ظلوا يتابعون المفاوضات السرية بين الفريقين حتى ظفروا باعلان اتفاق موقت بينهما في ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩١٩ قضى بانسحاب الجيوش البريطانية من السواحل السورية ، وبابقاء الجيوش العربية في الداخل ، وباطلاق يد الانكليز في الموصل وفلسطين !

وكان ثمن ذلك الاتفاق قتل سوريا الجغرافية ، مما انفصله بأسباب

(١) رواها الميسو تارديو في مذكرته التي نشرتها صحف باريس

في ١١ حزيران ١٩١٩ عن المفاوضات المتعلقة بالموصل

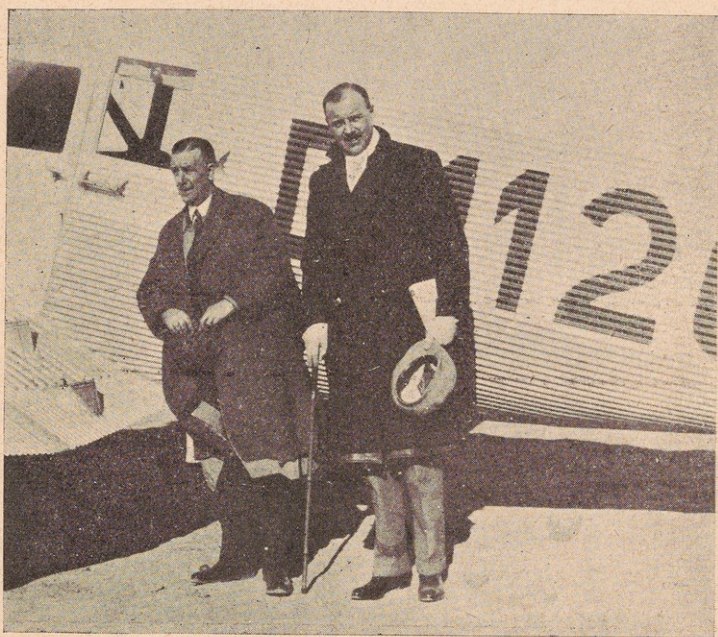
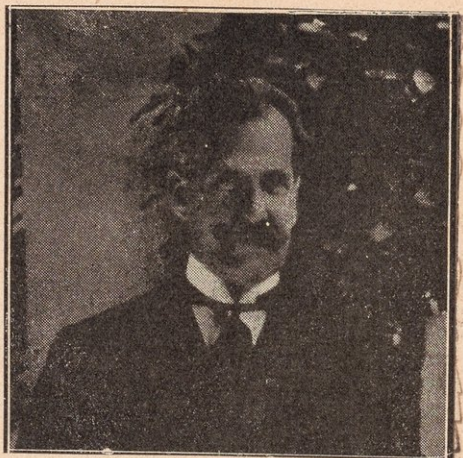
مع الوثائق الرسمية ، والمفاوضات السرية ، والمكاتبات السياسية ،
وروايات بعض الشهود ، في كتابنا الثاني

ولعب النفطيون على الف جبل في وقت واحد : اذ سعى بعضهم
للاستثمار بالنفط العربي ، وحاربهم في مسعاهم البعض الآخر ، وقام
« بعض ثالث » بمهمة الوسيط بين الفريقين خوفاً من ضياع الاقطار
العربية على الجميع ! ولم تكن هذه السياسة التي اتبعها ملوك النفط
بالاولى من نوعها ، فقد مررنا ، في هذا الكتاب ، بسياسات كثيرة
مثلاً ! ...

وفي تلك الاثناء كانت شركة الانكلو برشيان تعمل سراً —
ودائماً سراً ! — للاتفاق مع الارمني الجيورجي خوشتاريان
على شراء امتياز النفطي في شمالي ايران (١) لقاء مئة الف دينار
انكليزي ، دفعة اولى ، فتمت لها الصفقة في ٨ ايار (مايو) ١٩٢٠ ،
بعد ان مهدت لها الحكومة البريطانية سراً — ودائماً سراً ! ... —
باتفاق سياسي بين حكومتي طهران ولندره في ٩ آب (اغسطس)
١٩١٩ وضع ايران تحت الحماية البريطانية الحديدية ، مما اثار ضجة
صيفة في الاندية النفطية والسياسية ، وقال عنه النائب شنودن ، الذي
صار وزير المال البريطاني في ما بعد : « انه اتفاق املي على الشام

(١) — ارجع الى ص ١٧٢ من هذا الكتاب

فيليب برتلو الذي وقّع على
اتفاق سان ريمو اذ كان
امّن السرّ العام لوزارة
الخارجية الفرنسية



السير جوهن كادمان واضع اتفاق سان ريمو ورئيس شركة النفط العراقية
ينزل من طيارته التي نقله الى بغداد

الشاب بالضغط والتهديد ! ... » (١)
 وشعرت حكومة السلطان ، صح النوم ! بان غرام فرنسا بموارنة
 سوريا ، وهيام بريطانيا بمجد العرب الباسق في العراق ، قد لبسا
 وشاحاً تنتشر منه رائحة كريهة ! مع ان النفط لا رائحة له ...
 فصدرت ارادة شاهانية في ١٤ ك ٢ (يناير) ١٩٢٠ بالغاء الارادة
 الدستورية المتعلقة باراضي الموصل النفطية ، وباسترجاع تلك الاراضي
 الى الخزانة السلطانية الخاصة (٢)

وكثرت المطامع النفطية ، وبرز فرسانها الى الميدان ، فرأى
 الانكليز والفرنسيون ان يجابهوا تلك المطامع بالامر الواقع ،
 واستمر المفاوضات يواصلون جهود « التوفيق » بين الفريقين حتى
 انتهى بهم الامر الى وضع اسس الاتفاق التاريخي الذي وقعوا عليه
 في مؤتمر سان ريمون

وقال الحلفاء بأن مؤتمر سان ريمو هو لاجل الصلح مع السلطنة
 العثمانية ، فاعلنوا فيه انتداباتهم على الاقطار العربية المنسلخة عنها ،
 وارجأوا وضع شرائط الصلح الى مؤتمر سيفر
 اعلنت الانتدابات على سوريا الجغرافية وعلى العراق في ٢٥
 نيسان ١٩٢٠

(١) — فيشر ، ص ٢١٦ ، ودي غوتويرون ، ص ٢٩٤

(٢) — ارجع الى ص ٨٧ من هذا الكتاب

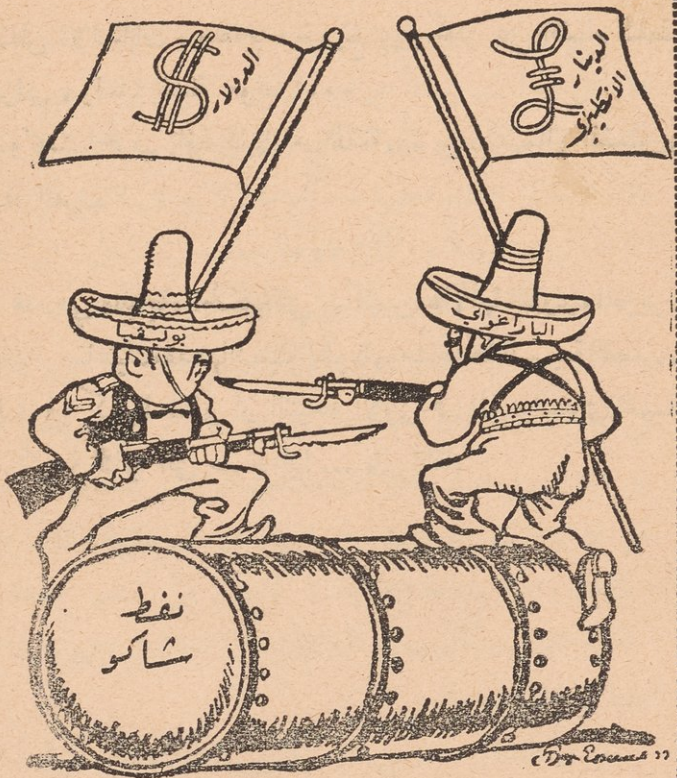
وفي ٢٤ نيسان ، اي قبل يوم واحد من اعلان الانتدابات ، تم الاتفاق سرّاً — ودائماً سرّاً ! — بين مندوبي فرنسا وبريطانيا في مؤتمر سان ريمو على ... اقتسام نفط الموصل . وقد ظلت نصوص ذلك الاتفاق الجشع مطوية ، مكتومة ، لا يعرف العالم من امرها الا تقديرات مبهمّة ، ولكن شركة ستندارد اويل التي حرمت « حصتها » من القرص الشهي اثارَت على المتفقين حرباً شعواء وتمكنت بعد ثلاثة اشهر من الحصول على النص الرسمي فاذاعته في الصحف ، وحملت حكومة واشنطن ، والرئيس ويلسن نفسه ، على التدخل في فضال المعركة ، فامتنعت الولايات المتحدة من الموافقة على الانتدابات ، وجرت بين الوزارتين البريطانية والاميركية مكاتبات رسمية جارحة (١) يعف كثيرون من كتاب الصحف عن كتابة مثلها ، وتكهرب جو العلاقات بين الدولتين حتى باتت الحرب بينهما على قاب قوسين .

وظل النضال عنيفاً بين الاستعمارين السكسونيين طيلة سنتين ، الى ان اعطي الاميركان حصة من نفط الموصل ، فاعترفت حكومة

(١) نشرت هذه المكاتبات الرسمية في « الكتاب الابيض » الذي اذاعته وزارة الخارجية البريطانية بعدئذ ، وقد لقينا امر الصعاب في الحصول على نسخة منه ، سنشرها معربة بحروفها في كتابنا الثاني

واشنطن بالانتدابات ، وتفاقم ديتريدينغ ورو كفلر على اقتسام النفط
 الايراني ، واعلنا الهدنة مؤقتاً !...
 وكانت الحرب ثانية بينهما ، ثم الهدنة ، ولم يوءد ثمنهما الا الضعاف ،
 واولهم العرب !

هذه هي «تديجة» الحكاية التي بدأنا بسردها ، ايها القاري العزيز ،
 بعد ان عرضنا عليك مقدمتها البطيئة الطويلة ، ومشاهدها السريعة القصيرة ،
 وسترى في كتابنا الثاني ان النتيجة الاولى هي المن والسلوى بالنسبة
 الى النتيجة الثانية التي صرنا اليها ... فالى اللقاء



الباراغواي وبوليفيا تتحاربان بسلاح ديتردينغ ورو كفلر
 للاستيلاء على نفط شاكو . وحرب شاكو اثارت اهتمام عصبة الامم
 وبحث فيها مجلسها في جلسته الاخيرة التي عقدت في هذا الشهر (ايلول)

اتفاق سان ريمو (١)

ان هذا الاتفاق مبني على مبدأ التعاون الودي والتبادل ، في البلدان التي يمكن ان تتمزج فيها فوائد الامتين (فرنسا وبريطانيا) النفطية .
وهذه المذكرة تتعلق في الدول او البلدان التي ذكرها : رومانيا ، اسيا الصغرى (الاقطار العربية وجوارها) ، اراضي الامبراطورية الروسية القديمة ، غاليسيا ، المستعمرات الفرنسية ، ومستعمرات التاج البريطاني .

« ويمكن ان يمتد مفعول هذا الاتفاق الى بلدان اخرى بعد تقاعم الفريقين المتبادل

(هنا ينص الاتفاق على المصالح النفطية في رومانيا ثم في اراضي الامبراطورية الروسية القديمة ، ثم ينتقل الفريقان الى الكلام عن العراق فيقولان :

« بلاد ما بين النهرين (العراق) — : ان الحكومة البريطانية تتعهد بان تمنح الحكومة الفرنسية ، او الاشخاص الذين تعينهم ، حصة تساوي خمسة وعشرين من المئة ، بالاسعار الدارجة ، من منتوج النفط الخام

(١) عربه المؤلف عن النص الفرنسي الذي نشرته مجلة «ليوب نوفيل» في الجزء ٢٢ من سنتها الخامسة ، في ٣ حزيران (يونيو)

الذي تتمكن حكومة صاحب الجلالة من الحصول عليه في الاراضي النفطية في بلاد ما بين النهرين ، هذا اذا استثمرت الادارة الحكومية تلك الاراضي ، اما اذا استثمرت الاراضي المذكورة شركة خاصة فالحكومة البريطانية تضع عندئذ تحت تصرف الحكومة الفرنسية حصة مشاركة في هذه الشركة تبلغ خمسة وعشرين من المئة ، ولن يكون الثمن المدفوع لهذه المشاركة اعلى من الثمن الذي يدفعه اي مشترك اخر في الشركة المذكورة . وكذلك ثم الاتفاق على ان تكون شركة النفط المشار اليها تحت الرقابة البريطانية الدائمة

« اذا رغبت الحكومة المحلية ، أو المصالح الاهلية (العراقية) الاخرى ، في حالة تأسيس الشركة المذكورة ، ان تشترك في رأسمال هذه الشركة ، فقد صار الاتفاق على قبول اشتراكها حتى الحد الاعلى البالغ خمسة وعشرين من المئة ، ويكون للفرنسيين نصف العشرة الاولى من المئة في الحصة الاهلية (العراقية) واما المساهمة الاضافية (اي القيمة الباقية لاشتراك العراق بعد اخذ الفرنسيين خمسة) فتؤخذ من جميع المساهمين بالنسبة الى ما يملكون من اسهم »
 « تقبل الحكومة البريطانية بان تؤيد جميع الترتيبات التي تستطيع الحكومة الفرنسية ان تنال بها من شركة الانكلو برشيان مؤن النفط التي يمكن ارسالها بتقنية من ايران الى البحر المتوسط بواسطة اقنية تحفر في ارض مشمولة بالانتداب الفرنسي وتكون فرنسا قد

قدمت التسهيلات الخاصة لحفرها . ويكون مبلغ تلك المون النفطية (التي تعطى لفرنسا) خمسة وعشرين من المئة من النفط الذي يرسل بالتقنية المشار اليها بشرط ونصوص يمكن وضعها بالاتفاق بين الحكومة الفرنسية وشركة الانكلو برشيان .

« بناء على الترتيبات المنشورة اعلاه ، تسمح الحكومة الفرنسية ، اذا طُلب اليها ، وحالما يقدم لها الطلب ، ببناء خطين انبوبيين (يبب لين) مختلفين مع خطوط حديدية لازمة لبنائهما وصيانتها ، ولتقل النفط من بلاد ما بين النهرين (العراق) وايران ، مخترقاً مناطق نفوذ فرنسي حتى مرفأ ، او بضعة مرافئ ، على البحر المتوسط الشرقي ، تعيينها فيما بعد الحكومتان بالاتفاق التام بينهما

« تتعهد فرنسا ، في حالة اختراق مثل تلك الانابيب والخطوط الحديدية ارضاً تكون في منطقة نفوذ فرنسي ، بان تقدم جميع تسهيلات المرور للنفط المنقول . على انه سيكون متوجباً التعويض على اصحاب الاملاك عن المسافة التي تمر الانابيب فيها

« وكذلك ، تمنح فرنسا جميع التسهيلات للحصول على ارض لازمة لبناء مستودعات وخطوط حديدية ومعامل تصفية ومرافئ الخ . . . في الميناء الذي تنتهي فيه الانابيب . والنفط المنقول بهذه الطريقة يعفى من جميع رسوم الشحن والمرور (ترانزيت) . وكذلك تعفى المواد اللازمة لبناء الانابيب والخطوط الحديدية ومعامل

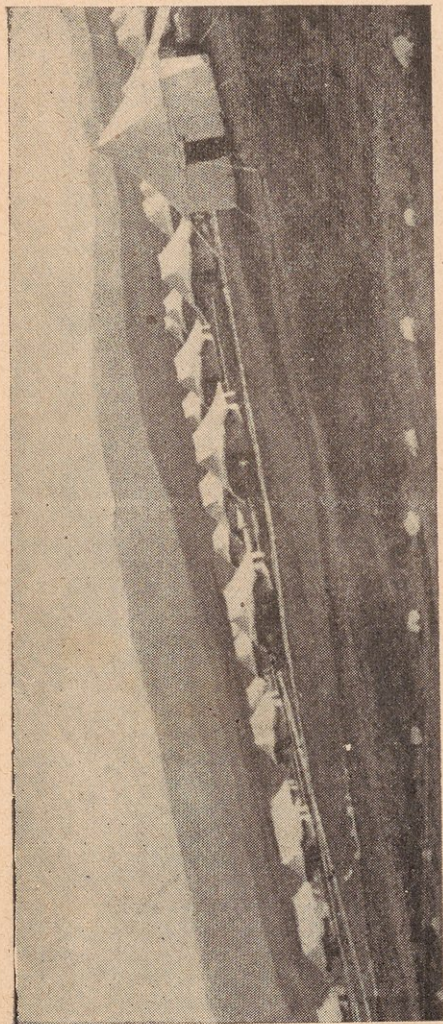
التصفية والانشاءات الأخرى من جميع رسوم الاستيراد ورسوم النقل .

« في حالة رغبة الشركة المذكورة (الانكلو برشيان) ببناء خط انبوبي وخط حديدي يمتدان حتى الخليج الفارسي ، تقدم الحكومة البريطانية (لفرنسا) مساعداتها اللازمة للحصول على التسهيلات عينها في هذا الموضوع » اهـ

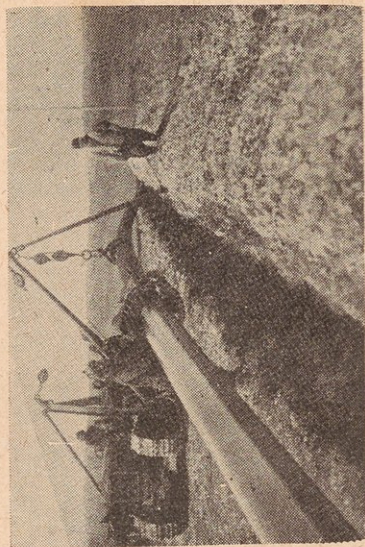
(ثم ينص الاتفاق في فقراته الثلاث الأخيرة على اقتسام النفط بين فرنسا وبريطانيا في افريقيا الشمالية والمستعمرات الفرنسية الأخرى ، ومستعمرات التاج البريطاني مما لا علاقة لنا به الآن) (١)
التواقيع :

عن فرنسا : اسكندر ميران ، فيليب برتلو
عن بريطانيا العظمى : لويد جورج ، جوهن كادمان
سان ريمو في ٢٤ نيسان (ابريل) سنة ١٩٢٠

(١) — ان البرلمان الفرنسي لم يرم هذا الاتفاق لان الحكومة لم تعرضه عليه ، وكذلك لم تعرض عليه اتفاق سيكس بيكو ... ولعل في هذه الإشارة غزاء للبرلمان السوري !



خيام عمال الانايب في الصحراء



لى اليمين : عمال عرب يدون الانايب قرب طرابلس وهذا نصينا
من الفط العربي !!

مصادر الكتاب

- الكتب الفرنسية : (١) تاريخ الشعب الانكليزي (ايلي هالفي)
— (٢) الاسلام واسيا امام الاستعمار (اوجين يونغ) — (٣) الاقطار
العربية المحررة (خيرالله خيرالله) — (٤) مصير السلطنة العثمانية
(اندري ماندلستام) — (٥) سياسة الانتدابات في الشرق (جان
لو كيه) — (٦) كيف استقرت فرنسا في سوريا (كونت ر. دي
غونتو بيرون) — (٧) بوذا ضد الانتلجانس سرفيس (موريس
لا بورت) — (٨) ماتحت التجسس الانكليزي (روبر بوكار) —
(٩) في اقاصي اوروبا واسيا (موريس روندي سان) — (١٠) رحلة
بوجولا في الشرق الادنى (باتيستان بوجولا) — (١١) ثلاث سنوات
في اسيا (الكونت دي غوينو) — (١٢) الثورة العربية من ١٩٠٦
الى ١٩٢٥ (اوجين يونغ) — (١٣) المجلة النفطية — (١٤) كتاب
النفط السنوي (اد. موريس) — (١٥) الجريدة الرسمية للجمهورية
الفرنسية (مناقشات مجلس النواب ومناقشات مجلس الشيوخ) — (١٦)
النضال لاجل النفط وروسيا (بول ابوستول واسكندر ميشلسن)
— (١٧) السيطرة على النفط (كميل ايمار) — (١٨) النفط وفرنسا
(هنري بيرانجه) — (١٩) رو كفلر ملك النفط (ر. كورو) —
(٢٠) الحرب السرية لاجل النفط (انطوان زينخكا) — (٢١) منابع
العراق النفطية (سي . بي . نيكوليسكو)

المساند غير الفرنسية

- (٢٢) سيطرة النفط (لويس فيشر - اميركي) — (٢٣) شركات احتكار النفط والعلاقات الانكليزية الاميركية (اي. ه. دافنبورت . وسيدني روسل كوك - انكليزيان) — (٢٤) حصار كوت العماره (كابتين اي. او. موسلي - انكليزي) — (٢٥) خمس سنوات في تركيا (ليمان فون ساندروس - الماني) — (٢٦) مذكرات ادوار غراي - انكليزي) — (٢٧) الثورة في الصحراء (كولونيل تي. اي. لورنس - انكليزي) — (٢٨) عالم الاسلام الجديد (لوثر وب ستودارد - اميركي) — (٢٩) فرساي ١٩١٩ (كارل فريدريخ نوهاك - نمساوي) — (٣٠) الكتاب الابيض الانكليزي (وزارة الخارجية البريطانية) — (٣١) تاريخ الموصل (القس سليمان صائغ - عراقي) — (٣٢) مطبوعات الحكومة العراقية — (٣٣) صحف متنوعة منها الطان وجريدة عصبة الامم ومجموعة مجلة الاولستراسيون ومجموعة ايروب نوفل

فهرس

صفحة		صفحة
١٥٠	استقلال العرب والموصل	١
١٦٤	حصار كوت المار	٦
١٦٩	دم الارض ودم البشر	١٣
١٧٧	الى بغداد ثانية	٢٠
١٨٨	اقوال جديدة للحلفاء	٢٩
١٩٥	الثورة الروسية	٥٣
٢٠٩	اقوال جديدة للحلفاء	٦٧
٢١٤	الوطن اليهودي في فلسطين	٧١
٢٢٣	الهدنة	٧٦
٢٣٢	الوطن الاثوري في الموصل	٨٤
٢٤١	خريطة خط الانابيب	٨٧
٢٤٤	كيف تكون النفط	٩٧
٢٥٠	نص امتياز دارسي	١٠٥
٢٥٦	خريطة الامتياز في العراق	١١٣
٢٥٨	نص بروتوكول الاراضي المحولة	١١٩
٢٦٢	خريطة مقاطعة دارسي	١٢٦
٢٦٦	الاقوياء في الصلح	١٣٤
٢٨٥	اتفاق سان ريمو	١٣٩
٢٨٩	مساند الكتاب	١٤٣
	كلمات تاريخية في النفط	
	مؤلف عربي	
	بعض ارقام	
	الاله الملك القربان	
	حكاية . . .	
	سيدة العالم	
	وباء الذل للاجنبي	
	سلطنة الفرس والعرب	
	نفط العراق	
	نباح في القاهرة	
	طرايش عثمانية على رؤوس غربية	
	الاراضي المحولة	
	ليس للنفط رائحة	
	اقوال الحلفاء في الحرب	
	رخصة سيرا جيفو	
	لاجل النفط	
	سوريا الجغرافية	
	الاقوياء الصادقون	
	اتفاق سيدكس بيكو	

طابع من هذا الكتاب

اربعون نسخة على ورق موند شتوك

كل نسخة

منلفة بمجلد مراكشي

ومنمرة بالتسلسل من (١) الى (٤٠)

ثمان النسخة ٢٠٠ فرنك

وطابع ٨٠٠ نسخة على ورق « بري الفاء »

ثمان النسخة ٣٠ فرنكاً

وطابع ٧٠٠ نسخة على ورق عادي

ثمان النسخة ٢٠ فرنكاً

مَطْبَعَةُ الْفَنِّ الْجَدِيدِ - بَيْرُوتَ

[illegible]

AU.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00490855

